حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء الرابع من كتاب: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ)، أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومنه وكرمه.

وكتبه/ سعيد بن مصطفى دياب

10 صفر-1441هـ

الموافق:

10 أكتوبر-2019م

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٩٢

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى في الآية السابقةِ أَنَّ الْإِنْفَاقَ لَا يَنْفَعُ الْكَافِرَ، بَيَّنَ تَعَالَى هنا لِلْمُؤْمِنِينَ أكمل حالٍ لِلْإِنْفَاقِ الَّذِي يُدْرِكونَ بِهِ منزلةَ الْبِرِّ، وهي أن يَنْفِقَ الْمُؤْمِنُ مِمَّا أَحَبَّ فإذا فعل ذلك كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَبْرَارِ.

وإنما ذكر الله تبارك وتعالى تلك الحال؛ لتطلع نفس المؤمن إلى المعالى، ويسمو بهمته إلى الكمال، ولما نزلت هذه الآية تنافس أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تحقيقها.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المِسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.[1]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» قَالَ:

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الزَّكَاةِ عَلَى الأَقَارِبِ، حديث رقم: ١٤٦١، ومسلم- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، حديث رقم: ٩٩٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ سِيرِينَ، فَقَالَ: غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالًا.[1]

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَبْتَاعَ لَهُ جَارِيَةً مِنْ جَلُولَاءَ يَوْمَ فُتِحَتْ مَدَائِنُ كِسْرَى فِي قِتَالِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَدَعَا بِهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فَأَعْتَقَهَا عُمَرُ.[2]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَضَرَتْنِي هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فذكرتُ مَا أَعْطَانِي اللَّهُ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أحبَّ إِلَيَّ مِنْ جَارِيَةٍ رُومِيَّة، فقلتُ، هِيَ حُرَّة لِوَجْهِ اللَّهِ. فَلَوْ أَنِّي أَعُودُ فِي شَيْءٍ جَعَلْتُهُ لِلَّهِ لنكَحْتُها، يَعْنِي تَزوَّجتُها.[3]

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

أي: ما تبذلونه مِنَ النفقاتِ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وإخبارُ اللهِ تعالى بعلمه بِهِ، كِنَايَةٌ عَنْ الثَّوَابِ والجزاءِ، قَلَّ ذلك أَوْ كَثُرَ؛ كما قال تعالى: ﴿وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾.[4]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الشُّرُوطِ، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الوَقْفِ، حديث رقم: ٢٧٣٧، ومسلم– كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ الْوَقْفِ، حديث رقم: ١٦٣٢

٢ – تفسير الطبري (٥/ ٥٧٥)

٣ – رواه أبو داود في الزهد– مِنْ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، حديث رقم: ٣٠٥

٤ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٧٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٩٣- ٩٥

الطَّعَامُ: اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُطْعَمُ وَيُؤْكَلُ، وَالْحِلُّ: الْحَلَالُ، وَهُوَ مَصْدَرُ حَلَّ؛ وَمِنْهُ قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ﴾. أَيْ حَلَالٌ بِهِ.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ فِي الْآيَةِ السابقةِ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَنَالُ الْبِرَّ إِلَّا بِالْإِنْفَاقِ مِمَّا يُحِبُّ، وإِنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَرَّمَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ وَهِيَ لُحُومُ الْإِبِلِ، وَأَلْبَانُهَا وَتَرَكَهَا لِلَّهِ، وَكَانَ هَذَا سَائِغًا فِي شَرِيعَتِهِمْ.

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ مَا ثبتَ عَنِ الْكَلْبِيُّ قَالَ: نَزَلَتْ حِينَ قَالَ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنه عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: كَيْفَ وَأَنْتَ تَأْكُلُ لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَانَ ذَلِكَ حَلَالًا لِإِبْرَاهِيمَ، فَنَحْنُ نُحِلُّهُ"، فَقَالَتِ اليهود: كل شي، أَصْبَحْنَا الْيَوْمَ نُحَرِّمُهُ فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَكْذِيبًا لَهُمْ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الْآيَةَ.[1]

لَمَّا افْتَرَى الْيَهُودُ الكَذِبَ بقولهم: كُلُّ مَا نُحَرِّمُهُ الْيَوْمَ كَانَ ذَلِكَ حَرَامًا عَلَى نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا، كَذَّبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وبين أَنَّ كُلَّ الْمَطْعُومَاتِ كَانَتْ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ، إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١ - انظر أسباب النزول للواحدي (ص: ١١٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأَمَّا مَا حَرَّمَهُ الله تعالى عَلَيْهِمْ منَ الطَّيِّبَاتِ فإنما حَرَّمَهُ الله عُقُوبَةً لَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.[1]

وقَالَ تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.[2]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ، قَالَ: "سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِنِ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللهِ، وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ، عَلَى بَنِيهِ: لَئِنْ أَنَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ، لَتُتَابِعُنِّي عَلَى الْإِسْلَامِ" قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ، قَالَ: "فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ" قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعِ خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ: أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ، وَمَاءُ الرَّجُلِ؟ كَيْفَ يَكُونُ الذَّكَرُ مِنْهُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ؟ وَمَنْ وَلِيُّهُ مِنَ الملائِكَةِ؟ قَالَ: "فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لَتُتَابِعُنِّي؟" قَالَ: فَأَعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، قَالَ: "فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ، مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، وَطَالَ سَقَمُهُ، فَنَذَرَ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ، لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟ " قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: "اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ، الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ، فَأَيُّهُمَا عَلا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَهُ بِإِذْنِ اللهِ؟ إِنْ عَلا مَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِنْ عَلا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللهِ؟". قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: "اللهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ

---

١ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٦

٢ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ؟" قَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: "اللهُمَّ اشْهَدْ "قَالُوا: وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا: مَنْ وَلِيُّكَ مِنَ الملائِكَةِ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ؟ قَالَ: "فَإِنَّ وَلِيِّيَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلا وَهُوَ وَلِيُّهُ " قَالُوا: فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنَ الملائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ، قَالَ: "فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟" قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوُّنَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة: ٩٧] الْآيَةَ».[1]

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

لما أنكروا وجحدوا أَنَّ كُلَّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ، وأَنَّ مَا حَرَّمَ الله تعالى عَلَيْهِمْ بعضَ الطَّيِّبَاتِ عُقُوبَةً لَهُمْ، أمر الله تعالى رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يأمرهم بِإِحْضَارِ كِتَابِهِمُ الَّذِي فِيهِ شَرِيعَتُهُمْ التَّوْرَاةِ فامتنعوا، وَهَذِهِ أَعْظَمُ حُجَّةٍ عليهم، لأَنَّهَا لَيْسَ فِيهَا مَا ادَّعَوْهُ، بَلْ فيها مَا أَخْبَرَهم بِهِ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾.

الِافْتِرَاءُ: اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ، وهو افْتِعَالٌ مِنْ الْفَرْيِ لِلْمُبَالِغَةِ فِي الْكَذِبِ، وَأَصْلُهُ مِنْ فَرْيِ الْأَدِيمِ، وَهُوَ قَطْعُهُ، وَقِيلَ لِلْكَذِبِ افْتِرَاءٌ، لِأَنَّ الْكَذَّابَ يَخْتَلِقُهُ وَيَقْطَعُ بِهِ مَعَ عَدَمِ وُجُودِهِ.

لما أمرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ لتكون فَيْصَلًا في النزاعِ، وحكمًا في الخلاف، فلما امتنعوا من ذلك قامت عليهم الحجة، وتبين كذبهم، فتوعدهم الله تعالى على افترائهم على دينه، واستحلالهم الكذب على الله تعالى، بعدَ قيام الحجة عليهم.

١ - رواه أَحْمَدُ- حديث رقم: ٢٤٧١، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ١٣٠١٢، وأبو داود الطيالسي- حديث رقم: ٢٨٥٤، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فِي تَحْلِيلٍ أَوْ تَحْرِيمٍ، أَو اعْتِقَادٍ فهو ظَالِمٌ معتدٍ أثيمٌ، مستوجبٌ للعقابِ، وَالظُّلْمُ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، والمرادُ به هُنَا الْكُفْرُ.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾.

أَيْ: قُلْ لهم يَا مُحَمَّدُ: صَدَقَ اللَّهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ خَبَرٍ، وَمِنْ ذلكَ قَوْلُهُ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، وَصَدَقَ اللَّهُ فِيمَا شَرَعَهُ لنَا مِنْ أَحْكَامٍ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ كَذَبَةٌ مفترون على الله تعالى.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

ثم أَمَرَهم اللَّهُ سُبْحَانَهُ على لسان نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يدينوا دين الحقِّ، وَيَتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، إذا أرادوا الهدى، فإِنَّهُ الدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ تعالى لِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، ولا يتحقق لهم ذلك إلا باعتناق الْإِسْلَامِ، والالتزام بشرائعه، وهو دين التوحيد الخالص الذي لا شرك فيه.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بل كان حَنِيفًا موحدًا لله تعالى، وفي الكلام تعريض باليهود والنصارى الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في الآياتِ: الحذفُ في قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، أي: كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ أَكْلُهُ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

والاستثناءُ المتصلُ في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾، أي: إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ أي: يعقوبُ عليهِ السلامُ عَلَى نَفْسِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ﴾، ولم يقل: فأتوا بها لتأكيد افترائهم على الله تعالى، وتحريفهم نصوص التوراة.

والطباق في: (صَادِقِينَ)، و(الْكَذِبَ).

وجناس الاشتقاق في: (صَادِقِينَ)، و(صَدَقَ).

والإشارة ب (أُولَئِكَ) في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. للإيذانِ ببُعد منزلِتهم في الضلال والطُغيان.

والتخصيص في قوله: ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، أي: لا أحدَ أحق بوصف الظلم من هؤلاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ (٩٦) مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٩٦، ٩٧

لما أثني الله تعالى على إِبْرَاهِيمَ عليه السلام في الآية السابقة وأمر باتِّبَاعِ مِلَّتِهِ، أخبرَ في هذه الآيةِ أَنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ عامةً لصلاتهم وطوافهم واعتكافهم ونُسُكِهم، وعِبَادَتِهِمْ هو البيت الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام بمكة، فكان إخبار الله تعالى بذلك بمثابة العلة للأمر باتابع ملته، فيكون معنى الكلام اتبعوا ملة إبراهيم فإنه أول من بنى لله تعالى بيتًا مباركًا.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ بني فِي الأرض مُبَارَكًا لعبادة الله تعالى، ذلك الْبَيْتُ الَّذِي بِنَاءَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، فليست الأولية هنا مطلقة، بل مقيدة بكونه أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لعبادةِ اللهِ وحدَهُ وبكونه مُبَارَكًا، بخلافِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أولُ بَيْتٍ وُضِعَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُطْلَقًا.

قَالَ خَالِدُ بْنُ عَرْعَرَةَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقِيلَ لَهُ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾. هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ كَانَ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: «لَا» قَالَ: فَأَيْنَ كَانَ قَوْمُ نُوحٍ؟ وَأَيْنَ كَانَ قَوْمُ هُودٍ؟ قَالَ: «وَلَكِنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ مُبَارَكًا وَهُدًى».[1]

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: بَكَّةُ هِيَ مَكَّةُ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شِهَابٍ: بَكَّةُ الْمَسْجِدُ، وَمَكَّةُ الْحَرَمُ كُلُّهُ، تَدْخُلُ فِيهِ الْبُيُوتُ.

١ - تفسير الطبري (٥/ ٥٩٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَسُمِّيَتْ بَكَّةَ لِازْدِحَامِ النَّاسِ فِي مَوْضِعِ طَوَافِهِمْ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَدُقُّ رِقَابَ الْجَبَابِرَةِ إِذَا أَلْحَدُوا فِيهَا بِظُلْمٍ، وَالْبَكُّ دَقُّ الْعُنُقِ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى»، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ».[1]

﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

لِأَنَّهُ قِبْلَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وهو مصدرُ الهدايةِ والنورِ للناسِ جميعًا لما فِيهِ من الآيَاتِ البَيِّنَاتِ.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾.

فِيهِ دَلَائِلُ واضحاتٌ وَعَلَامَاتٌ ظَاهِرَاتٌ لَا تَخْفَى على حرمته، وشرفه، وعظيم منزلته.

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾.

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، مِنْهَا: مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ حين ارتفعَ البناءُ، فظهرَ أثرُ قَدَمَيْهِ فِي الْمَقَامِ؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَثَرُ قَدَمَيْهِ فِي الْمَقَامِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ.

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

ومَـوْطِئُ إِبْـرَاهِيمَ فِي الصَّـخْرِ رَطْبَـةٌ ***** عَلَـى قَدَمَيْـهِ حَافِيًـا غَيْـرَ ناعـلِ

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

كَانَ الْخَائِفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا دَخَلَ حَرَمَ مَكَّةَ أَمِنَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ؛ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَ الرَّجُلُ يَقْتُل فيَضَع فِي عُنُقِه صوفَة وَيَدْخُلُ الْحَرَمَ فَيَلْقَاهُ ابْنُ الْمَقْتُولِ فَلَا يُهَيِّجُهُ حَتَّى يَخْرُجَ.

والْمَعْنَى: وَمِنَ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ أَمْنُ دَاخِلِهِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابٌ، حديث رقم: ٣٣٦٦، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٥٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقد امتن الله تعالى على أهل مكة بأنه آمَنَهُمْ مِنْ الخَوْفِ، وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.[2]

وَمن مظاهرِ الأَمنِ بِمَكَّةَ وأسبابِه تحريمُ حَمْلَ السِّلاحِ بها؛ فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: "لَا يَحِلُّ لأحَدِكُمْ أنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلاحَ".[3]

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾.

فرض اللَّهُ تَعَالَى على عباده الْحَجَّ في هذه الآية وَأَكَّدَهُ بِأَبْلَغِ أَلْفَاظِ الْوُجُوبِ باللَّامِ التي تفيدُ الْإِيجَابَ وَالْإِلْزَامَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ﴾، ثُمَّ أَكَّدَهُ بلفظ: (عَلَى) الَّتِي هِيَ مِنْ أَوْكَدِ أَلْفَاظِ الْوُجُوبِ، فَإِذَا قَالَ أحدٌ: لِفُلَانٍ عَلَيَّ كَذَا، فَقَدْ أَوْجَبَهُ على نفسه.

وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَجَّ بِأَبْلَغِ أَلْفَاظِ الْوُجُوبِ تَأْكِيدًا لِحَقِّهِ وَتَعْظِيمًا لِحُرْمَتِهِ.

وَالْحَجُّ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».[4]

وَلَا يَجِبُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ"، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ

---

١ – سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الْآيَة/ ٦٧

٢ – سُورَةُ قُرَيْشٍ: الْآيَة/ ٣، ٤

٣ – رَوَاهُ مُسْلِمٌ– كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ حَمْلِ السِّلَاحِ بِمَكَّةَ بِلَا حَاجَةٍ، حديث رقم: ١٣٥٦

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»، حديث رقم: ٨، ومسلم– كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، حديث رقم: ١٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».[1]

﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

حدُّ الاستطاعة أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ ثَمَنُ زَادٍ وَرَاحِلَةٍ مع استطاعته البدنية؛ فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُوجِبُ الحَجَّ؟ قَالَ: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ».[2]

وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا إلا أن معناه صح عن جمع من الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

اختلف العلماء هَلْ الْحَجّ وَاجِب عَلَى الْفَوْر أُمّ عَلَى التَّرَاخِي؟

عَلَى قولين:

الأول: مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْحَجُّ، وَأَمْكَنَهُ فِعْلُهُ، وَجَبَ عَلَيْهِ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَمْ يَجُزْ لَهُ تَأْخِيرُهُ. وَهو قَولُ أَبِي حَنِيفَة، وَمَالِكٍ، وأحمدَ.

واستدلوا بهذه الآية، وَبقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.[3]

وَبأَنَّ الْأَمْرَ عَلَى الْفَوْرِ.

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ، حديث رقم: ١٣٣٧

٢ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ الحَجِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِيجَابِ الحَجِّ بِالزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ، حديث رقم: ٨١٣، وابن ماجه- كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ مَا يُوجِبُ الْحَجَّ، حديث رقم: ٢٨٩٦، والدارقطني- كِتَابُ الْحَجِّ، حديث رقم: ٢٤١٥، بسند ضعيف

٣ - سورة البقرة: الآية/ ١٩٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واستدلوا بما رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُد، وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ».[1]

وَفِي رِوَايَةِ: «فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ».[2]

والثاني: أنَّ الْحَجّ وَاجِبٌ عَلَى التَّرَاخِي.

وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ، واحتجَّ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّرَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْحَجِّ، وَتَخَلَّفَ بِالْمَدِينَةِ، لَا مُحَارِبًا، وَلَا مَشْغُولًا بِشَيْءٍ، وَتَخَلَّفَ أَكْثَرُ النَّاسِ قَادِرِينَ عَلَى الْحَجِّ. وَلِأَنَّهُ إذَا أَخَّرَهُ ثُمَّ فَعَلَهُ فِي السَّنَةِ الْأُخْرَى لَمْ يَكُنْ قَاضِيًا لَهُ.

والراجح الأول؛ لما ذُكِرَ، وَإِنَّمَا أَخَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ؛ لِأَنَّهُ كَرِهَ رُؤْيَةَ الْمُشْرِكِينَ عُرَاةً حَوْلَ الْبَيْتِ، فَأَخَّرَ الْحَجَّ حَتَّى بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُنَادِي: أَنْ «لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ».[3]

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

مَنْ أَنْكَرَ الْحَجّ، وَجَحَد وجوبَهُ، وَلَمْ يَرَ أَنَّ ذَلِكَ حَقًّا يَلزَمُهُ، فَقَدْ كَفَرَ باللهِ تعالى، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْهُ، وَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، لا ينتفعُ بطَاعَاتِ العِبَادِ، ولَا تَضُرُّهُ مَعَاصِيهِم، وعبّر سبحانه عن ترك الحج بالكفر تغليظًا على تاركه، وإيذانًا بشدةِ غضبه عليه.

---

١ - رَوَاهُ أَحْمَدُ- حديث رقم: ١٩٧٤، وَأَبُو دَاوُد- كِتَاب الْمَنَاسِكِ، بَابُ التِّجَارَةِ فِي الْحَجِّ، حديث رقم: ١٧٣٢، وَابْنُ مَاجَهْ- كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ الْخُرُوجِ إِلَى الْحَجِّ، حديث رقم: ٢٨٨٣، والحاكم- كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، حديث رقم: ١٦٤٥، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بسند حسن

٢ - رَوَاهُ أَحْمَدُ- حديث رقم: ١٨٣٤، وَابْنُ مَاجَهْ- كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ الْخُرُوجِ إِلَى الْحَجِّ، حديث رقم: ٢٨٨٣، بسند حسن.

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ لاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَلاَ يَحُجُّ مُشْرِكٌ، حديث رقم: ١٦٢٢، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ لَا يَحُجُّ الْبَيْتَ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَبَيَانُ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، حديث رقم: ١٣٤٧، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾».[1]

وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند إلا أنه صحيح المعنى، وقد صح هذا المعنى عن جماعة من الصحابة والتابعين؛ منهم ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ الْحَسَنُ وَغَيْرُهم، قَالَوا: مَنْ جَحَد فَرِيضَةَ الْحَجِّ فَقَدْ كَفَرَ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

في الآية جملة من الأساليب البلاغية جمعها أبو السعود فقال: ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج، والتشديد على تاركه مالا مزيد عليه، حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق، وأبرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار، على وجه يفيد أنه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس، لا انفكاك لهم عن أدائة، والخروج عن عهدته، وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص، والإبهام ثم التبيين، والإجمال ثم التفصيل؛ لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير، وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه، وجعل جزاءه استغنائه تعالى المؤذن بشدة المقت، وعظم السخط، لا عن تاركه فقط، فإنه قد ضرب عنه صفحًا إسقاطًا له عن درجة الاعتبار، واستهجانا بذكره، بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك، ليدل على نهاية شدة الغضب.[2]

---

١ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ الحَجِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّغْلِيظِ فِي تَرْكِ الحَجِّ، حديث رقم: ٨١٢، بسند ضعيف.

٢ - تفسير أبي السعود (٢/ ٦٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٩٨، ٩٩

سَبَبُ نُزُولِ هاتين الْآيَتين:

سَبَبُ نُزُولِ هذه الْآيَةِ وما بعدها ما رواه مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، والطَّبَرِيُّ: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: مَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، عَظِيمَ الْكُفْرِ، شَدِيدَ الضِّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ. فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأُلْفَتِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ، وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ فَأَمَرَ فَتًى شَابًّا مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: اعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ وَذَكِّرْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ. وَكَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَكَانَ الظُّفُرُ فِيهِ لِلْأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ، فَفَعَلَ، فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاثَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيَّيْنِ عَلَى الرُّكَبِ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِنَ الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلِمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ وَاللَّهِ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً، وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا، السِّلَاحَ السِّلَاحَ، مَوْعِدُكُمُ الظَّاهِرَةُ - وَالظَّاهِرَةُ: الْحَرَّةُ - فَخَرَجُوا إِلَيْهَا وَتَحَاوَرَ النَّاسُ، فَانْضَمَّتِ الْأَوْسُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَالْخَزْرَجُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى دَعْوَاهُمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهَ اللَّهَ، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ تَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا» فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَأَلْقَوُا السِّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَبَكَوْا وَعَانَقَ الرِّجَالُ مِنَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَاسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَاسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الْآيَةَ.[1]

لما بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى في الآيات السابقة البراهين القاطعات على انحراف الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عن منهج اللهِ تَعَالَى، وأنهم ليسوا على منهج إبراهيم الخليل عليه السلام، أمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يخاطبهم بهذا الخطاب تقريعًا لهم على كفرهم، وتوبيخًا لهم على إعراضهم عن الحقّ.

وخاطبهم بقوله: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لأنهم انتسبوا إليه وإن كانوا في الحقيقة لا يعملون بما فيه.

وخصهم بالخطاب؛ لأن كفرهم أقبح؛ لأنه كفر إباءٍ واستكبار؛ لمعرفتهم بآيات الله الدالة على صفات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْمُرَادُ بهم الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، مِمَّنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَحَدَ نُبُوَّتَهُ.

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ المنزَّلَةِ على الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الْقُرْآنِ، ويحتمل أن يكون المرادُ بِآيَاتِ اللَّهِ: دَلَائِلُ صِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تقدم ذكرُ شيءٍ منها، وَالْمُرَادُ بالسؤال هنا الإِنْكَارُ عليهم.

﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾.

وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عليمٌ بكفرهم، ولا يخفى عليه حَالُهُمْ، وقال هنا ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾؛ لأنهم كانوا يجاهرون بالكفر بالله تعالى.

---

١ - سيرة ابن هشام (٢/ ١٤٦)، وتفسير الطبري (٥/ ٦٢٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

مَعْنَى الصَّدِّ عَنِ الشَّيْءِ: الْمَنْعُ مِنْهُ، وَالدَّفْعُ عَنْهُ، وَصَدَّ فُلَانٌ بِوَجْهِهِ عَنْ فُلَانٍ: إِذَا أَعْرَضَ عَنْهُ فَمَنَعَهُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ.

وتَبْغُونَهَا: تَطْلُبُونَهَا، يُقَالُ: بَغَيْتُ لَهُ كَذَا أَيْ طَلَبْتُهُ.

والْعِوَجُ (بِكَسْرِ الْعَيْنِ): كلُ اعوجاجٍ معنوي، وَهُو: الْمَيْلُ وَالزَّيْغُ، وَالْعَوَجُ (بِالْفَتْحِ): كلُ اعوجاجٍ حسي.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْعِوَجُ بِالْكَسْرِ فِي الدِّينِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالْعَوَجُ بِالْفَتْحِ فِي الْجِدَارِ، وَكُلِّ شَخْصٍ قَائِمٍ.

أَيْ: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تمنعون من أراد الإيمان؟ وتَصْرِفُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ؟ وتريدون أن تكون الطريقُ المستقيمةُ معوجةً لا اسْتِقَامَةَ فيها.

قال البيضاوي: كرر الخطابَ مبالغةً في التقريع ونفي العذر لهم، وإشعارًا بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه، مستقل باستجلاب العذاب.

قَالَ الْحَسَنُ: (هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، نَهَاهُمْ أَنْ يَصُدُّوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَعْدِلُوا النَّاسَ إِلَى الضَّلَالَةِ).

﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾.

أي: وَأَنْتُمْ تشهدون أَنَّ الإسلامَ هو دينُ الله الحق الذي ارتضاه لعباده، ولا يُقبلُ غيرُهُ.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ شَدِيدٌ، بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لا يخفى عليه شيءٌ، وَأَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى مُحِيطٌ بما تَعْمَلُونَه من الصَّدِّ عن دينه، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهِ؛ وذلك لأنهم كانوا يحتالوا في أساليب الصد عن سبيل الله ويبالغون في إخفاء ذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في هاتين الآيتين: فِي قوله تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، سؤالٌ الْمُرَادُ بِهِ الْإِنْكَارُ والتقريعُ، وكذا في قوله: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وإشعارًا بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذابِ.

تكرار النداءِ بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، تذكيرًا لهم بما يجب عليهم من العمل بكتاب الله تعالى، وتبكيتًا لهم على تفريطهم فيه.

تكرارُ لفظ الجلالة (الله) في قوله: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾. و﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ﴾. و﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. و﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ..﴾. لما له من الجلال في النفوس.

وتكرارُ: ﴿مَا تَعْمَلُونَ﴾، في قوله: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾، و﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ لبيان أن الله مطلع على أعمالهم لا يخفى عليه منها شيء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٠، ١٠١

لما افتضح كَيْدُ عَدُوِّ اللَّهِ شَاسِ بْنِ قَيْسٍ، وكفَّ اللهُ تَعَالَى شرَّهُ، حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُطِيعُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، لما يضمرونه من العداوة والبغضاء والحسد لأهل الإيمان.

وبين الله تعالى أنَّ هَمَّ اليهود والنصارى أَنْ يَرُدُّوا الْمُؤْمِنِينَ عَنْ إِيمَانِهِم؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.[2]

فنهى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ اليهودِ والنصارى بِطَانَةً، يُطْلعونهم عَلَى أَسْرَارِهِمْ، مَعَ مَا يُضْمِرُونَهُ لهُمْ مِنَ العَدَاءِ والبُغْضِ.

والمراد بالفريق في قوله: ﴿فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾. هُوَ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ الْيَهُودِيُّ.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾، سؤالٌ المرادُ المبالغة في نهى المؤمنين عن طاعة أهل الكتاب؛ لأنها تفضي بهم إلى الكفر بالله تعالى.

---

١ - سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ: الآية/ ٢

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعني: كيف يتأتى منكم ذلك، والقرآنُ ينزل بين أيديكم غضًّا طريًّا، وتِلَاوَةُ آيَاتِه تزيدُ الْمُؤْمِنِينَ إيمانًا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.[2]

﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾. أي: ومقامُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينكم عِصْمَةٌ لكم مِنْ الضَلَالِ، وأَمَانٌ لكم مِنَ الفتنِ؛ لما يَعِظُكُمْ ويذكركم بِهِ.

قَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ فِي الْآيَةِ أَمْرَيْنِ يَمْنَعَانِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ، أَحَدُهُمَا: تِلَاوَةُ كِتَابِ اللَّهِ.

وَالثَّانِي: كَوْنُ الرَّسُولِ فِيهِمْ، أَمَّا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْكِتَابُ فَبَاقٍ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ.

﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الِاعْتِصَامُ فِي اللُّغَةِ: الِاسْتِمْسَاكُ بِالشَّيْءِ، وَالْمَنْعُ وَالْمُلَازَمَةُ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِصْمَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾. [يُوسُفَ: ٣٢]، أي: امتنع ولجأ إلى الله ولازم العفة.

وقوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ﴾ [هُودٍ: ٤٣]، أي: لا عِصمةَ ولا امتناعَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَهُ اللهُ.

والمعنى: وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ، وَيَسْتَمْسِكُ بِالْقُرْآنِ، فَقَدْ هُدِيَ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

---

١ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ١٢٤

٢ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في هاتين الآيتين: الْعامُ الْمُرَادُ الْخُصُوصُ: فِي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا﴾، فإِنَّهُ خِطَابٌ لِلْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ.

الطِّبَاقُ: بينَ لفظِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، و﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.

فِي قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾، سؤالٌ الْمُرَادُ بِهِ المبالغة في نهى المؤمنين عن طاعة أهل الكتاب؛ لأنها تفضي بهم إلى الكفر بالله تعالى.

وَالْحَذْفُ فِي قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾، وفيها الهدى لمن آمن به واتقاه، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾، يزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، وينفي عنكم شبه المبطلين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةَ/ ١٠٢

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ طاعةِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لما يضمرونه من العداوة لأهل الإيمان، أمرهم سبحانه بتقواه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾. أي اتَّقُوا اللَّهَ كما يجبُ أَنْ يُتَّقَى، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وقد بين ذلك عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «حَقَّ تُقَاتِهِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ، وَأَنْ يُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى».[1]

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هَلْ هِيَ مُحْكَمَةٌ، أَوْ مَنْسُوخَةٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مُحْكَمَةٌ.

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ:

أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، وهو قول قَتَادَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُقَاتِلٍ، وَالْكَلْبِيِّ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيِّ، وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ.

فَعَنْ قَتَادَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، قَالَ: نَسَخَتْهَا هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي التَّغَابُنِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾، وَعَلَيْهَا بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا اسْتَطَاعُوا.[2]

---

١ - رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ- كتاب التفسير، حديث رقم: ٣١٥٩، والنسائي في السنن الكبرى- كِتَابُ الْمَوَاعِظِ، حديث رقم: ١١٨٤٧، والزهد لعبد الله بن المبارك- حديث رقم: ٢٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٣٩)، موقوفًا.

٢ - تفسير الطبري (٥/ ٦٤٢)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢٨٢)، وتفسير عبد الرزاق (١/ ٤٠٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، اشْتَدَّ عَلَى الْقَوْمِ الْعَمَلُ فَقَامُوا حَتَّى وَرِمَتْ عَرَاقِيبُهُمْ وَتَقَرَّحَتْ جِبَاهُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَخْفِيفًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَنُسِخَتِ الآيَةُ الْأُولَى.[1]

وَعَنِ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. «فَلَمْ يُطِقِ النَّاسُ هَذَا، فَنَسَخَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ» فَقَالَ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.[2]

الْقَوْلُ الثَّانِي:

أَنَّهَا مُحْكَمَةٌ، وهو قول ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واختاره أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَاس، ونَصَرَ القولَ بعدم النَّسخِ الفخرُ الرازي.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾. قَالَ: «لَمْ تُنْسَخْ، وَلَكِنْ حَقُّ تُقَاتِهِ أَنْ يُجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَيَقُومُوا بِالْقِسْطِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَآبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ».[3]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: فَهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْسَخَ؛ لِأَنَّ النَّاسِخَ هُوَ الْمُخَالِفُ لِلْمَنْسُوخِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ الرَّافِعُ لَهُ الْمُزِيلُ حُكْمَهُ.[4]

وقال الرازي: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ﴾، أَيْ كَمَا يَحِقُّ أَنْ يُتَّقَى، وَذَلِكَ بِأَنْ يُجْتَنَبَ جَمِيعُ مَعَاصِيهِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَجُوزُ أَنَّ يُنْسَخَ لِأَنَّهُ إِبَاحَةٌ لِبَعْضِ الْمَعَاصِي.[5]

---

١ – تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٨)

٢ – سُورَةُ التغابن: الآية/ ١٦، تفسير الطبري (٥/ ٦٤٢)

٣ – الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ٢٦٠)، وتفسير الطبري (٥/ ٦٤١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٢)، وتفسير ابن المنذر (١/ ٣١٨)

٤ – الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٧٠)

٥ – مفاتيح الغيب للرازي (٨/ ٣١٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالذين قالوا بأن الآية محكمة وليست منسوخة، قالوا إن قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، جاء مفسرًا لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، لا ناسخًا له، ولا مخصّصًا له، لأن التَّكْلِيفَ مَشْرُوطٌ بِالْقُدْرَةِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْمَصِيرِ إِلَى النَّسْخِ.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

ثم أمر تعالى بالتمسك بِالْإِسْلَامِ، والعَضِّ عليه بالنواجذِ، وَنَهْي عَنْ مُفَارَقَته، أو مخالفة شيء من تشريعاته؛ ليبعث المرء عليه يوم القيامة؛ فإنَّ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعث عَلَيْهِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ: الإيجازُ في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، فهو يشمل امتثالَ كل أمرٍ، واجتناب كل نهي كما قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والإيجازُ في قوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. والمعنى: داوموا على الثبات على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٣

لَمَّا حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كيدِ أعدائهم، وأمرهم بتقواه في الآية السابقة، أمرهم سبحانه وتعالى هنا بما يعصمعهم من كيد أعدائهم ويحقق لهم تقواه سبحانه، فقَالَ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

الاعْتِصَام: الاسْتِمْسَاكُ بالشَّيءِ.

وَالْحَبْلُ فِي اللُّغَةِ: هوَ السَّبَبُ الموصِّلُ إِلَى المرادِ، وهو من الألفاظ المشتركة، فيطلق على الرَّسَنِ، وَالْعَهْدِ والْأَمَانِ، وَالْمُسْتَطِيلِ مِنَ الرَّمْلِ، وَالدَّاهِيَةِ. وَحَبْلِ الْعَاتِقِ، وهو وُصْلَةُ ما بين العاتقِ والمنكبِ، وحَبْلِ الوَريد: وَهُوَ عِرْقٌ يَدِرُّ في الحَلْقِ.

وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، يَعْنِي: بِعَهْدِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.[١]

وَقِيلَ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، أَيْ: بالْقُرْآنِ، فعَنْ عليّ فِي صِفَةِ الْقُرْآنِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المسْتَقِيمُ».[٢]

كما أن الاجتماع على الطاعة يثبتُ القلبَ، ويشدُّ الأزرَ، ويقوي العزمَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى لموسى عليه السلام: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.[٣]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١١٢

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ، حديث رقم: ٢٩٠٦

٣ – سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَة/ ٣٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ودليل رضى الله تعالى عن العباد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».[1]

والاجتماع والاتِّفَاقُ عِصْمةٌ من الضلال والفتن؛ قال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.[2]

﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

التفرق من أعظم أسباب التنازع وهو من أسباب الضعف والفشل؛ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.[4]

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

يأمرُ اللهُ تَعَالَى المؤمنين أَنْ يَذْكُرُوا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأُلْفَةِ بَعْدَ العَدَاوَةِ، وَالِاجْتِمَاعِ بَعْدَ الفُرْقَةِ.

وَكُنْتُمْ أَعْدَاءً حال كفركم بالله، تَقْطَعُونَ الْأَرْحَامَ، وَتُسِيئون الْجِوَارَ، ويَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْكُمُ الضَّعِيفَ؛ كما قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنَّجَاشِيِّ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ،

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، حديث رقم: ١٧١٥

٢ - سُورَةُ النساءِ: الْآيَة/ ١١٥

٣ - سُورَةُ الأنفالِ: الْآيَة/ ٤٦

٤ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَة/ ١٥٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ.

وقدْ طَالَ زمنُ الْوَقَائِعِ بينَ الأَوْسِ والخَزْرَج، وكثرت بَيْنَهُمْ الحُروبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فتوارثوا العَدَاوَةَ والبغضاء، والإحَنَ وَالأَحقَادَ، وما يوم بُعَاثٍ منهم ببعيدٍ.

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، أَلَّفَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَقَذَفَ فِيهَا الوُدَّ، وأذهبَ مِنْهَا العداوةَ والبغضاءَ، بعدما تغلغلت جذورها في القلوبِ، واستعصت على كل دعوة للتسامح والمصافاة.

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، فَانْقَلَبْتُم بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ إِخْوَانًا متحابينَ، فَآخَى بَيْنَكُمْ فِي الدِّينِ، وأوجبَ عليكم مِنْ لَوَازِمِ الأخوةِ الإيمانيةِ ما يُقَدِّمُهَا عَلَى أُخوةِ النَّسَبِ وقوله: ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾، اعتراض في الكلام والمعنى: فَأَصْبَحْتُمْ بفَضْلِ اللهِ عَلَيكُم وَرَحْمَتِهِ إِخْوَانًا.

وامْتَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بذلك لأنه هو الذي صَرَّفَ قلوبهم إلى الودِّ ونزع منها العدواة والبغضاءَ وَأَلَّفَ بَيْنَهَا، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[1]

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾.

ثم امْتَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بنِعْمَةٍ هي أعظم من الأُوْلَى بأنْ هَدَاهُم لِلْإِيمَانِ بَعْدَ الْكُفْرِ فَأَنْقَذَهُمْ بذلكَ مِنَ النِّيرَانِ، فقد كانوا مُشْرِفِينَ بِكُفْرِكُمْ عَلَى النَّارِ.

١ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَة/ ٦٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالشَّفَا حَرْفُ الشَّيْءِ وَحَافَتُهُ؛ كَالْحُفْرَةِ وَالْبِئْرِ وَالْجُرْفِ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.[1]

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

أَيْ: مِثْلُ الْبَيَانِ الْمَذْكُورِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ سَائِرَ الْآيَاتِ لِكَيْ تَهْتَدُوا بِهَا، وَهِيَ نِعْمَةٌ أُخْرَى، نِعْمَةُ التَّعْلِيمِ وَالْإِرْشَادِ.

وَالْمُرَادُ بِالْبَيَانِ هُنَا الْإِيضَاحُ وَالْإِرْشَادِ.

وَالْمُرَادُ بِالآيَاتِ، آيَاتُ الْقُرْآنِ فَإِنَّهَا الغَايَةُ فِي الْبَيَانِ عَنِ مَقَاصِدِ الشرعِ، ومصالحِ العبادِ الدنيوية والاخرويةِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في هذهِ الآية: التشبيهُ في قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، حيث شبّه القرآن بالحبل، واستُعيرَ اسمُ المشبَّه به وهو الحبلُ، للمشبه وهو القرآنُ، على سبيل الاستعارة التصريحية، والجامع بينهما أنَّ التمسك بالقرآن سببٌ للنجاة من الردي، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردى.

والاعتراضُ في قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، فإن قوله: ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾، اعتراضٌ في الكلام وتقديره: (فَأَصْبَحْتُمْ إِخْوَانًا)، وفائدة الاعتراض التذكير بنعمة الإسلام، ورحمة الله تعالى بعباده المؤمنين.

---

١ – سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَة/ ١٠٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والتشبيه في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾. حيث شبه حالهم الذي كانوا عليه في الجاهلية بحال من كان واقفًا علَى شَفَا حُفْرَةٍ عميقةٍ، وهوّة سحيقة مِنَ النَّارِ. وهي استعارة تمثيلية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَة/ ١٠٤

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذمَّ اللهُ تَعَالَى أهل الكتاب لصدهم عن سبيل الله، وسعيهم لإضلالِ الْمُؤْمِنِينَ عن دينهم، فأمر الله تعالى المؤمنين هنا أن يسلكوا غير سبيلهم، فأَمَرَهُمْ أَوَّلًا بِالتَّقْوَى وَالْإِيمَانِ، فَقَالَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ وهو اعتناقُ الْإِسْلَامِ، والتزامِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِي شَرَّعَهَا اللَّهُ تَعَالَى لجلبِ مصالحِ العبادِ وتكميلها، ودرءِ المفاسد عنهم وتقليلها، وَيَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ.

وقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾، للتَّبْعِيضِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَصْلُحُ لكلِ لأحدٍ كما قال سُفْيَانُ الثوري: "لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ إلَّا مَنْ كَانَ فَقِيهًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ؛ فَقِيهًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ؛ رَفِيقًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ؛ رَفِيقًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ؛ حَلِيمًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ حَلِيمًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فَالْفِقْهُ قَبْلَ الْأَمْرِ لِيُعَرِّفَ الْمَعْرُوفَ وَيُنْكِرَ الْمُنْكَرَ، وَالرِّفْقُ عِنْدَ الْأَمْرِ لِيَسْلُكَ أَقْرَبَ الطُّرُقِ إلَى تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ، وَالْحِلْمُ بَعْدَ الْأَمْرِ لِيَصْبِرَ عَلَى أَذَى الْمَأْمُورِ الْمَنْهِيِّ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَحْصُلُ لَهُ الْأَذَى بِذَلِكَ.[1]

وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ هو القطبُ الأعظمُ لهذا الدين، وهو المهم الذي بعث الله تعالى له النبيين، وهو من أوجب الواجبات على هذه الأمة؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

١ - مجموع الفتاوى (١٥/ ١٦٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».[1]

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفائزونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾.

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالاعتصام بكتابه، ودعوة الناس إلى دين الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بين سبحانه وتعالى أن ذلك كله لا يتم لهم إلا إذا كانوا مجتمعين على طاعته متآلفين فيما بينهم، فإِنَّ تَرْكَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ سببُ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ لكثرةِ النِّزَاعِ والشِّقَاقِ، فحذرهم أن يسلكوا سبيل اليهود والنصارى الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا، فكفَّرَ بعضُهم بعضًا، فلم يغني عنهم ما بأيديهم من الكتب المنزلة، فضلوا ضلالا بعيدًا.

واختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الْأُمَمُ السَّالِفَةُ الَّتِي افْتَرَقَتْ فِي الدِّينِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى اخْتَلَفُوا وَصَارُوا فِرَقًا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمْ أَصْحَابُ الْبِدَعِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

والراجح أنهم الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وإن كان أَصْحَابُ الْبِدَعِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ كذلك، لكنهم لم يظهروا إلا بعد مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزمن.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، حديث رقم: ٤٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾، تَفَرَّقُوا بِأَبْدَانِهِمْ فصَارَوا فرقًا وأحزابًا، ثُمَّ اخْتَلَفُوا في الاعتقاد فادَّعَتْ كلُ فرقةٍ أَنَّهَا عَلَى الْحَقِّ وما عداها عَلَى الْبَاطِلِ.

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ».[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَفَرَّقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً».[2]

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

الْبَيِّنَاتُ هي الآياتُ الواضحات، والبراهين القاطعات، والمراد بها بعثُ الرسلِ وإنزالُ الكتبِ، وقال تعالى: ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾؛ لأن تأنيث الْبَيِّنَاتِ تأنيث مجازي، وليس حقيقيًا، ونزلتْ الْبَيِّنَاتُ منزلةَ البيانِ.

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

بسبب افتراقهم واختلافهم، وهو تنبيهُ لهذه الأمة أنَّ مَنْ فعل فعلهمْ عوقب بعقابهم.

---

١ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ، حديث رقم: ٣٩٩٢، بسند صحيح

٢ – رواه أبو داود– كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ، حديث رقم: ٤٥٩٦، والترمذي– أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، حديث رقم: ٢٦٤٠، وابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ، حديث رقم: ٣٩٩١، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في هذهِ الآية: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وتقدير الكلام: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ الناسَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَهم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهم عَنِ الْمُنْكَرِ)، وفائدة الحذف: التَّعْمِيمُ؛ أَيْ: يَدْعُونَ كُلَّ أَحَدٍ.

وتقديمُ الضميرِ المنفصلِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ﴾، في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. يَقْتَضِي الْحَصْرَ؛ يعني: لا يفلح ولا يفوز فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إلا أُولَئِكَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٦ - ١٠٩

فِي الكَلَامِ حَذْفٌ مُقَدَّرٌ وَتَقْدِيرُه: لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، وَنُصِبَ يَوْمٌ عَلَى الظَّرْفِيةِ؛ أي: لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ.

ويحتمل أن يكون (يَوْمَ) مَنْصُوبٌ بفعلٍ مضْمَرٍ تَقْدِيرُه: وَاذْكُرْ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾.[1]

تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ الإيمانِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الكفرِ والعصيانِ؛ كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[2]

قَسَّمَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الْآخِرَةِ إلى فَرِيقَيْنِ: إلى مؤمنين بررةٍ تَبْيَضُّ وُجُوهُهم يوم القيامة، وإلى عصاة فجرةٍ تَسْوَدُّ وُجُوهُهم يوم القيامة.

وقيل: هذا خاص بهذه الأمة؛ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. هَذَا لأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

---

١ - سُورَةُ عَبَسَ: الآية/ ٣٨- ٤١

٢ - سُورَةُ يونس: الآية/ ٢٦، ٢٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ الْحَسَنُ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ كَانُوا أَعْطُوا كَلِمَةَ الإِيمَانِ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَأَنْكَرُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

وَبَيَاضُ الْوُجُوهِ وَسَوَادُهَا حَقِيقِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾.[1]

وسببُ ابْيِضَاضُ الْوُجُوهِ مَسَرَّةُ القلوبِ واستبشارها، وَذَلِكَ لأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ الْوَجْهُ، وسببُ اسوادِ الْوُجُوهِ الذِّلَّةُ والكآبةِ.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

فِي الكَلَامِ حَذْفٌ مُقَدَّرٌ وَتَقْدِيرُه: فَيُقَالُ لَهُمْ: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، وَحَسُنَ الْحَذْفُ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ.

يعني: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ مَا ظَهَرَ لَكُمْ من الدَّلَائِلِ والبراهين مَا يُوجِبُ الْإِيمَانَ؟

والهمزةُ في قوله: ﴿أَكَفَرْتُمْ﴾. للتوبيخِ والتعجيبِ مِنْ حَالِهِمْ، وَابْتُدِئَ بِالَّذِينِ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ للتَّحْذِيرِ مِنْ حَالِهِمْ.

فَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ جزاءَ كفركم باللهِ تعالى.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أي: وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ بطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَاعَةِ رسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ، سيدخلهم الله في رحمته، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَظْعَنُونَ عَنْهَا وَلَا تُفَارِقُهُم، ومن لوازم رحمة الله تعالى أن يدخلهم الله الجنة، بل لا تُنَالُ الجنةُ إلا برحمة الله تعالى؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ».[2]

---

١ – سورةُ الزمرِ: الآية/ ٦٠

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ المَرْضَى، بَابُ تَمَنِّي المَرِيضِ المَوْتَ، حديث رقم: ٥٦٧٣، ومسلم– كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، حديث رقم: ٢٨١٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾.

هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي تقدمَ ذِكْرُهَا ببيان جزاء المؤمنين، وعقاب الكافرين، نَقْرَؤُهَا وَنَقُصُّهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ الذي لا يعتريه باطلٌ؛ وهذا كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾. وما قال: (هَذِهِ) لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةَ قَدِ انْقَضَتْ في الكلامِ، فَصَارَتْ كَأَنَّهَا بَعُدَتْ فَقِيلَ فِيهَا تِلْكَ.

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾.

لا يعاقبهم بلا جُرمٍ، وإنما يعاقبُ مَنْ يستحقُ العقابَ فَلَيْسَ تَسْوِيدُ وُجُوهِ الكفارِ ظلمًا لهم، ولا يضيعُ أجرَ المحسنين، فَتَبْيِيضُ وُجُوهِ المؤمنين من مقتضى عدله ورحمته.

ووردَ لفظُ: (ظُلْمًا) نكرةً فِي سِيَاقِ النَّفْيِ لِيَدُلَّ عَلَى انْتِفَاءِ جِنْسِ الظُّلْمِ عَنْ اللَّهِ تعالى، فلا يتأتى من اللهِ تعالى أي ظلمٍ على أي أحدٍ من الْعَالَمِينَ؛ لكمالِ عدلهِ تعالى وكمالِ غِنَاهُ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

الكون كله مِلْكٌ للهِ تَعَالَى، والخلقُ جَمِيعًا عَبِيدٌ لَهُ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

وَإِلَى اللَّهِ يَرْجَعُ مَصِيرُ الخَلائقِ جَمِيعًا، الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، فَيُجَازِي كُلًّا بما يستحقه.

اللهم لَا تَحْرِمْنَا مِنْ بَرْدِ عفوكِ ورَحْمَتِكَ وَإِحْسَانِكَ.

---

١ - سُورَةُ الإسراءِ: الْآيَة/ ١٠٦

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَة/ ٤٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في الآياتِ السابقةِ: الطِّبَاقُ: فِي قوله تعالى: ﴿تَبْيَضُّ﴾ وَ ﴿تَسْوَدُّ﴾، وَفِي قوله: ﴿اسْوَدَّتْ﴾ وَ ﴿ابْيَضَّتْ﴾.

وَالجِنَاسُ الْمُمَاثِلَ فِي قوله: ﴿أَكَفَرْتُمْ﴾ وَ ﴿تَكْفُرُونَ﴾.

وَالحَذْفُ الْمُقَدَّرُ فِي قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، وَتَقْدِيرُه: لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.

وَالحَذْفُ الْمُقَدَّرُ فِي قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وَتَقْدِيرُه: فَيُقَالُ لَهُمْ: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، وَحَسُنَ الْحَذْفُ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ.

واللفُ والنشرُ الغيرُ مرتبٍ في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، وقوله بعدها: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ.....﴾، ثم قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ.....﴾.

ووضعُ الظاهرِ موضعَ الْمُضْمَرِ فِي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾؛ لتعظيم لفظِ الجلالة في النفوسِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.
سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٠

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَنَّهَا خَيْرُ الْأُمَمِ، وهذا الإخبارُ شَهَادَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَنَّهُم خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وكانَ من قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ تَامَّةٌ، وَالْمَعْنَى وُجِدْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أي: أَنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ وُجِدَتْ فِي الْوُجُودِ.

وقيل: مَعْنَاهُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ فِيمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كُتُبِهِ.[1]

وَتقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، أن لفظ: (الْأُمَّة) يُطْلَقُ فِي القرآن وَيُرَادُ بِهِ عدةُ معانٍ، منها الطَّائِفَةُ الْمُجْتَمِعَةُ عَلَى الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، وهو المرادُ هنا.

ومما يدل على فضيلةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، ما ثبت وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَة الْقُشَيري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ».[2]

وَاختلف العلماء فيمن توجه إليهم الْخِطَابُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فقيل: لِأَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: الْخِطَابُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لعموم الأمةِ إذا تحقق شَرْطُ اللَّهِ مِنْهَا.

والراجحُ أَنَّ الْخِطَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لعموم الْأُمَّةِ إذا تحققَ شَرْطُ اللَّهِ مِنْهَا؛ لما ورد من الفضل لمجموع هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، ومن ذلك، ما ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ

١ - أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٢١)

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٠٠١٥، والحاكم- كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ فَضَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، حديث رقم: ٦٩٨٨، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ».[1]

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ».[2]

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، فالمرادُ به أنه تَعَالَى فَضَّلَهُم عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ مِنْهُمْ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ عَلَيْهِمْ، وليسَ التفضيلُ مطلقًا.

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

لما أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بخيريةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ العِلَّةَ التي مِنْ أَجْلِهَا استحَقَّتْ أَنْ تكونَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ فَقَالَ: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، فيكونُ الْمَعْنَى: صِرْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ بِسَبَبِ كَوْنِكُمْ آمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، حديث رقم: ٣٣٤٨

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٢٩٤٠، والترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَفِّ أَهْلِ الجَنَّةِ، حديث رقم: ٢٥٤٦، وابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٤٢٨٩، والحاكم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٢٧٤، وابن حبان- كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ، رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، بَابُ وَصْفِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا، حديث رقم: ٧٤٦٠، والدارمي- وَمِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابُ: فِي صُفُوفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حديث رقم: ٢٨٧٧، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكِ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ مِنْهَا».[1]

وإنما اسْتَحَقَّتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ تِلْكَ الْخَيْرِيَّةِ، لِقِيَامِهَا بِتِلْكَ الْعِبَادَاتِ، كما أمر اللهُ تَعَالَى، بخلافِ غَيرِهِم مِنَ الْأُمَمِ الذينَ تَمَالَؤُوا عَلَى تَرْكِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَلَا يُعْرَفُ فِيهَا الْمَعْرُوفُ وَلَا يُنْكَرُ فِيهَا الْمُنْكَرُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.[2]

وفسدت عقائدُ جَمِيعِ الْأُمَمِ السابقةِ وتبدلَ الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ الذي جاءتْ به رُسُلُهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ والنصاري: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.[3]

﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

وَلَوْ صَدَّقَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ الْيَهُودِ النَّصَارَى واستَجَابُوا لرَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ فِي دُنْيَاهُمْ، وَآخِرَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.[4]

---

١ - تفسير الطبري (٥/ ٦٧٣)

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٧٩

٣ - سُورَةُ التَّوبَةِ: الآية/ ٣٠

٤ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٦٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

قَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ واسْتَجَابَ لأَمْرِهِ، وَأَكْثَرُهُمْ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، يُؤْثِرُونَ الضَّلَالَةَ عَلَى الهُدَى، وَالْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.[1]

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في الآية: التأكيدُ في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾؛ فإنَّ دُخُولَ كَانَ يفيدُ تَأْكِيدَ وُقُوعِ الْأَمْرِ؛ كَمَا في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الْفَرْقَانِ: ٦٩]، وقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.[2]

والمقابلة بين: (تَأْمُرُونَ)، و (تَنْهَوْنَ)، وبين: (الْمَعْرُوفِ)، و (الْمُنْكَرِ).

والترقي في قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، فبدأ بالأدنى وهو الأمر بالمعروف لأنه أيسر على النفوس، ثم النهي عن المنكر لأنه أشقُّ، ثم الإيمان بالله لأنه أعلى شعب الإيمان.

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٦٦

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١١، ١١٢

اختلف العلماء في الِاسْتِثْنَاءِ في قوله: ﴿إِلَّا أَذًى﴾.

هل هو اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ، أو مُنْقَطِعٌ على قولين:

الأَوْلُ: الاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ، وَوَقَعَ الْأَذَى مَوْقِعَ الضَّرَرِ، وَالْمَعْنَى: لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا ضَرًّا يَسِيرًا، فَوَقَعَ الْأَذَى مَوْقِعَ الْمَصْدَرِ؛ وَدَلَّ عَلَى هَذَا مَا ثَبَتَ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا".[1]

والثَّانِي: الاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ، وَالْمَعْنَى: لَنْ يَضُرُّوكُمْ أَلْبَتَّةَ، لَكِنْ يُؤْذُونَكُمْ بِمَا يُسْمِعُونَكُمْ، وعلى هذا فالْأَذَى هُوَ الْأَلَمُ الْخَفِيفُ، وَهُوَ لَا يَبْلُغُ حَدَّ الضُّرِّ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى نَفَى الضُّرَّ، وأَثْبتَ الأَذَى.

وهذا الْأَذَى هُوَ الْمَذْكُورُ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.[2]

---

١ - رواه مسلم- كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، حديث رقم: ٢٨٨٩

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾.

أي: إذا وقع بينكم وبين هؤلاء اليهود قتال وَلَّوكُمُ الْأَدْبارَ، كنايةً عن الهزيمةِ، وفَرُّوا هاربينَ مُنْهَزِمينَ.

وهذه الآيةُ من دلائلِ نبوةِ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ أَذَلَّ يَهُودَ بَنِي قَيْنُقَاع وَبَنِي النَّضِير وَبَنِي قُرَيْظَة وَيَهُودَ خَيْبَرٍ وأرْغَم أُنُوفَهُمْ، وطهر جزيرة العرب منهم.

وَأَذَلَّ النَّصَارَى فيما جرى بينهم وبين المسلمين من وقائع، وما استضعف المسلمون في زماننا إلا لتهاون كثير من المسلمين في دينهم، وموالاة أعدائهم، ومع ذلك فالعاقبة للمتقين، والغلبة لأهل هذا الدين، وعد الله والله لا يخلف الميعاد.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾. احْتِرَاسٌ مِنْ أَنْ تكونَ التَّوْلِيَةُ لكونهم مُتَحَرِّفِينَ لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزِينَ إِلَى فِئَةٍ، وإنما يُوَلُّونَكُمُ الْأَدْبَارَ تَوْلِيَةَ مُنْهَزِمِينَ.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.

يخبر الله تعالى عن حال اليهود بين الناس، وأنَّ اللهَ تَعَالَى كتبَ عليهم الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ والْمَهَانَةَ لا ينفك ذلك عنهم أبدًا؛ لجرائمهم التي فاقت كل حدٍّ شناعةً وقبحًا.

ومعنى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾. أَحَاطَتْ بِهِمْ وَشَمِلَتْهُمْ إِحَاطَةُ الخَيْمَةِ بِمَنْ فيها، وَشُبِّهَ اتِّصَالُهَا بهم وَثَبَاتُهَا عليهم بِضَرْبِ الخَيْمَةِ وَشَدِّ أَطْنَابِهَا.

قَالَ الْحَسَنُ: (أَدْرَكَتْهُمْ هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَإِنَّ الْمَجُوسَ لَتُجْبِيهُمُ الْجِزْيَةُ).

﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾.

أَيْ: حيثما وُجِدُوا، وَأَيْنَمَا كانوا، قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَلْقَى الْيَهُودَ بِبَلْدَةٍ إِلَّا وَجَدْتَهُمْ مِنْ أَذَلِّ النَّاسِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذلك لما يُعرفون به من الإفسادِ بين الناسِ؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[1]

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.

اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، أَيْ لَكِنَّهُمْ قَدْ يَعْتَصِمُونَ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ، ومع ذلك لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الذِّلَّةِ إِلَى الْعِزَّةِ، بل لا يزالون مستضعفين ممتهنين، لا يقر لهم قرارٌ إلا بعهود ومواثيقَ وأمانٍ يأخذونه من الناس، أو تحت حماية بعض الأمم، ولا تكون لهم شوكةٌ أبدًا.

وأعادَ ذكرَ الحبلِ، فقَالَ: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾؛ لأنهم لا يتحقق لهم العهد والأمان عندنا إلا بكونهم من أهل الكتاب – وهذا العهد الأول – فتُقبلُ منهم الجزيةُ، وهذا العهد الثاني.

﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

أَيْ: رَجَعُوا وَقَدِ اسْتَحَقُّوا غَضَبَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا يُقَالُ: بَاءَ فُلَانٌ بِذَنْبِهِ أي: رَجَعَ به؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٢٩] يَعْنِي: تَرْجِعُ بِهِمَا.

وذُكِرَ الْغَضَبُ نكرةً تعظيمًا لَهُ.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾.

أي: ولزمتهم الْمَسْكَنَةُ، وهي إظهارُ الضعفِ والفقرِ، فلا يزالون يستجدون عطفَ النَّاسِ، ويستدرون رحمتهم، بذكرِ نكباتهم، ومصَائِبهم، ومن ذلك ذكرهم المحرقة التي حدثت لليهود، على أيدي النازيين (الهلوكوست) والتهويل من شأنها، والكيد لمن أنكرها أو قلل منها.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

أَيْ: ذَلِكَ الْعِقَابُ إِشَارَةٌ إِلَى الْغَضَبِ الْإِلَهِيِّ، وَضَرْبِ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، بِسَبَبِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ.

---

١ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٦٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

وَلأنهم تَعَدَّوْا حُدُودَ اللَّهِ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُ، وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ هُوَ الْكُفْرَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ النَّبِيئِينَ؛ فكفروا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَقَتَلوا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ لما كانوا عليهِ من العِصْيانِ لأَوامِرِ اللهِ تعالى، والاعتداءِ على حُدُودِهِ؛ كما قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا حين أخذ الله عليهم الميثَاقَ وَرَفَعَ فَوْقَهُمُ الطُّورَ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

مِنَ الأساليبِ البَلاغِيةِ فِي الآيةِ: الِاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَذًى﴾، وتقدم هل هو متصلٌ أم منقطعٌ؟

والكِنَايَةُ قوله تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾، كِنَايَةٌ عَنِ الِانْهِزَامِ لِأَنَّ الْمُنْهَزِمَ يُحَوِّلُ ظَهْرَهُ إِلَى جِهَةِ مُقَاتِلِهِ وَيَسْتَدْبِرُهُ فِي هَرَبِهِ مِنْهُ، فَيَكُونُ دُبُرُهُ أَيْ: قَفَاهُ إِلَى جِهَةِ وَجْهِ مَنِ انْهَزَمَ هُوَ مِنْهُ.[1]

وَالاحْتِرَاسُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾.

والاسْتِعَارَةُ الْمَكْنِيَّةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾. وقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾. حيث شبه كلًا من الذل والمسكنة بالخباء المضروب على أصحابه.

والاسْتِعَارَةُ الْمَكْنِيَّةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾. شَبَّهَ الْعَهْدَ بِالْحَبْلِ لِأَنَّهُ يَصِلُ قَوْمًا بِقَوْمٍ، كَمَا يَفْعَلُ الْحَبْلُ فِي الْأَجْرَامِ.

والتنكيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾، للتفخيم والتهويل.

---

١ - تفسير المنار (٤/ ٥٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٣- ١١٥

لَمَّا وَصَفَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ بِالصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ فكان الحكم عامًّا في كلِ أَهْلِ الْكِتَابِ، ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَيْسُوا مُسْتَوِينَ فِي الحكمِ.

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾.

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ طائفةٌ قَائِمَةٌ أي: مَوْصُوفَةٌ بالصَّلاحِ والاستقامةِ، و﴿قَائِمَةٌ﴾. أي: مستقيمةٌ عادلةٌ، من أقمت العود فقام، بمعنى استقام.

قَالَ مَالِكٌ: يَعْنِي: قَائِمَةً بِالْحَقِّ، يُرِيدُ قَوْلًا وَفِعْلًا، وهم الذين مَاتُوا قَبْلَ أن يُدْرِكُوا شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ، أَوْ أَدْرَكُوا شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فآمَنُوا بِكِتَابِهِم وَآمَنُوا بِالْقُرْآنِ.

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَهِيَ آنَاؤُهُ فِي صَلَاتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْجُدُونَ فِيهَا.

وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ وَمِنْهُمْ أُمَّةٌ مَذْمُومَةٌ، واقتصرَ على ذِكْرِ الأُمَّةِ القَائِمَةِ لأَنَّ ذِكْرَ أَحَدِ الضِّدَّيْنِ يُغْنِي عَنْ ذِكْرِ الْآخَرِ؛ كما قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّيَ لَامْرُؤٌ ***** مُطِيعٌ فَلَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا

وَالتَّقْدِيرُ: (أَرُشْدٌ طِلَابُهَا أَمْ غَيٌّ) فَاكْتَفَى بِذِكْرِ الرُّشْدِ عَنْ ذِكْرِ الْغَيِّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾.

يُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى ويوحدونه، وَيُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوتِ والحسابِ والجزاءِ، وَيَأْتَمُرُونَ فيما بينهم بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَبَادِرُونَ إِلى فِعْلَ الْخَيْرَاتِ يبتغون الأجرَ من اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ومن كانت هَذِهِ صِفَاتُهُمْ فهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الصَّالِحِينَ؛ لأنها صفاتٌ حميدةٌ، وخصالٌ مَرْضِيةٌ.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾.

وَسُمِّيَ مَنْعُ الْجَزَاءِ كُفْرًا، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْجَحْدِ وَالسَّتْرِ، لأَنَّ الْكُفْرَ فِي اللُّغَةِ هُوَ السَّتْرُ.

وَقد عدّي تَكْفُرُونِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ: أَحَدُهُمَا نَائِبُ الْفَاعِلِ، والثاني: الهاء؛ والأصلُ أَنَّ شَكَرَ وَكَفَرَ لَا يَتَعَدَّيَانِ إِلَّا إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، يُقَالُ: شَكَرَ النِّعْمَةَ وَكَفَرَهَا؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ كَفَرَ هُنا ضُمِّنَ مَعْنَى الْحِرْمَانِ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

خص الله تعالى الْمُتَّقِينَ هنا بأنه عليم بهم مَعَ أَنَّهُ عَلِيمٌ بجميعِ خلقهِ، للدَلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَفُوزُ عِنْدَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ.

وهذه الآيات السابقة كقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.[1]

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: حذف الاختصار في قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ.....﴾. فذكر أُمَّةً واحدةً ولم يذكر بعدها أخرى، وسواء تأتي للمعادلة بين اثنين فما زاد، والتقدير: وأمة على خلاف ذلك.

وحذفٌ في قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ.....﴾. تقديره قَائِمَةٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

والْمُقَابَلَةُ في: ﴿يَأْمُرُونَ﴾، وَ ﴿يَنْهَوْنَ﴾، وَ ﴿الْمَعْرُوفِ﴾، وَ ﴿الْمُنْكَرِ﴾.

والتضمين في قوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾، ضُمِّنَ الْفِعْلُ كَفَرَ هُنا مَعْنَى الْحِرْمَانِ.

الإشارة بالبعيد في: ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. لبيان علو منزلتهم، وارتفاع مكانتهم.

والاختصاص في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٦، ١١٧

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَمَّنْ آمنَ مِنْ أهلِ الكتابِ وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لهم مِنَ الثَّوابِ، أَخْبَرَ هُنَا عن حَالِ مَنْ أَصَرَّ عَلى الكفرِ منهم وآثَرَ الضلالةَ على الهُدى فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

أي: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

وإنما ذَكَرَ تَعَالَى الأَمْوَالَ وَالأَوْلَادَ لِأَنَّ الْمَرْءَ يَفْزَعُ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ النَّوَائِبِ إِلَيهما ليدفعَ بهما الضَّرَرَ عَنْ نَفْسِهِ، فيقدمُ أَمْوَالَهُ الَّتِي جَمَعَهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَوْلَادَهُ الَّذِينَ رَبَّاهُمْ لِيَتَقِي بِهِمُ الخُطُوبَ في الدنيا، فأخبرَ تَعَالَى أن هذا الذي كان يفزع إليه الإنسان في الدنيا منتفٍ يوم القيامة؛ كما قال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[1]

وَلَفْظُ ﴿شَيْئًا﴾، نكرةٌ فِي سِياقِ النَّفْي يُفِيدُ العُمُومَ، أَيْ: لَا تُغْنِي عَنْهُمْ أي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْغَنَاءِ.

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

جَعَلَهُمْ اللهُ تَعَالَى أَصْحَابُهَا؛ لِأَنَّهَا تلازمهم ملازمة الصاحب لصاحبه، فلا تفارقهم ولا يفارقونها؛ كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أَيْ: مُلَازِمًا دَائِمًا لا يُفَارِقُ مَنْ عُذِّبَ بِهِ مِنَ الْكُفَّارِ.

---

١ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الآية/ ٨٨، ٨٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

تذييلٌ لبيانِ أَنَّ صُحْبَتُهُمْ إيَّاهَا صُحْبَةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا، وَأَنَّ عذَابَهُم لَا نِهَايةَ لَهُ.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ أَمْوَالَ الْكُفَّارِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ فِي الآخِرَةِ شَيْئًا، بَيَّنَ سبحانهُ وَتَعَالَى أَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بتلك الأموالِ حتى لو كانوا انفقوها فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الصِّرُّ الْبَرْدُ الشَّدِيدُ.

شَبَّهَ اللهُ تَعَالَى مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْكُفَّارُ مِنْ الأَمَوالِ بالزَرْعِ الذي أَصَابَتهُ رِيحٌ بَارِدَةٌ شَدِيدَةٌ فاحترق، فلم ينتفعوا منه بشيءٍ، بَعْدَمَا عقدوا عليهِ الْآمَالَ، وَرَجَوا عَائِدَةَ نَفْعِهِ؛ فإنَّ الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة.

والمعنى: هذا الإنفاق الذي يعدونه من القربات ويحتسبون أجره لن ينفعهم عند الله، وسيحبط الله أعمالهم؛ لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم لرسوله محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ هي علةُ إهلاك الزروع والثمارِز

وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بحملها عَلَى الكُفْرِ والْمَعَاصِي، فاستحقوا عقابَ اللهِ تعالى لهم.

وفي الآيةِ دليلٌ على أَنَّ المصائِبَ والْجَوَائِحَ التي تصيبُ النَّاسِ سببها مَا اقْتَرَفُوهُ من الذُنُوبِ والآثامِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.[1]

١ – سُورَةُ الشُّورَى: الآية/ ٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ حِينَ لَمْ يَتَقَبَّلْ منهم نَفَقَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

مِنَ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ: تقديم الضمير في قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؛ ليدل على التخصيص.

التَّشْبِيهُ المركبُ التمثيلي فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ....﴾. شبّه ما ينفقونه في رياءً وسمعةً بالزرع الذي أصابته الريح الباردة.

ويجوز أن يرادَ مثَلُ إهلاكِ ما ينفقون كمثَل إهلاكِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٨

الْبِطَانَةُ مَصْدَرٌ يُسَمَّى بِهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، وَبِطَانَةُ الرَّجُلِ: خَاصَّتُهُ، تَشْبِيهًا بِبِطَانَةِ الثَّوْبِ الَّتِي تَلِي بَطْنَهُ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَبْطِنُونَ أَمْرَهُ وَيَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ.

﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾.

أَيْ: مِنْ غيرِكُمْ، يعني: مِنْ دُونِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ يَشْمَلُ الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُنَافِقِينَ، وَأَهْلَ الْكِتَابِ.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾.

لَا يُقَصِّرُونَ فِيمَا فِيهِ فَسَادُ أمركم، مِنْ أَلَا يَأْلُو فِي الْأَمْرِ إِذَا قَصَّرَ فِيهِ؛ ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ [النُّورِ: ٢٢]، أَيْ: لَا يُقَصِّرُ أَصْحَابُ الْفَضْلِ، وَالسِّعَةِ.

الْخَبَالُ: الْفَسَادُ وَالِاضْطِرَابُ.

نهى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ موالاة الكفارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاتِّخَاذِهِم بِطَانَةً، يُطْلعونهم عَلَى سَرَائِرِهِمْ، ويكشفون لهم أسرارهم، ويقربونهم ويعهدون إليهم بالمهام الكبرى ثقةً بهم وحسن ظن بهم.

عَنِ ابْنِ أَبِي الدِّهْقانة قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ هَاهُنَا غُلاما مِنْ أَهْلِ الحِيرة، حَافِظٌ كَاتِبٌ، فَلَوِ اتَّخَذْتَهُ كَاتِبًا؟ فَقَالَ: قَدِ اتَّخَذْتُ إِذًا بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ.[1]

وإذا كان لَا يَجُوزُ الاستعانةُ بأَهْلِ الكتابِ فِي الْكِتَابَةِ والمراسلاتِ، فلَا يَجُوزُ الاستعانةُ بهم فيما هو أعظمُ خطرًا من ذلك، كخبراءَ ومستشارين.

١ - تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم بين الله تعالى العلة من النهي عن الاستعانة بهم فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، أي: لَا يُقَصِّرُونَ فِي إِفْسَادُ أموركم.

وَعُدِّيَ الفعلُ يَأْلُو إِلَى مَفْعُولَيْنِ: لِأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى الْمَنْعِ، أي: لا يمنعونكم خَبَالًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾.

الودُّ: شِدَّةُ المحبةِ، وَالْعَنَتُ: الْمَشَقَّة الشَّدِيدَة، وشِدَّةُ الضَّرَرِ، والهلاكُ؛ قَالَ الزجَّاجُ: العَنَتُ فِي اللُّغَةِ: الْمَشَقَّةُ الشَّدِيدَةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأعْنَتَكُمْ﴾.[1]

ومَا: مَصْدَرِيَّةٌ، أَيْ: وَدُّوا عَنَتَكُمْ؛ أَيْ: مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ، ومَا فِيهِ ضَرَرُكُم.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾.

الْبَغْضَاءُ: شِدَّةُ الكَرَاهَيةِ، أي: ظَهَرَتْ الكَرَاهَيةُ الشَّدِيدَةُ مِنْ فَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [مُحَمَّدٍ: ٣٠]، فَعَبَّرَ بِالْبَغْضَاءِ عَنْ دَلَائِلِهَا.

وَذَكَرَ الْأَفْوَاهَ دُونَ الْأَلْسِنَةِ لِبَيَانِ أَنَّهم يتَلَفَّظُون بالكلامِ الشَّنِيعِ الذي يَمْلَأُ أَفْوَاهَهُمْ؛ كَمَا يُقَالُ عن الكَلِمَةِ القبيحةِ: كَلِمَةٌ تَمْلَأُ الفَم.

فلَا يَكْتَفُونَ بِبُغْضِ الْمُسْلِمِينَ بِقُلُوبِهِمْ حَتَّى يُصَرِّحُوا بِذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ.

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.

وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ بغضًا، وأَشدُّ عداوةً مِمَّا ظَهَرَ مِنْ كلامهم.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ مُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُعَادَاةِ الْكُفَّارِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ٢٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

مِنَ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ: التَّشْبِيهُ التمثيلي فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾. شبه تعالى خواصَّ الرجلِ بالبطانة، وهي الثِّيابُ الَّتِي تَلِي بَطْنَهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَبْطِنُونَ أَمْرَهُ وَيَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى مَا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ.

والتضمينُ في قولهِ: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، فقد عُدِّيَ الفعلُ يَأْلُو إِلَى مَفْعُولَيْنِ: لِأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى الْمَنْعِ، أي: لا يمنعونكم خَبَالًا.

ذِكْرُ الشيءِ ببَعْضِ دَلَائِلِهِ في قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾. فَعَبَّرَ بِالْبَغْضَاءِ عَنْ دَلَائِلِهَا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٩، ١٢٠

هذا تَحْذِيرٌ من اللهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ لمحبتهم للمنافقين وأَهْلِ الْكِتَابِ، وهو أمرٌ يُتَعَجَبُ منه لبغضِ المنافقين وأَهْلِ الْكِتَابِ لِلْمُؤْمِنِينَ، لأنَّ الأَصلَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ تَجْلِبُ الْمَحَبَّةَ، وَالمنافقون وأَهْلُ الْكِتَابِ يُبْغِضُونَ الْمُؤْمِنِينَ، فَالْعَجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُمْ فِي حَالِ بُغْضِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَسَبَبُ مَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ لهم مَا كانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَالْمُصَاهَرَةِ، وَأَنَّ المنافقينَ أَظْهَرُوا لَهُمُ الْإِيمَانَ، وَسَبَبُ بُغْضِ الكَفارِ اعتناقُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِسْلَامَ.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾.

الْكِتَابُ اسم جنسٍ بدليلِ قوله: ﴿كُلِّهِ﴾. أي: وَتُؤْمِنُونَ بِالْكُتُبِ كُلِّهَا؛ بكِتَابِكُمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ القرآنِ، وَكُتُبِهِمُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِم ومنها التوراة والإنجيل، وقد أخبر اللهُ تَعَالَى عن أهل الكتاب أنهم يؤمنون ببعض الكتب ويكفرون ببعض؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.[1]

وفي الكلامِ حَذْفٌ تقديره: وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وعلمَ المحذوف من ذِكْرِ ضِدِّهِ.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾.

إِذَا لَقِيَ الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَظْهَرُوا لَهُمُ الْإِيمَانَ وَالْمُوَالَاةَ وَالْمُصَافَاةَ، وَقَالُوا لَهُمْ: آمَنَّا باللهِ وَصَدَّقْنَا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.[1]

﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

الْعَضُّ: شَدُّ الشَّيْءِ بِالْأَسْنَانِ بِقُوَّةٍ. وَعَضُّ الْأَنَامِلِ هُنَا كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ غَيْظِهم عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

وَالْأَنَامِلُ جَمْعُ أُنْمُلَةٍ، وَهِيَ أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ.

وَالمعنى: إِذَا انْصَرَفُوا أَظْهَرُوا التَّحَسُّرَ وَالْكَرَاهِيَةَ وَالْغَيْظَ والحِنْقَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِعَضِّ أَنَامِلِهم؛ لِمَا يرَوْنَهُ مِنَ تآلفِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ.

حَالُهُم فِي ذَلكَ كَحَالِ مَنْ يضربُ نَفْسَهُ مِنَ الْغَضَبِ، وَيعَضُّ أَصَابِعَهُ مِنَ الْغَيْظِ، وَيَقْرَعُ سِنَّهُ مِنَ النَّدَمِ، وَيَضْرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ مِنَ التَّحَسُّرِ.

﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾.

دُعَاءٌ عَلَى أولئكَ الَّذِينَ يَعَضُّونَ أَنَامِلَهُم مِنَ الْغَيْظِ أَنْ يَسْتَمِرَّ غَيْظُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ فيَمُوتُوا بغَيْظِهِمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

اللَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وإيمانٍ وكفرٍ، كِنَايَةٌ عَنْ مُجَازَاتِهِم بما يعتقِدُونَهُ مِنْ ذلك.

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ١٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

يخبرنا اللهُ تَعَالَى عن شِدَّةِ عَدَاوَةِ الكفارِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَنِ الْحِقْدِ الذي تنطوي عليه صُدُورُهُمْ، فقال: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾، فَإِذَا أَصَابَ الْمُؤْمِنِينَ خِصْبٌ ورخاءٌ، وَنَصْرٌ وَتمكينٌ، سَاءَ ذَلِكَ الْمُنَافِقِينَ والكفَّارَ، كما حدثَ من اليَهُودِ لَمَّا نصرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ اليَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا.

والتعبيرُ بالْمَسِّ عِنْدَ ذِكْرِ الحَسَنَةِ؛ للدِّلَالَةِ عَلَى أنهم تَسُؤْهُمْ أَدْنَى حَسَنَةٍ، ولا يريدون أي خير لأهل الإيمانِ.

﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾.

وأخبرَ تَعَالَى أنهم يَفْرَحُونَ بِنُزُولِ الشَّدَائِدِ بِالْمُؤْمِنِينَ كالْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ، وَهَذَا الْفَرَحُ شَمَاتَةٌ منهم بِالْمُؤْمِنِينَ؛ كَمَا فَرِحَ الْمُنَافِقُونَ بِمَا جَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُد؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا.....﴾.[1]

وذكر تعالى السَّيِّئَةَ بِلَفْظِ الْإِصَابَةِ، وهو يدلُّ عَلَى شِدَّةِ عَدَاوَتِهم لِلْمُؤْمِنِينَ، فقد يرقُّ الإنسانُ لعدوه إذا عَظُمَ مُصَابُهُ، وهؤلاء يَفْرَحُونَ بِنُزُولِ الشَّدَائِدِ بِالْمُؤْمِنِينَ.

وَلفظ: (حَسَنَة)، و (سَيِّئَة) نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ تفيدُ العُمُومَ، فهم يَفْرَحُونَ لكل سَيِّئَةٍ، ويحزنون لكلِ حَسَنَةٍ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾.

وأرشدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بالتَّحَلِّي بالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، مِنَ اتِّخَاذِ بِطَانَةٍ مِنْ الكفارِ أعداءِ اللَّهِ، وَالتزامِ التَّقْوَى باجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وجَعَلَ سبحانه وتعالى ذلك شرطًا للنَّجاةِ مِنْ مَكْرِ أعدائهم وغَوَائِلِهِم.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

إِنَّ اللَّهَ عليم بما يُدبّرونه من مكائد، ويحيكونه من مؤامراتٍ، وَعَبَّرَ بِالْإِحَاطَةِ عَنْ الِاطِّلَاعِ التَّامِّ وَالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ، وإخبارُ الله تعالى بإحاطته بِمَا يَعْمَلُونَ كنايةٌ عن مجازاتهم على مكرهم.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

مِنَ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ: والكِنَايَةُ في قوله: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ غَيْظِهم.

وَالجناسُ الْمُمَاثِلُ في: (تُؤْمِنُونَ)، و (آمَنَّا) وفي: (تُحِبُّونَهُمْ)، وَ (لا يُحِبُّونَكُمْ). وفي: (الْغَيْظِ)، و (بِغَيْظِكُمْ).

والاستعارة في قوله: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾، والتعبيرُ بالْمَسِّ عِنْدَ ذِكْرِ الحَسَنَةِ؛ للدِّلَالَةِ عَلَى أنهم تَسُؤْهُمْ أَدْنَى حَسَنَةٍ.

والطباق في: (تُحِبُّونَهُمْ)، و (لا يُحِبُّونَكُمْ) من قوله: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾.

وفي: (حَسَنَة)، و(سَيِّئَة)، و(تَسُؤْهُمْ)، و(يَفْرَحُوا بِهَا) من قوله: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢١، ١٢٢

فِي الكلامِ فِعْلٌ مُضْمَرٌ تَقْدِيرُهُ: وَاذْكُرْ يا محمدُ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ، وَالْغُدُوُّ هو الخروجُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ.

﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾، أي: مِنْ مَنْزِلِكَ، وَهُوَ بَيْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾.

أي: تنزلهم منازلهم، وتبين لهم مراكزهم، وتصفهم في مصافهم للقتال، ميمنة وميسرة، والقلب، والمباءة: المنزل.

وَالْمَقَاعِدُ جَمْعُ مَقْعَدٍ، وَهِيَ هُنَا الْمَوَاقِعُ لِلْجَمَاعَاتِ مِنَ الْجَيْشِ، وَالمرادُ بها التَّعْبِئَةُ لِلْوَاقِعَةِ، وقيل لها مَقَاعِدُ لأنهم أمروا بالثبات فيها وعدم الانتقال منها.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

سَمِيعٌ لأَقْوَالِهِم، عَلِيمٌ بنياتِهِم، وأَعْمَالِهِم.

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، على الصحيحِ من أقولِ المفسرين، وَكَانَتْ يومَ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَوَّال سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وكانَ سَبَبُ هَذِهِ الغَزْوَةِ أَنَّهُ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ يوْمَ بَدْرٍ وَقُتل مَنْ قُتِلَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بِالعِيرِ سالمةٍ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكُمْ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ، فَلَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَصَابَ مِنَّا، فَفَعَلُوا، وَجَمَعُوا الْجُمُوعَ وَالْأَحَابِيشَ، وَمَنْ تَابَعَهُم مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَأَقْبَلُوا فِي نحوٍ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مقاتلٍ، حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ أُحُدٍ تِلْقاءَ الْمَدِينَةِ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ خَيْرًا، رَأَيْتُ بَقَرًا، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي ثَلْمًا، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مُقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا.

وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَلَّا يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ، فَقَالَ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اُخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا.

فَلَمْ يَزَلْ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبُّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَهُ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِيْنَ فَرَغَ مِنْ الصَّلَاةِ.

ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ. فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَكْرَهْنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ الشِّعْبَ مِنْ أُحُدٍ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أُحُدٍ، وَقَالَ: لَا يُقَاتِلُنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى نَأْمُرَهُ بِالْقِتَالِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ، وَقَدْ وَعَدَهُمُ الْفَتْحَ إِنْ صَبَرُوا؛ فَلَمَّا كَانَ ببعضِ الطريقِ رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فِي ثُلُث الْجَيْشِ مُغْضَبا؛ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأخذ بقَوْلِهِ حين أشارَ عليه بالبقاءِ في المدينةِ، وجعلوا يقولون: لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ، فَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ فِي ثَلاَثِمِائَةٍ، هَمَّ بَنُو سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ وَبَنُو حَارِثَةَ مِنَ الْأَوْسِ، بِالرُّجُوعِ حِينَ رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، وَاتِّبَاعِهِ فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَثَبَتُوا مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالْفَشَلُ فِي اللُّغَةِ: ضَعْفٌ مَعَ جُبْنٍ، والمرادُ به تركُ القتالِ والانسحابُ من أرضِ المعركةِ.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. ثناءٌ من اللهِ تعالى عليهما بأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُمَا عَلَى ذَلِكَ الْهَمِّ الَّذِي وقعَ منهما، وَلَوْ صَارَ عَزْمًا لَكَانَ سَبَبَ شَقَائِهِمَا.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا﴾. قَالَ: نَحْنُ الطَّائِفَتَانِ بَنُو حَارِثَةَ، وَبَنُو سَلِمَةَ وَمَا نُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تُنْزَلْ لِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.[1]

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أمرَ اللهُ تَعَالَى المؤمنين بالتوكلِ عليه بعد وقوعِ الهمّ منَ الطَّائِفَتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى منْ أعظمِ أَسْبَابِ الثباتِ عِنْدَ القِتَالِ، والنجاةِ مِنْ وسَاوسِ الشيطانِ.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، حديث رقم: ٤٥٥٨، ومسلم-كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، حديث رقم: ٢٥٠٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في الآيات: الْعَامُّ الذي يُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ فِي قوله: ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾، وَهُوَ بَيْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَالِاخْتِصَاصُ فِي قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وَفِي قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٣- ١٢٨

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أمرَ اللهُ تَعَالَى المؤمنين في الآية السابقةِ بالتوكل عليه ضرب لهم مثلًا في هذه الآية على كفايته سبحانه لمن توكل عليه، وإن كان في غاية الضعف، ونصره الله تعالى وإن لم يملكِ من أسبابِ النصرِ شيئًا.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾.

يمتن اللهُ تَعَالَى على المؤمنين بنَصرِ يومَ بَدْرٍ، وَهُوَ يَوْمُ الْفُرْقَانِ، وَهُوَ يَوْمٌ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وأذلَّ فِيهِ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ.

وَكَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَمِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ فَرَسَانِ: فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ وَفَرَسٌ لِلْمِقْدَادِ بْنِ الأسود، وَسَبْعُونَ بَعِيرًا، فَكَانُوا يَتَعَاقَبُونَ، الثَّلَاثَةُ، وَالْأَرْبَعَةُ، وَالِاثْنَانِ، عَلَى بَعِيرٍ، وَالْبَاقُونَ مُشاة، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ زُهَاءَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَمَعَهم مِائَةُ فَرَسٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالْفَقْرِ وَالْعَجْزِ، وَكَانَ الْكُفَّارُ فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَالْقُوَّةِ، ومع ذلك نصرهم اللَّهُ نصرًا مؤزرًا، وَأَعَزَّ رَسُولَهُ، وَأَظْهَرَ دينَهُ، وَقَتَلَ فِي يومِ بَدْرٍ صَنَادِيدُ الْمُشْرِكِينَ.

وَبَدْرٌ: اسْمُ بِئْرٍ حَفَرَهَا رَجُلٌ مِنْ غِفَارٍ، اسْمُهُ: بَدْرٌ، وَهُوَ مَوضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. أَذِلَّةٌ جَمْعُ ذَلِيلٍ، وهوَ جَمْعُ قِلَّةٍ، وَذَكَرَ جَمْعَ الْقِلَّةِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُمْ مَعَ ذُلِّهِمْ كَانُوا قِلَّةً، وَمَعْنَى الذُّلِّ ضُعْفُ قوتهم، وَقِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ، بالنسبةِ لعدوهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

فَإِنَّ التَّقْوَى هِيَ سَبَبُ تَحقِيقِ الشُّكْرِ، وبُلوغِ مَنْزِلَتِهِ.

وقيل: وُضِع الشكرُ موضِعَ سببِه الذي هو الإنعامُ، وتقدير الكلام: فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ يُنعمُ اللهُ عليكم بالنصرِ كما فعل ذلك من قبل.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾.

اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الْوَعْدَ هل كانَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَوْ يَوْمَ أُحُدٍ؟

والراجح أنه كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وهو ظاهر سياق الكلام، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَرَهُمْ بِبَدْرٍ حِينَمَا قَالَ الرَّسُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.....﴾.

وأيضًا لقِلَّةِ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ وَقِلَّةِ عُدَدِهم يَوْمَ بَدْرٍ احتاجوا إِلَى مَا يُقوي قُلُوبَهُم.

قَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾، قَالَ: هَذَا يَوْمُ بَدْر.[1]

وأما اختلافُ الأعدادِ بِذكرِ أَلْفٍ أولًا ثُمَّ ثَلَاثَةِ آلَافٍ، ثُمَّ خَمْسَةِ آلَافٍ، فترقٍ في الخطابِ لإظهار منة الله تعالى على الْمُؤْمِنِينَ، فقد أَمَدَّهم اللهُ تَعَالَى بِأَلْفٍ ثُمَّ زَادَهم أَلْفَيْنِ فَصَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، ثُمَّ زَادَ أَلْفَيْنِ فَصَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ، زيادةً في تثبيت قلوبهم.

قَالَ الرَّبِيع بْنُ أَنَسٍ: أَمَدَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَلْفٍ، ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾. سؤال الغرض منه التقرير؛ وقال: ﴿أَلَنْ﴾؛ لتأكيد النفي لأنهم كانوا لقلتهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَكْفِيَكُمْ﴾. من الْكِفَايَةِ وهِي سَدُّ الْخَلَّةِ وَالْقِيَامُ بِالْأَمْرِ.

الْمَدُّ فِي الْأَصْلِ: عِبَارَةٌ عَنْ بَسْطِ الشَّيْءِ، واتصاله بغيره، وأصله من مد الحبل.

---

١ - تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ الْمُفَضَّلُ: مَا كَانَ عَلَى جِهَةِ الْقُوَّةِ وَالْإِعَانَةِ، قِيلَ فِيهِ: أَمَدَّهُ يُمِدُّهُ، وَمَا كَانَ عَلَى جِهَةِ الزِّيَادَةِ قِيلَ فِيهِ: مَدَّهُ يَمُدُّهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾.[1]

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُمِدَّكُمْ﴾. منْ أَمَدَّ ويكون في حق الْمُؤْمِنِينَ غالبًا؛ كما في هذه الآية، وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.[2]

ولفظ: مَدَّ في حَقِّ الكُفَّارِ غالبًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً﴾.[3]

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُنْزَلِينَ﴾. أي: بالنصر، وتثبيت قلوب المؤمنين.

﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾.

بَلَى: جوابٌ للسؤالِ المتقدمِ في قوله: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾. وَلَمَّا كان السؤالُ منفيًّا بلَنْ، أتى الجوابُ ببَلَى، والمعنى: بَلَى يَكْفِيكُمُ الْإِمْدَادُ بِهِمْ.

وقد جعل اللهُ تَعَالَى نزولَ الْمَلَائِكَةِ مَشْرُوطًا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، الصَّبْرُ وَالتَّقْوَى وَمَجِيءُ الْكُفَّارِ عَلَى الْفَوْرِ، ولَمَّا تحقَّقَ ذلكَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَمَدَّهُمُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ.

قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ هَذَا يَوْمَ بَدْرٍ، أَمَدَّهُمُ اللَّهُ بِأَلْفٍ ثُمَّ صَارُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلَافٍ.

الْفَوْرُ: الْعَجَلَةُ وَالْإِسْرَاعُ، وَأَصْلُهُ مِنْ فَارَتِ الْقِدْرُ إذا اشْتَدَّ غَلَيَانُهَا، وَبَادَرَ مَا فِيهَا إِلَى الْخُرُوجِ؛ ومنه قوله تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ﴾. [هُودٍ: ٤٠]، ثُمَّ اسْتُعِيرَ الْفَوْرُ لِلسُّرْعَةِ، والمعنى: إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ سَاعَتِهِم هذهِ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾. أَيْ مُعَلِّمِينَ، عَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَاتٍ مَخْصُوصَةٍ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾.

---

١ – سُورَةُ لُقْمَانَ: الآية: ٢٧

٢ – سُورَةُ الطُّورِ: الآية/ ٢٢

٣ – سورة مريم: الآية/ ٧٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى الحكمةَ التي من أجلها أخبرَ المؤمنينَ بنزولِ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وهي أنه تَعَالَى جعلَ ذَلكَ بِشَارَةً أهلِ الإيمانِ وَتَطْمِينًا لقُلُوبِهِمْ، بِأَنَّهُمْ مَنْصَرُونَ.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

لَوْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى لَانْتَصَرَ مِنْ أَعْدَائِهِ بغيرِ قِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ لهمْ، لَكِنَّهَا سنةُ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.[1]

لتَمْحِيصِ الْمُؤْمِنِينَ، ومَحْقِ الْكَافِرِينَ؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.[2]

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

ليَهْلِكُ اللهُ تَعَالَى طَائِفَةً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَجَحَدُوا نُبُوَّةَ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسبقَ في علمِ اللهِ تَعَالَى أنهم لن يهتدوا؛ فَقَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَنَادِيدُ الْكُفَّارِ وَقَادَتُهُمْ وَقَطَعَ اللهُ شَرَّهم، واستأصلَ شأفتهم.

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾.

أَوْ يُخْزِيهِم وَيُخْزِنُهُمْ، وَالْمَكْبُوتُ الْمَحْزُونُ، فيَرْجِعَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ خَائِبِينَ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة مَا ثبتَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ

١ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ٤

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٤٠، ١٤١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ أَوْ يَدْعُوَ لِأَحَدٍ، قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، فَرُبَّمَا قَالَ: إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»، يَجْهَرُ بِذَلِكَ، وَكَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلاَتِهِ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ: «اللَّهُمَّ العَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، لِأَحْيَاءٍ مِنَ العَرَبِ» حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.[2]

ولا مانع أن يكون الأمران سببًا لنزول الآية، ويجمع بينهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَنَتَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ، لما غَدَرُوا بِالْقُرَّاءِ وَقَتَلُوهُمْ، فلمَّا كانَ يَوْمُ أُحُدٍ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ؛ فَدَعَا فَأَنْزَلَتْ الآيةُ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ رِعْلٌ، وَذَكْوَانُ، وَعُصَيَّةُ، وَبَنُو لَحْيَانَ، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا، وَاسْتَمَدُّوهُ عَلَى قَوْمِهِمْ، «فَأَمَدَّهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ»، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ، يَحْطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، فَانْطَلَقُوا بِهِمْ، حَتَّى بَلَغُوا بِئْرَ مَعُونَةَ، غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ، فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبَنِي لَحْيَانَ.[3]

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ، حديث رقم: ١٧٩١، والبخاري- تعليقًا، بَابُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. [آل عمران: ١٢٨]، (٥/ ٩٩)

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، حديث رقم: ٤٥٦٠

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ العَوْنِ بِالْمَدَدِ، حديث رقم: ٣٠٦٤، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ، حديث رقم: ٦٧٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

خِطَابٌ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينهاه الله تعالى عَنِ الدُّعَاءِ على المشركين على ما اقترفوه، فَكَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ؛ فالْأَمْرُ كُلُّهُ للهِ، وله الحكم في الأولى والآخره، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، وكان ذلك باجتهادٍ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْأَحْكَامِ وَلَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ بِوَحْيٍ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْحُكْمِ شَيْءٌ فِي عِبَادِي إِلَّا مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فِيهِمْ، وَالْحِكْمَةُ من النهي عن الدعاء عليهم أَنَّهُ تَعَالَى يعْلَمُ أَنَّ مِنْ هؤلاء الْكُفَّارِ من سيؤمنُ، أَوْ سيَكُونُ منهُ مُسْلِمُون أتقياء.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ لَك مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قولهِ تَعَالَى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾. وقولهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. لبيانِ أَنَّ الحُكْمَ على العبادِ لَهُ وَحْدَهُ سبحانه، وليس لأحد من الخلق فيه شيءٌ.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

والْآيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِمَا قَبْلَهَا وَتَقْدِيرُ الكلامِ: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، أَوْ يَكْبِتَهُمْ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾، علة للعذاب إذا وقع عليهم فإنهم ظلموا أنفسهم بالكفر بالله تعالى وعبادة غيره؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآيات: تلوينُ الخطابِ في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، بتخْصِيصِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تشريفًا له وإيذانًا بأن وقوعَ النصرِ كان ببشارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١ – سُورَةُ لُقْمَانَ: الآية/ ١٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الهمزة للسؤالِ الذي يفيدُ الانكارَ في قَولِ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾. وقد أحالت النفي إلى إيجاب.

ووُضِع الشكرُ موضِعَ سببِه الذي هو الإنعامُ في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ومنها: ذكر اسم الربِّ، في قوله: ﴿أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ﴾، مع إضافته إلى ضمير المخاطبين لإظهار عنايةِ الله تعالى بهم وإشعارِهم بعلةِ الإمداد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٩

هَذِهِ الآيةُ تَذْيِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. [آلِ عِمْرَانَ: ١٢٨]، وَالمرادُ منه تقريرُ أَنَّ الْأَمْرَ كلَّهُ لِمَنْ لَهُ الْمُلْكُ وحْدَهُ.

وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ)؛ ليدخل في ذلكَ الْعَالَمُ كلُّهُ بمَا فيهِ، فإن (مَا) يدخل فيها العاقلُ وغير العاقلِ.

﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

اللهُ تباركَ وتَعَالَى يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ رحمةً منه وفضلًا، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ حكمةً منه وعدلًا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، الخلق خلقه والأمر أمره؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾.[1]

وقدم سبحانه وتعالى المغفرةَ ترغيبًا للعبادِ في الإقبال على طاعته وعبادته؛ وللأن رحمته تسبق غضبه؛ كما أخبر عنه أعلم الخلق به رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي».[2]

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تَذْيِيلٌ لتَرْجِيحِ المَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ عَلَى الغَضَبِ والعَذَابِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية الطباق في: (السَّمَاوَاتِ) و (الْأَرْضِ)، وفي: (يَغْفِرُ) وَ (يُعَذِّبُ).

والجناس في: (يَغْفِرُ)، و (غَفُورٌ).

---

١ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَة/ ٥٤

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، حديث رقم: ٧٤٢٢، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والتخصيص تقديم الضمير في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

والإطناب بتكرار (مَا فِي)، و (مَنْ يَشَاءُ)، للتأكيدِ.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ لما للفظ الجلالة في النفوس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَة/ ١٣٠- ١٣٢

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا نَهَى اللهُ تَعَالَى عن موالاة الكفارِ واتخاذهم بِطَانَةً مِنْ دُونِ المؤمنين، وحذَّر من ذلك، نَهَى اللهُ تَعَالَى عن أفعالهم، ومن أظهر القبيحة أكلُ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.

كَانُوا المشركون فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ إِذَا حَلّ أَجَلُ الدَّيْنِ: إِمَّا أَنْ تَقْضِي وَإِمَّا أَنْ تُرْبِي، فَإِنْ قَضَاهُ وَإِلَّا زَادَ فِي الْمُدَّةِ، وَزَادَهُ الآخَرُ فِي قَدْرِ الرِّبَا.

فنَهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ تَعَاطِي الرِّبَا وَأَكْلِهِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً مشابهةً للمشركين.

قَالَ قَتَادَةَ: رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ، يَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ صَاحِبِهِ قَضَاءٌ زَادَهُ وَأَخَّرَ عَنْهُ.

وقد استدل بعضهم بهذه الآية على جوازِ أَكْلِ الرِّبَا إذا لم يكن أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً؛ لأنه من باب مفهوم المخالفة، وهو قولٌ ساقطٌ ليس له حظٌ من النظرِ، وليس عليه أي أثارةٌ من العلمِ، وإن دل على شيءٍ، فإنما يدلُ على جهلِ قائلِهِ، فإنَّ مفهومَ المخالفةِ لا يحتج به هنا؛ لأن الكلام خرَجَ مخرجَ الغالبِ، وقُصِدَ به التنفيرُ منْ حالِ أهلِ الجاهليةِ، الذين كان هذا حالهم، وإذا كان كذلك فلا مفهوم له.

وكيف يصح هذا القول وهو يصادمُ النصوصَ الشرعيةَ الثابتةَ في دينِ اللهِ تَعَالَى، ومما يؤسف له أن من علماء المسلمين من يقول ذلك – أن المحرم فقط هو الرِّبَا الجاهليةِ، والذي تكون فيه الفائدةُ أضعافَ الدينِ – ضاربًا بنصوص الشرع عرض الحائط، تارة بدعوى المصلحة، وتارة بدعوى التراضي بين الطرفين، وتارة بدعوى الضرورة، وأي مصلحة في مخالفة شرعِ اللهِ تَعَالَى؟

وأَيُّ مصلحةٍ في شيوعِ الرِّبَا بين النَّاسِ حتى لا يكادُ يسلمُ منه أحدٌ؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى أَصْبَحنَا كمَا قالَ النَبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ أَكَلَ الرِّبَا فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ».[1]

وإنما أتت الشريعةُ بجلبِ المصالحِ وتكميلها، ودرءِ المفاسدِ وتقليلها.

ومتى كان التراضي علة للتحليل والتحريم؟

وإذا تراضى الطرفان على الزنا، هل يكون مباحًا؟ وإذا اتفقا على الشغار هل يكون حلالًا؟

وأي ضرورة في إباحةِ الرِّبَا؟ وهل التقيد بالنظام العالمي ضرورة؟

وقال بعض العلماء إنما حُرِّمَ الرِّبَا بالتدرج، وهذه الآية هي أول آية نزلت في تحريمِ الرِّبَا.

وهو قول ليس عليه دليل كذلك، والصحيح أن قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾، خرجَ هذا مخرجَ الغالبِ كما قدمنا، فلا مفهومَ لهُ في جوازِ أكلِ القليلِ من الرِّبا، وإنما المراد من الكلام التنفيرُ من فعلِ أهلِ الجاهليةِ؛ لقبحه وبشاعته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ينهى اللهُ تَعَالَى المؤمنين عن أكلِ الربا بَعْدَ أن هَدَاهُمْ للإسلام كَمَا كانوا يَأْكُلُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، وَكَانَ أَكْلُهُمْ الرِّبَا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وذكر تعالى وصف الربا بقوله: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾، تنفيرًا لهم عما كانوا يفعلونه، وتوبيخًا لهم على أكله.

وقوله تعالى: ﴿أَضْعَافًا﴾، جَمْعُ ضِعْفٍ؛ لأنهم كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَأْخُذَ الْمُرْبِي أَضْعَافَ دَيْنِهِ الَّذِي كَانَ لَهُ، ونصبَ على أنه حَالٌ.

وقوله: ﴿مُضَاعَفَةً﴾، وفي القراءةُ الأخرى: (مُضَعَّفَةً) صِفَةٌ لِلْأَضْعَافِ، وَتَأْكِيدٌ لقوله: ﴿أَضْعَافًا﴾، مُبَالَغَةً فِي التَّوْبِيخِ للدلالةِ عَلَى شَنَاعَةِ فِعْلِهِمْ وَسوءِ معاملاتهم، وفيه إِشَارَةٌ إِلَى تَكْرَارِ التَّضْعِيفِ عَامًا بَعْدَ عَامٍ كَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.

---

١ - رواه أبو داود- كتاب البيوع، باب في اجتناب الشبهات، حديث رقم: ٢٩١٠، والنسائي- كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب، حديث رقم: ٥٨٦١، وابن ماجة- كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، حديث رقم: ٢٢٧٥، بسند ضعيف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أجمع العلماء على أن قليل الربا وكثيره في الحرمة سواء؛ قال الإمام أبو بكرٍ الجصاص: وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَخْصُوصَ بِالذِّكْرِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا عَدَاهُ بِخِلَافِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ تَحْرِيمِ الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً دَلَالَةً عَلَى إبَاحَتِهِ إذَا لَمْ يَكُنْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.[1]

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ولما كان الرِّبَا مِنَ الْكَبَائِرِ أمر الله تعالى باجتنابه تحقيقًا للتَّقْوَى وطلبًا لْلْفَلَّاحِ وَالْفَوْزُ، في الدنيا والآخرة.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

ولما توعد الله تعالى الكفار بالنارِ على كفرهم وعصيانهم، نهى الله تعالى المؤمنين عن مشابهتهم في تعاطي المحرماتِ، حتى لا يصبهم ما ينتظر الكافرين من عذاب الله في النار.

وفي الكلام تعريض بأن الربا من شعار الكفار، ويجب على المؤمن أن يجتنبه.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ثم أمر الله تعالى المؤمنين بلزوم طاعته تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه المبلغ عن الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.[2]

وعلق سبحانه وتعالى الرحمة على أمتثال أمره واجتناب نهيه، والمتابعة لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الجِنَاسُ الْمُمَاثِلُ فِي قَولِهِ: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾.

والمبالغةُ فِي قَولِهِ: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾. تنفيرًا لهم عما كانوا يفعلونه، وتوبيخًا لهم على أكله.

---

١ - أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٤٧)

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٨٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَتَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ فِي قَولِهِ: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا..﴾. سَمَّى الْأَخْذَ أَكْلًا، لِأَنَّهُ يؤول إليه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٣- ١٣٦

أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ التي من آثارها مَغْفِرَةُ الذنوبِ، والفوزُ بالجنان، ورضى الرحمن عزَّ وجلَّ، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأرْضِ﴾.[1]

وهذا الذي ينبغي أن تكون فيه المسابقةُ، والمسارعةُ والتنافس، وقد ندب رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ أَنْ يُشْغَلُوا، وَقَبْلَ أَنْ تصيبهم فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».[2]

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾. وجاءَ لفظُ (مَغْفِرَةٍ) نكرةً لتَعْظِيمِهَا، وأضيفتْ إِلَى الربِّ تعالى ترغيبًا للعبادِ.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾. في الكلام حذفٌ تَقْدِيرُهُ: عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، والمعنى: سَعَتُهَا كَاتِّسَاعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وليس المرادُ بالعرضِ الذي يخالفُ الطولَ، وَيُطْلَقُ الْعَرْضُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى الِاتِّسَاعِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْعَرِيضَ هُوَ الْوَاسِعُ فِي الْعُرْفِ؛ كما يقال: بِلَادٌ عَرِيضَةٌ، أَيْ وَاسِعَةٌ، كما قيل:

كَـــأَنَّ بِـــلَادَ اللَّهِ وَهْـــيَ عَرِيضَـــةٌ ***** عَلَـى الْخَـائِفِ الْمَطْلُـوبِ كِفَّـةُ حَابِـلِ

١ - سُورَةُ الْحَدِيدِ: الْآيَةَ/ ٢١

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، حديث رقم: ١١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَدَّمَ سبحانه وتَعَالَى ذِكْرَ الْمَغْفِرَةِ عَلَى الْجَنَّةِ لِأَنَّهَا السَّبَبُ الْمُوصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

أي: هيئت لِلْمُتَّقِينَ، كما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ».[1]

وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لَهُمْ، وَغَيْرُهُمْ تَبَعٌ لَهُمْ، وفيه دليلٌ على أَنَّ الجنة مخلوقةٌ.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾.

السَّرَّاءُ: مَصْدَرُ سَرَّ مَسَرَّةً وَسُرُورًا، وَالضَّرَّاءُ: مَصْدَرُ ضَرَّ يُضَرُّ.

يثني اللهُ تَعَالَى على الْمُتَّقِينَ ببيان صفاتهم التي أدخلهم الله بها الجنة فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾. يعني: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي حَالِ الرَّخَاءِ وَالسُّرُورِ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَرَغَدِ الْعَيْشِ، وَفِي حَالِ الضَّرِّ وَالشِّدَّةِ والضِّيقِ بِقلةِ الْمَالِ وَشَظفِ الْعَيْشِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.[2]

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

ومن صفاتِ الْمُتَّقِينَ كَظْمُ الْغَيْظِ وهو: رَدُّهُ فِي الْجَوْفِ، يُقَالُ: كَظَمَ غَيْظَهُ إِذَا لَمْ يُظْهِرْهُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُظْهِرَهُ؛ عَنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ».[3]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، حديث رقم: ٣٢٤٤، ومسلم– كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، حديث رقم: ٢٨٢٤

٢ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَة/ ٢٧٤

٣ – رواه احمد– حديث رقم: ٦١١٤، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْحِلْمِ، حديث رقم: ٤١٨٩، والطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٧٢٨٢، بسند صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ».[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ».[2]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ».[3]

وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْغَضَبَ لَيُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ».[4]

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: «إِنَّ الْغَضَبَ لِيُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ».[5]

وقيلَ: أقربُ مَا يُكُونُ المرءُ مِنْ غَضَبِ اللهِ إذَا غَضِبَ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

يعني: عَنْ ظُلْمِهِمْ وَإِسَاءَتِهِمْ، والْعَفْوُ دَلِيلُ شَرَفِ النَّفْسِ وَرِفْعَتِهَا؛ كَمَا قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ:

لَـنْ يَبْلُـغَ الْمَجْـدَ أَقْـوَامٌ وَإِنْ شَـرُفُوا ***** حَـــتَّى يَـــذِلُّوا وَإِنْ عَـــزُّوا لِأَقْـــوَامِ

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٥٦٣٧، وأبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، حديث رقم: ٤٧٧٧، والترمذي- أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِي كَظْمِ الغَيْظِ، حديث رقم: ٢٠٢١، وابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْحِلْمِ، حديث رقم: ٤١٨٦، بسند حسن.

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ، حديث رقم: ٦١١٦

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ، حديث رقم: ٦١١٤، ومسلم- كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ، حديث رقم: ٢٦٠٩

٤ - رواه البيهقي في شعب الإيمان- حسن الخلق، فصل في ترك الغضب، وفي كظم الغيظ، والعفو عند المقدرة، حديث رقم: ٧٩٤١

٥ - الجامع لابن وهب- فِي الْكَلَامِ لِمَا لَا يَنْبَغِي وَلَا يَحْسُنُ، حديث رقم: ٣٢٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُشْرِقَةً ***** لَا عَفْوَ ذُلٍّ وَلَكِنْ عَفْوَ إِكْرَامِ

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يُنَادِي الثَّانِيَةَ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، فَيُقَالُ: وَمَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، فَيَقُولُ: الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ».[1]

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

الإِحْسَانُ فِي كلِ شَيءٍ أَعْلَاه وَذِرْوَتُه، فَالإِحْسَانُ فِي الاعتقادِ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَالإِحْسَانُ فِي العَطَاءِ أن تُعْطِي بِغَيرِ حِسَابٍ، وأَنْ تنفقَ على مَنْ لا تلزمك نفقَتُهُ.

ومن كان من أهل الإِحْسَانِ كان أولى الناس بإِحْسَانِ اللهِ إليه؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾.[2]

واللهُ تعالى كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، حتى فِي ذَبْحِ البَهِيمَةِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ».[3]

وَجَاءَتْ جَارِيَةٌ لِمَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ ذَاتَ يَوْمٍ بِصَحْفَةٍ فِيهَا مَرَقَةٌ حَارَّةٌ، وَعِنْدَهُ أَضْيَافٌ فَعَثَرَتْ فَصَبَّتِ الْمَرَقَةَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ مَيْمُونٌ أَنْ يعاقبها، فقالت: يا مولاي، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾. فَقَالَ لَهَا: كَظَمْتُ غَيظِي. فَقَالَتْ: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. فَقَالَ: عَفَوْتُ عَنْكِ. فَقَالَتِ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. فَقَالَ مَيْمُونٌ: أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

---

١ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث رقم: ١٩٩٨، والخرائطي في مكارم الأخلاق– بَابُ فَضْلِ الْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، حديث رقم: ٥٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ١٨٧)

٢ – سورة الرَّحْمَنِ: الآية/ ٦٠

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ، حديث رقم: ١٩٥٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

وفي الآية من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ: الاحتباكُ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، فالسَّرَّاءُ يقابلها الغَمُّ، وَالضَّرَّاءُ يقابلها النَّفْعُ، فذكر اللفظين المختلفي التقابل ليدل كلُ واحدٍ على مقابله.

والطِّبَاقُ بينَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ في قوله تعالى: ﴿السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾.

والِاحْتِرَاسُ بذكْرِ الْعَفْوِ عَنِ النّاسِ بَعْدَ كَظْمِ الْغَيْظِ، كأنه قال: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ عفوًا عن النَّاسِ)؛ لبيانِ أَنَّ كَظْمَ الْغَيْظِ ليس منْشَأَهُ الضَّعفُ، وَلَمْ تَعْقُبْهُ نَدَامَةٌ.

والتَّذْيِيلُ بقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ لبيان أنَّ مَنِ اجْتَمَعَتْ فيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ فهو مُحْسِنٌ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

والترقي من الأدنى إلى الأعلى في قَوْلِهِ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ فبدأ بكظم الغيظ وهو أدناها مرتبةً، ثم ترقى إلى الأعلى فقال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، ثم ترقى إلى أعلى رتبة فقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٥، ١٣٦

الْفَاحِشَةُ: تُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَعْصِيَةٍ، وقيل لها: فَاحِشَةٌ لِقُبْحِهَا وَلِخُرُوجِهَا عَمَّا أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، وَأَصْلُ الْفُحْشِ الْقُبْحُ وَالْخُرُوجُ عَنِ حَدِّ الاعتدالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْكَلَامِ الْقَبِيحِ: كَلَامٌ فَاحِشٌ، ثم كَثُرَ اسْتِعْمَالُ الْفَاحِشَةِ فِي الزِّنَا.

وَالْعَطْفُ بِالْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، لِلْمُغَايَرَةِ، فالْمُرَادُ بِالْفَاحِشَةِ الْكَبِيرَةُ، وَالْمُرَادُ بِظُلْمِ النَّفْسِ الصَّغِيرَةُ.

من صفاتِ الْمُتَّقِينَ الذين أثنى الله تعالى عليهم بها، المبادرة إلى التوبة إذا زلت أقدامهم بفعلٍ محرمٍ قَبِيحٍ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فاقترفوا إثمًا ولو صغيرًا.

﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾.

أي: ذَكَرُوا وَعِيدَ اللهِ تَعَالَى، والْعَرْضَ عَلَيه، والوقوفَ بين يديه يومَ القيامةِ، فنَدِمُوا ورقت قلوبهم وَطَمِعُوا فِي مَغْفِرَتِهِ، فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ لِذُنُوبِهِمْ.

﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

جُمْلَةٌ معترضةٌ؛ لترغيب العبادِ في التوبةِ، وألا يقنطوا من رحمة الله.

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى قَبولِ التوبةِ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٢٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».[1]

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، وَإِذَا حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، وَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ.....﴾.[2]

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾.

لَمْ يقيموا عَلَى الذَّنْبِ، بل ندموا على فعله، وأقلعوا عنه، والْإِصْرَارُ هُوَ الْعَزْمُ بِالْقَلْبِ عَلَى الْأَمْرِ وَتَرْكُ الْإِقْلَاعِ عَنْهُ؛ وَمِنْهُ صَرُّ الدَّنَانِيرِ أَيِ الرَّبْطُ عَلَيْهَا.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: الْجَاهِلُ مَيِّتٌ، وَالنَّاسِي نَائِمٌ، وَالْعَاصِي سَكْرَانُ، وَالْمُصِرُّ هَالِكٌ، وَالْإِصْرَارُ هُوَ التَّسْوِيفُ، وَالتَّسْوِيفُ أَنْ يَقُولَ: أَتُوبُ غَدًا، وَهَذَا دَعْوَى النفس، كيف يتوب غدًا وغدًا لَا يَمْلِكُهُ![3]

---

١ – رواه البخاري–كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، حديث رقم: ٧٥٠٧، ومسلم– كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٨

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢، وأبو داود– كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوِتْرِ، بَابٌ فِي الِاسْتِغْفَارِ، حديث رقم: ١٥٢١، والترمذي– أَبْوَابُ الصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٠٦، وابن ماجه– كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَنَّ الصَّلَاةَ كَفَّارَةٌ، حديث رقم: ١٣٩٥، بسند صحيح.

٣ – تفسير القرطبي (٤/ ٢١١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْقِلِ بْنِ مُقَرِّنٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»، فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»، قَالَ: نَعَمْ".[1]

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. أي: وَهُمْ يَعْلَمُونَ سُوءَ فِعْلِهِمْ، وَوُجُوبَ التَّوْبَةِ إلى اللهِ بعدَ الذنبِ.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾. إشارةٌ إلى الموصوفين بتلك الصفاتِ الحميدةِ في قوله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ.....﴾؛ لبيان علو قدرهم، ورفعة منازلهم.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾. يَعْنِي ثَوَابَهُمْ على أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا، مَغْفِرَةٌ، أي: عَفْوٌ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَنْهم عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ.

﴿وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

جَنَّاتٌ: جمع جَنَّةٍ، وذلك أن للمؤمن عند ربه جَنَّاتٍ وليست جنة واحدة؛ كما ثبت عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى».[2]

تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وقصورها الْأَنْهَارُ، حال كونهم خَالِدِينَ فِيهَا يَعْنِي دَائِمِي الْمُقَامِ فيها.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٣٥٦٨، وابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٥٢، والحاكم- كِتَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، حديث رقم: ٧٦١٢، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٥٨٦٤، والبزار- حديث رقم: ١٩٢٦، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ، حديث رقم: ٢٨٠٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

في الكلام حذفٌ تَقْدِيرُهُ: وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ذَلِكَ، أو وَنِعْمَ الأَجْرُ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، يعني: الْمَغْفِرَةَ وَالْجَنَّةَ.

والجنة إنما تنال بفضل الله ورحمته، وليست في مقابل الأعمال؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا».[1]

قالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: طَلَبُ الْجَنَّةِ بِلَا عَمَلٍ ذَنْبٌ مِنَ الذُّنُوبِ، وَانْتِظَارُ الشَّفَاعَةِ بِلَا سَبَبٍ نَوْعٌ مِنَ الْغُرُورِ، وَارْتِجَاءُ الرَّحْمَةِ مِمَّنْ لَا يُطَاعُ حُمْقٌ وَجَهَالَةٌ.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآيات: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. جُمْلَةٌ معترضةٌ؛ لترغيب العبادِ في التوبةِ، وألا يقنطوا من رحمة الله.

والسؤال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، والمراد به نفي ذلك عما سوى الله تعالى.

والإشارة بلفظ: (أُولَئِكَ) التي تستعمل للبعيد في قوله: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، لارتفاع منزلتهم، وعلو قدرهم.

والحذف المقدرُ في قوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ، حديث رقم: ٦٤٦٣، ومسلم- كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، حديث رقم: ٢٨١٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٧، ١٣٨

وَالسُّنَنُ: جَمْعُ سُنَّةٍ وَهِيَ الطَّرِيقَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ؛ ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.[1]

وَقَالَ خَالِدٌ الْهُذَلِيُّ:

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سُرَّتُهَا ***** فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

وَتطلق ويراد بها الْأُمَّةُ؛ قَالَ الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ:

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِهِمُ ***** وَلَا رَأَوْا مِثْلَهُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ

ومعنى خَلَتْ: مَضَتْ.

هذه عودة بالْكَلَامِ إِلى مَا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وهذا خطاب من الله تعالى لِلْمُؤْمِنِينَ تسليهم به عما جرى لهم يومَ أُحُدٍ، فقد قُتِل مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وأُصِيبَ منهم من أصيبَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾. أَيْ: قَدْ جَرَى عَلَى مَنْ كانَ قَبْلِكُمْ من الْأُمَمِ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، ما جَرَى عَلَيكم، وأصابهم ما أصابكم، ثُمَّ كَانَتِ لَهُمْ الْعَاقِبَةُ عَلَى أعدائهم فنصر الله تعالى أولياءه المتقين، وأهلك أعداءه الْمُكَذِّبِينَ.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا إلى آثارهم، واعتبروا بمصارعهم وكَيْفَ دمر الله عليهم، فاستأصل شأفتهم، وأباد خضراءهم، وتلك سنة الله التي لا تتخلف في عباده.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

قَالَ الْحَسَنُ، ﴿هَذَا بَيَانٌ﴾. يعني: الْقُرْآنُ.

---

١ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الآية/ ٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسماه الله بَيَانًا؛ لأنه يزيلُ كلَ شُبْهَةٍ، ﴿وَهُدًى﴾، لأنه يرشدُ المؤمنين للتي هي أقوم، ويبصرهم بطُرُقِ الغواية والضلال، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾. لما فيه من الْمَوَاعِظِ الَّتِي ينزجر بها الْمُتَّقُونَ عَمَّا يسخط الله تعالى.

وَتَخْصِيصُ الْمُتَّقِينَ بالذكرِ مع أنه القرآنَ بَيانٌ لِلنَّاسِ جميعًا لأَنَّهُمْ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِهِ؛ كما قالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها﴾. [النَّازِعَاتِ: ٤٥]، مع أنه نذير للعالمين، لكن لا ينتفع بالإنذار إلا أهل الخشية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٩، ١٤٠

هَذَا الكلامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَعْزِيَةٌ لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم عَلَى مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، يقول لهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾. يعني: لَا تَضْعُفُوا، وَالْوَهَنُ: الضَّعْفُ، وَلَا تَحْزَنُوا فَتَجْزَعُوا عَلَى الْهَزِيمَةِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ.

ثم بشرهم بالظَّفَرِ والنَّصْرِ على أعدائهم إذا ثبتوا عَلَى الْإِيمَانِ، حتى لا يضْعُفَ يَقِينُهُم ولا تفت الهزيمة في عضدهم؛ فقال: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وعلق الله تعالى النصر والغلبة على اشتراط الإيمان مع علمه بإيمانهم، لينفي عنهم الجزع، ويثير غيرتهم على الدين.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾.

يسلي الله تعالى المؤمنين عَمَّا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْهَزِيمَةِ بِأَنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ، فَإِنْ يَقْتُلُوا مِنْكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وشبَّه الله تعالى الْهَزِيمَةَ التي أصابتهم بِالْقَرْحِ الذي يُصِيبُ الْبدنَ، لأنَّ الْهَزِيمَةَ ثُلْمَةٌ في بدن الأمة يشعر بألمها ومرارتها كل مسلم.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

إِشَارَةٌ إِلَى أَيَّامِ الْوَقَائِعِ التي بين أهل الإيمان والكفر، تَكُونُ لهؤلاء تارة، وعَلَى هؤلاء أخرى وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، فيَنْصُرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ تَارَةً، وَيَنْصُرُ الْكَافِرِينَ أُخْرَى، لحكمته البالغة.

وَالْمُدَاوَلَةُ نَقْلُ الشَّيْءِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى آخَرَ، يُقَالُ: تَدَاوَلَتْهُ الْأَيْدِي إِذَا تَنَاقَلَتْهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ﴾. [الْحَشْرِ: ٧]، أَيْ يَتَدَاوَلُونَهَا بينهم وَلَا يَجْعَلُونَ لِلْفُقَرَاءِ مِنْهَا نَصِيبًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أَي: لِيَظْهَرَ فِي الْوُجُودِ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ، وَيتمَيَّزَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَأَسْنَدَ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ تشريفًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

يعني: لما نالهم من الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ، فَيُكْرِمُهُمْ بِالشَّهَادَةِ. أَوْ يجعلهم شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ رَبَّهُمْ، قال ابْنُ إِسْحَاقَ: أَيِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي يُظْهِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمُ الطَّاعَةَ وَقُلُوبُهُمْ مُصِرَّةٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: الطِّبَاقُ فِي: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾، و﴿الْأَعْلَوْنَ﴾، لِأَنَّ الْوَهَنَ وَالْعُلُوَّ ضِدَّانِ. وفي: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، و﴿الظَّالِمِينَ﴾، لِأَنَّ المرادَ بالظَّالِمِينَ هُنَا الْكُفارُ.

والالتفاتُ مِنَ الحضورِ إلى الغيبةِ في قولِهِ: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقبلها: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، وفائدته: التنويه بفضل الجهاد وعظيم منزلته عن الله تعالى.

وَالتخصيصُ فِي قولِهِ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، تنفيرًا للناس عن الظلم.

ووضعُ الظاهرِ موضعَ المضْمَرِ في قول: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، لما للفظ الجلالة من الهيبة في النفوس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤١، ١٤٣

يطلق التَمْحيصُ ويراد به: الابْتِلاءُ والاختِبارُ، قاله الجوهري.

ويطلق ويراد به التطهير، قال الخَلِيلُ: التَمحيصُ: التَطهيرُ من الذنوب.

ويطلق ويراد به التَّخْلِيصُ، قَالَ الْخَلِيلُ: الْمَحْصُ: خُلُوصُ الشَيء، مَحَصْتُه مَحْصًا: خَلَّصْتُه من كلِّ عَيْب.

وَالْمَحْقُ فِي اللُّغَةِ النُّقْصَانُ، وَقَالَ الْمُفَضَّلُ: هُوَ أَنْ يَذْهَبَ الشَّيْءُ كُلُّهُ حَتَّى لَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا﴾. [الْبَقَرَة: ٢٧٦] أَيْ يَسْتَأْصِلُهُ.

مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْأَيَّامَ مُدَاوَلَةً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ لِيَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنِينَ لِيُثِيبَهُمْ وَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيَسْتَأْصِلَ الْكافِرِينَ بالهلاك.

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْأَيَّامَ مُدَاوَلَةً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَإِنْ حَصَلَتِ الْغَلَبَةُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَانَ الْمُرَادُ تَمْحِيصَ ذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ كَانَتِ الْغَلَبَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ كَانَ الْمُرَادُ مَحْقَ آثَارِ الْكَافِرِينَ وَمَحْوَهُمْ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

أَمْ هُنَا يُسَمِّيهَا النُّحَاةُ مُنْقَطِعَةً، بِمَعْنَى (بَلِ) الِانْتِقَالِيَّةِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ انْتِقَالٌ مِنْ غَرَضٍ إِلَى آخَرَ، و(أَمْ) تأتي في الكلام على معنيين: الأول: حَرْفُ اسْتِفْهَامٍ، والثاني: حَرْفُ عَطْفٍ، وَتُشْبِهُ «أَوْ» مِنْ حُرُوفِ الْعَطْفِ، وَتَأْتِي (أَمْ) عَلَى وَجْهَيْنِ: مُتَّصِلَةً بِمَا قَبْلَهَا وَمُنْقَطِعَةً مِنْهُ، فإذا كانت مُنْقَطِعَةً فهي بِمَعْنَى «بَلْ» كما في هذه الآية، وقيل لها مُنْقَطِعَةٌ لانقطاع الكلام بها عما قبله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمعنى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَتَنَالُوا الدرجات العلى منها وَلَمْ أَخْتَبِرْكُمْ بِالشِّدَّةِ وأَبْتَلِيكُمْ بِالْمَكَارِهِ، ليَعْلَمَ اللَّهُ علمًا يحاسبكم به، وَيَتَبَيَّنَ لكم الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بأموالهم وأنفسهم، والصَّابِرِينَ عِنْدَ الْبَأْسِ عَلَى مَا يَنَالُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَلَمٍ وَمَكْرُوهٍ؟

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.....﴾. سؤالٌ الغرضُ منه التبكيت.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.

أَيْ: وَلَقَدْ كُنْتُمْ قَبْلَ ذلك تَتَمَنَّوْنَ لِقَاءَ الْعَدُوِّ لمقاتلتهم، لتنالوا الشَّهَادَةَ في سَبِيلِ اللهِ، فَقَدْ حَصَلَ لَكُمُ الَّذِي تَمَنَّيْتُمُوهُ، فدونَكم القتالَ فَقَاتِلُوا، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْا أَسْبَابَ الْمَوْتِ، فقد رأيتم القتلَ بأعينكم يومَ أحدٍ.

وَالمرادُ بتَمَنِّي الْمَوْتِ هنا تَمَنِّي الشَّهَادَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ، وليس تَمَنِّي قَتْلِ الْكُفَّارِ لَهُمْ، لِأَنَّهُ لا يحل في دين الله تعالى.

وقد نهى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تمني لِقَاءَ الْعَدُوِّ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، حديث رقم: ٣٠٢٤، ومسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ حديث رقم: ١٧٤١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٤

لَمَّا خالفَ الرُّمَاةُ أمرَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ أُحُدٍ بأَنْ يَلْزَمُوا الْجَبَلَ، حينَ رَأَوُا انْهِزَامَ الْمُشْرِكِينَ فبَادَرُوا إِلَى الْغَنَائِمِ، فرَأَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ – وكانَ صَاحِبَ مَيْمَنَةِ الْمُشْرِكِينَ – تَفَرُّقَ الرُّمَاةِ حَمَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَفَرَّقَ جَمْعَهُم، فانْهَزَمَ مَنِ انْهَزَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وقُتِل مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَرَمَى ابْنُ قَمِيئَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجَرٍ فَكَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ وَشَجَّ وَجْهَهُ، وَأَقْبَلَ يُرِيدُ قَتْلَهُ، فَتَصَدَّى لَه مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مدافعًا عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَتَلَهُ ابْنُ قَمِيئَةَ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَتَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يقولُ: قتلتُ مُحَمَّدًا، وصرخَ الشَّيْطَانُ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَفَشَا الخَبَرُ فِي النَّاسِ، ففتَّ في عضدِ المسلمين، ووهنت قواهم، واضطرب أمرهم، وضعفوا عن القتال، حِينَ أُرْجِفَ بِمَوْتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى قَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: لَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ يَأْخُذُ لَنَا أَمَانًا مِنْ أَبِي سُفْيَانَ. وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا لَمَا قُتِلَ.

فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا قَوْمُ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ لَمْ يُقْتَلْ، فَقَاتِلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ، ثُمَّ شَدَّ بِسَيْفِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

وَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا فُلَانُ أشعرتَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قُتِلَ؟ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَّغَ، فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ، فأنزل الله تعالى هذه الآية مُنْكِرًا عَلَى مَنْ حَصَلَ لَهُ ضَعْفٌ فِي قتالِ الْمُشْرِكِينَ.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

يعني: أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولٌ كَمَنْ مَضَى مِنَ الرُّسُلِ، يجري عليه ما يجري عليهم، يموتُ يَمُوتُونَ وَتَبْقَى شَرَائِعُهُمْ، أَفَإِنْ مَاتَ على فراشِهِ، أَوْ قُتِلَ كمن قتل قبله من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأنبياء، ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾؟ أي: رجعتم عن دينكم؟ وَالِانْقِلَابُ: الرُّجُوعُ يُقَالُ: انْقَلَبَ إِلَى مَنْزِلِهِ، أي: رجع إليه، والمرادُ به الرُّجُوعُ إِلَى الْحَالِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، قبل إسلامهم، أَيْ حَالِ الْكُفْرِ. وَالْأَعْقَابُ جَمْعُ عقبٍ وَهُوَ مؤخَّرُ الرَّجُلِ؛ ومنه قول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النّار».

﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾.

لأَنَّ الْمُرْتَدَّ يَضُرُّ نَفْسَهُ، وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا، كما قَالَ اللهُ تَعَالَى في الحديثِ القُدُسِي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا».[1]

﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

يعني: سَأُثِيبُ مَنْ شَكَرَ نِعَمِي وَجعلَ الْآخِرَةَ هَمَّهُ، وذكرَ الله تعالى الشَّاكِرِينَ لِئَلَّا يُتَوَهَّمُ أَنَّ العتاب للمحسنِ والمسيءِ.

ووصفهم بالشَّاكِرِينَ بدل الصابرين لأن الجزاء على الشكر هو جزاء الأحباء، والجزاء على الصبر هو جزاء الأجراء، وشتّان ما بين الأجير والحبيب.

١ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٧٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٤٥

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَحْرِيضٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِهَادِ، وَتَرْغِيبٌ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ، وتثبيتٌ لقلوبهم في مواجهة أعدائهم بِإِعْلَامِهِمْ أَنَّ الْأَجَلَ محتومٌ، وأَنَّهُ لا يغني حَذَرٌ منْ قَدَرٍ، وأنَّ الفرارَ مِنَ الْقِتَالِ لا يزيدُ فِي العُمْرِ، ولا اقتحام غمرات القتال يقرب الأجلَ، فمن لم يمت بالسيف مات بغيره.

فلا يَمُوتُ أحدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ أَجَلِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ غَايَةً لِحَيَاتِهِ بِقَضَائِهِ تعالى وَقَدَرِهِ، كَتَبَ اللَّهُ كِتَابًا مُؤَجَّلًا أَيْ: مُؤقَتًا بأَجَلِ كلِ مخلوقٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.[1]

﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾.

ثم حذَّرَ الله تعالى المؤمنين أن يكون سعيهم للدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ، فَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا ولا رَغْبَةَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، آتَاهُ اللهُ مَا قُسِمَ لَهُ مِنْهَا، وَلَا حَظَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ آتَاهُ اللهُ مِنْهَا مَا وَعْدَهُ مَعَ مَا قُسِمَ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ فِي الدُّنْيَا الْآخِرَةِ.

وفِي الآيةِ تعريضٌ بالَّذِينَ اسْتَعْجَلُوا الْغَنِيمَةِ فَتَسَبَّبُوا فِي الْهَزِيمَةِ وتحذيرٌ لهم ولغيرهم.

وَهَذا المعنى وَإِنْ وَرَدَ فِي الْجِهَادِ، فإنَّهُ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نزدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.[2]

١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ/ ٣٤

٢ - سُورَةُ الشُّورَى: الآية/٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.[1]

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».[2]

﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

وَعْدٌ منَ اللهِ لِمَنْ شَكَرَ نِعَمهُ فَجعلَ الْآخِرَةَ هَمَّهُ، وَثَوَابَ اللهِ غايتهُ أنَّ اللهَ لَنْ يُخَيِّبَ سَعْيَهُ.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: التَّقْسِيمُ فِي قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾.

والطباق في: (الدُّنْيَا)، و (الآخِرَةِ).

والمقابلة في: ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾، و ﴿ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾.

وَالتَّكْرَارُ فِي: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾، و ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾؛ للتأكيد.

والتعريضُ بِمَنْ شغلتهم الغنائمُ يومَ أُحدٍ في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾.

والتخصيص في قوله: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

---

١ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الاية/ ١٨، ١٩

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ سَأَلَ، وَهُوَ قَائِمٌ، عَالِمًا جَالِسًا، حديث رقم: ١٢٣، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، حديث رقم: ١٩٠٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٤٦

ما زال الكلامُ في سياقِ عِتَابِ اللهِ تَعَالَى للمؤمنين الَّذِينَ انْهَزَمُوا يَوْمَ أُحُدٍ، وَالَّذِينَ تَرَكُوا الْقِتَالَ حينَ سَمِعُوا إِنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قُتِلَ.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾.

(كَأَيِّنْ) كَلِمَةٌ بِمَعْنَى كَمْ المرادُ بها التَّكْثِيرُ، وهي مُرَكَّبَةٌ مِنْ كَافِ التَّشْبِيهِ وَأَيّ، وَنُونُهَا فِي الْأَصْلِ تَنْوِينٌ، فَلَمَّا رُكِّبَتْ وَصَارَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً جُعِلَ تَنْوِينُهَا نُونًا وَبُنِيَتْ.

(الرِّبِّيّون) جَمْعُ رِبِّيّ وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا الْجُمُوعُ الْكَثِيرَةُ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ.

في هذه الآية قراءتان متواترتان، الأولى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾. وهي قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَنَافِعٍ وَأَبِي عَمْرٍو، ومَعْنَاهَا: كَمْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَمَا وَهَنَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الرِّبِّيِّينَ مِمَّنْ لَمْ يُقْتَلْ، وليس في هذه القراءة ما يدلُّ على أنَّ النَّبِيَّ قُتِلَ.

قَالَ الْحَسَنُ: مَا قُتِلَ نَبِيٌّ فِي حَرْبٍ قَطُّ.

وَقَالَ سَعِيدُ ابْنُ جُبَيْرٍ: مَا سَمِعْنَا أَنَّ نَبِيًّا قُتِلَ فِي الْقِتَالِ.

والثانية: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾. وهي قراءة الباقين، ومعناها: وَكَمْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَصَابَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ قَرْحٌ فَمَا وَهَنُوا، لِأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَنُصْرَةِ رَسُولِهِ.

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾.

فَمَا عَجَزُوا لِمَا نَالَهُمْ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ، وَلَا لَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَعُفَتْ قُوَاهُمْ لَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ عَنْ حَرْبِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَمَا ذَلُّوا لِعَدُوِّهِمْ فرجعوا عن دِينِهِمْ خِيفَةً مِنْهُمْ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

لأَنَّهم صَبَرُوا عَلَى تَحَمُّلِ الشَّدَائِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يُظْهِرُوا الْجَزَعَ وَالْعَجْزَ وَالْهَلَعَ، وثبتوا أمام أعدائهم على ما بهم مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ.

والمعنى: لقد كان لَكُمْ فِي كثيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ أُسْوَةً حَسَنَةً، فِي صَبْرِهم عَلَى الْجِهَادِ وَتَرْكَ الْفِرَارِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكُمْ هَذَا الْفِرَارُ وَالِانْهِزَامُ أمامَ أعدائكم؟

وفِي الْآيَةِ تَشْجِيعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وحثٌّ لهم على الِاقْتِدَاءِ بِمَنْ تَقَدَّمَهم مِنْ الْأَنْبِيَاءِ والصالحين في صبرهم على جهادِ أعدائهم في سبيل الله تعالى.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: التعريض في قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾. بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبيّ في طلب الأمان من أبي سفيان.[1]

والترقي في قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾؛ فإن الضعف أشدُّ من الوهن، والاستكانة أشدُّ ضعفًا من منهما؛ لأنَّه قريبٌ من الذُّلّ.

والتخصيص في قوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

١ - تفسير الزمخشري (١/ ٤٢٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٧، ١٤٨

يَعْنِي: وَمَا كَانَ قَوْلَ الرِّبِّيِّينَ، إِذْ أَصَابَهُمْ القتلُ معَ مَا وَصَفَهُمْ الله تعالى به مِنْ رَبَاطَةِ الْجَأْشِ، وَثَبَاتِ الْقَلْبِ، وتَحَمُّلِ الشَّدَائِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، سِوَى أَنْ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وقدموا طَلَبَ المغْفِرَةِ عَلَى طَلَبِ النُّصْرَةِ؛ لأن الذُّنُوبَ الْمَعَاصِي سَبَبُ الهزيمة والخذلان.

والْإِسْرَافُ: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ فى فعلِ ما يجبُ والْإِفْرَاطُ فِيه، والذنبُ عامٌ فيه وفي التقصير، فكلْ إِسْرَافٍ ذَنْبٌ، وليسَ كُلُ ذَنْبٍ إِسْرَافًا.

ثُمَّ سَأَلُوا اللهُ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتْ أَقْدامَهُم فِي لِقَاءِ أَعْدَائِهم وَأَنْ يُجَنِّبَهُم الْفِرَارَ وَالْعَجْزَ وَأَنْ يَنْصُرَهُم عَلَى الَّذِينَ جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَهُ وَرِسَالَةَ نَبِيِّهِ، فَلَمْ يَصُدُّهُمْ مَا لَحِقَهُمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ عَنْ رَجَاءِ النَّصْرِ.

وَهَذَا تَأْنِيبٌ وَتَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين الَّذِينَ تَرَكُوا القِتَالَ وفَرُّوا يَوْمَ أُحُدٍ.

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾.

لَمَّا صَبَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، أَعْطَاهُمْ ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾، يَعْنِي: النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾. يَعْنِي: المغْفِرَةَ وَالْأَجْرَ وَالْجَنَّةَ، فجمَع اللهُ لَهُمْ بين النَّصْرِ التمكينِ في الدُّنْيا، والفوزَ بالدرجاتِ العُلَى فِي الْجَنَّةِ.

وخَصَّ ثَوَابَ الآخِرَةِ بالحُسْنِ إشعارًا بفضْلِهِ، وأنه الذي يجبُ أَنْ يحرصَ عليه المؤمنُ؛ لأنه الذي يبقى، أَمَّا ثوابُ الدُّنْيَا منقطعٌ، وإنما ذكره الله تعالى لبيانِ أنّ مَنْ أراد الآخِرَةَ حصَلَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ مَعًا.

وفي الآية دليلٌ على أن المسلم يُعطى ثوابَ عملِهِ في الدُّنْيَا مع ما له عندَ اللهِ في الآخِرَةِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

لأنهم أحسنوا فيما بينهم وبين ربهم بالثبات على دينه وبحفظه، فأحبهم الله.

قال الفخر الرازي: وَفِيهِ دَقِيقَةٌ لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّ هَؤُلَاءِ اعْتَرَفُوا بِكَوْنِهِمْ مُسِيئِينَ حَيْثُ قَالُوا: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا، فَلَمَّا اعْتَرَفُوا بِذَلِكَ سَمَّاهُمُ اللَّهُ مُحْسِنِينَ، كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يقول : إِذَا اعْتَرَفْتَ بِإِسَاءَتِكَ وَعَجْزِكَ فَأَنَا أَصِفُكَ بِالْإِحْسَانِ وَأَجْعَلُكَ حَبِيبًا لِنَفْسِي.[1]

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية: تخصيص ثواب الآخرة بالحسن في قوله: ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾. لفضله ودوامه.

والمقابلة في: ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾، وَ ﴿حُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾.

والترقي: في قوله: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، فإنَّ تثبيت الأقدام كناية عن عدم الانهزام، والنصر أعظم من مجرد الثبات أمام الأعداء.

والتخصيص في قوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

---

١ - تفسير الرازي (٩/ ٣٨٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٩، ١٥٠

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ فِي الْآيَاتِ السابقةِ صفاتِ أَنْصَارِ الْأَنْبِيَاءِ، وأتباعِ الرسل عليهم السلام، وَأَمَرَ المؤمنين بِالِاقْتِدَاءِ بهم، حَذَّرَ سبحانه هنا المؤمنين من طَاعَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا، ولفظُ الَّذِينَ مِنْ أَلفَاظِ العُمُومِ، فهُو يشمَلُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى. وَالْمُنَافِقِينَ، وكلَ كافرٍ باللهِ تَعَالَى.

وبين سبحانه العلة التي من أجلها نهانا عَنْ طَاعَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا، فقال: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، فإنهم لا يأمرون إلا بالكفر، ولا يرتضون لأهل الإيمان إلا الفسوق والعصيان، وكم من المؤتمرات عقدت في بلاد المسلمين لا يراد منها إلا انسلاخ المسلمين عن دينهم، بالطعن في أحكام الله وتشريعاته، ومن ذلك الدعوة إلى حرية الكفر، والشذوذ الجنسي، والمساواة في الميراث، وتعطيل الحدود، وتجريم الجهاد في سبيل الله، وغيرها من القضايا التي لو أطاع المسلمون فيها الكفارَ لكانت طاعتهم ردة عن الإسلام.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

الطَّاعَةُ هِي امْتِثَالُ الأَمْرِ، ولا يأمر الَّذِينَ كَفَرُوا إلا بما يخالف أمر الله تعالى، فطاعتهم عصيان لله تعالى، وهو يفضي إلى الرِّدَّةِ، وَالرِّدَّةُ: رُجُوعٌ إلى الكُفْرِ بعدَ الإيمانِ، وإذا رجعَ المسلمُ عَنْ دِينِكُمْ خسرَ دُنْيَاه وَآخِرَتَه.

وهذا المعنى تقدم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.[1]

وإنما كرره الله تعالى لأن النهي الأول كان خاصًا للحديث عن أهل الكتاب، وهنا النهي عام عن طاعة الكفار جميعًا.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾.

إِضْرَابٌ لِإِبْطَالِ ما قد يتوهمه من يوالي أعداء الله بطاعتهم أن هذه الموالاة ستغني عنهم شيئًا.

﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

ولما كانت العلةُ التي يلجأ إليها من يوالي أعداء الله، ويطيعهم فيما يسخط الله تعالى هي التعزز بهم والاستنصار بهم، بَيَّنَ سبحانه أنه هو وَلِيُّ المؤمنين وَنَاصِرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلتعْتَصِمُوا بِهِ فالعزُّ في طَاعَتِهِ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا بِغَيْرِهِ فإنهم لن يغنوا عنكم من الله شيئًا.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية: الطباق في ﴿آمَنُوا﴾، و ﴿كَفَرُوا﴾.

والاستعارة في قوله: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، شَبَّهَ مَنْ يرتدَّ عن دينه، بالذي يرجع القهقرى، علامة على انتكاسهم، ومثَلٌ في الحور بعد الكور.

وأيضًا في قوله: ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، شَبَّهَ الَّذِي حَبِطَ عَمَلُهُ بِسببِ الْكُفْرِ بالذي خسرَ في تجارته فضَاعَ رَأْسُ مَالِهِ وضَاعَ رِبْحُهُ.

وَشَبَّهَه كذلك بِالْمُنْقَلِبِ الَّذِي عادَ منْ طَرِيقٍ غير التي ذهب منها.

والإِضْرَابُ في قوله: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾، لِإِبْطَالِ ما قد يتوهمه من يوالي أعداء الله، كأنه قيل ليسوا أنصارًا لكم لتطيعوهم، بل الله ناصرُكم فاستغنوا به عن موالاتهم.

والتخصيصُ الذي دلَّ عليه تقديم الضمير في قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾. أي: لا ناصرَ لكم غيرُه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥١

الْإِلْقَاءُ: رَمْيُ الشَّيْءِ، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾.[١]

وَيُطْلَقُ ويُرَادُ بِهِ الْإِفْضَاءُ بِالْكَلَامِ؛ كما في قوله: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾.[٢]

وَيُطْلَقُ ويُرَادُ بِهِ حُصُولُ الشَّيْءِ فِي النَّفْسِ؛ كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعداوَةَ وَالْبَغْضاءَ﴾ [الْمَائِدَة: ٦٤]، وَهُوَ المراد هنا.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾.[٣]

وَالرُّعْبُ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِهَا لُغَتَانِ: الخَوفُ الشَّديدُ، الَّذِي يَمْلأُ الصَّدْرَ والقَلْب، وَالْمَعْنَى: سَنَمْلَأُ قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفًا وَفَزَعًا.

هذه بَشْرَى من الله تَعَالَى للمؤمنين بِأَنَّهُ سَيَمْلَأُ قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُمْ خَوْفًا، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ باللهِ تعالى، ﴿مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾. أي: حُجَّةً وَبُرْهَانًا.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً".[٤]

وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَمَّا ارْتَحَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ مُتَوَجِّهِينَ نَحْوَ مَكَّةَ، انْطَلَقَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ نَدِمُوا فَقَالُوا: بِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ، إِنَّكُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، حَتَّى

---

١ - سُورَةُ الشُّعَرَاء: الْآيَة/ ٤٤

٢ - سُورَةُ الشُّعَرَاء: الْآيَة/ ٢٢٣

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَاب: الْآيَة/ ٢٦

٤ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّيَمُّمِ، حديث رقم: ٣٣٥، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، باب جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، حديث رقم: ٥٢١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الشِّرِّيرُ تَرَكْتُمُوهُمُ، ارْجِعُوا فَاسْتَأْصِلُوهُمْ، فَقَذَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَانْهَزَمُوا.

﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾.

المأوى: الْمَكَانُ الَّذِي يلجأُ الْإِنْسَانُ إليه ليحتمي فيه، وَالْمَثْوَى: الْمَكَانُ الَّذِي يَكُونُ مَقَرَّ الْإِنْسَانِ، وَالثَّوَاءُ: الْإِقَامَةُ بِالْمَكَانِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مَصِيرِهِمْ ومآلهم بأَنَّ مَرْجِعَهُمُ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّارُ، وَبِئْسَ مُقَامُ الظَّالِمِينَ الذين أَشْرَكُوا بربهم.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية: الاستعارةُ في قوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾، شَبَّهَ حصولَ الرعبِ في قلوبِ الكفارِ برَمْيِ الشَّيْءِ العظيمِ فيها.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾، ولم يقل: وَبِئْسَ مَثْوَاهم؛ لبيان خطرِ ما هم عليه من التعدي على مقام الربوبية.

وحذفُ المخصوصِ بالذَّمِ في قوله: ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾. للتهويل، وتقديره: وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ النَّارُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٢

﴿تَحُسُّونَهُمْ﴾: يعني: تَسْتَأْصِلُونَهُمْ بِالْقَتْلِ؛ مِنْ حَسَّه إذا أَبْطَلَ حِسَّه، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الْحَسُّ الِاسْتِئْصَالُ بِالْقَتْلِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

حَسَسْنَاهُمُ بِالسَّيْفِ حَسًّا فَأَصْبَحَتْ ***** بَقِيَّتُهُمْ قَدْ شُرِّدُوا وَتَبَدَّدُوا

وَالفَشَلُ: الجَزَعُ والجُبْنُ والضَّعفُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْفَشَلُ الْجُبْنُ.

وَالتَّنَازُعُ: الِاخْتِلَافُ، مأخوذٌ مِنَ النَّزْعِ وَهُوَ الْجَذْبُ.

يخبر الله تعالى المؤمنين أنه صَدَقَهُمُ وَعْدَهُ حين قال لهم: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.[1]

حتى قَتَلُوا صَاحِبَ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَسَبْعَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ بَعْدَهُ عَلَى اللواء، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمْ يَزَلْ لِوَاءُ الْمُشْرِكِينَ صَرِيعًا، حَتَّى أَخَذَتْهُ عَمْرَة بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ، فَدَفَعَتْهُ لِقُرَيْشٍ فَلَاثُوا بِهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَّانُ:

فَلَوْلَا لِوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا ***** يُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلَائِبِ

فلما تَرَكَ بَعْضُ الرُّمَاةِ مَرَاكِزَهُمْ وعصوا أَمْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واشْتَغَلُوا بِالْغَنِيمَةِ، وَفَشَلِ بَعْضِ الْمُقَاتِلَةِ وقعتْ الْهَزِيمَةُ، فَلَمَّا حَصَلَ منهم مَا حَصَلَ، تَأَخَّرَ وَعْدُ اللهِ لهم بالنصر لأنه كَانَ مَشْرُوطًا بالصبرِ على القتالِ والثَّبَاتِ أمامَ عَدُوهِم، وَتقواهم للهِ تَعَالَى.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِينَا المشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: «لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا، وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «لاَ تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ: «لاَ تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ " قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ» قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي.[1]

يعني: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ بالنَّصْرِ على أعدائكم الوثنيين فكنتم تَقْتُلُونَهُمْ بأمره تعالى لكم بقتالهم.

﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾.

حَتَّى إِذَا أصابكم الضَّعفُ، وظهر منكم الجُبْنُ، وتملككم الجزَعُ، وَوقع بينكم التَّنَازُعُ والِاخْتِلَافُ على الغنائم، بَعْدَ أن لاحت لكم تباشيرُ النصرِ، وولى أعداؤكم الأدبارَ.

﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ المغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ، حديث رقم: ٤٠٤٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فشغلتهم الغنائم عن القتال، وتجرؤوا على مخالفة أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى أصابكم ما أصابكم من القتل والجراح والهزيمة، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ فصبروا على القتال حتى انقشعت الغمة، وقضى من قضى منهم مقبلا غير مدبر.

قال عبدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا شَعُرْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا حَتَّى كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ.[1]

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾.

ثُمَّ رَدَّكُمْ اللهُ عَنْهُمْ عُقُوبَةً مِنْهُ عَلَى عِصْيَانِكِمْ وَفَشَلِكِمْ، لِيَبْتَلِيَكُمْ ويَجْعَلَ ذَلِكَ الصَّرْفَ مِحْنَةً عَلَيْكُمْ بسبب ما ترتب عليه من قَتْلٍ وجراحٍ وهزيمةٍ؛ لِتَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَتَرْجِعُوا إِلَيْهِ وَتَسْتَغْفِرُوهُ فِيمَا خَالَفْتُمْ فِيهِ أَمْرَهُ، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾، أَيْ: تجاوزَ عَنْكُمْ وغَفَرَ لَكُمْ عِصْيَانَكُمْ وَفَشَلَكُمْ، ولو شَاءَ لاسْتَأْصَلَكُمْ.

قالَ الْحَسَنُ: هَؤُلَاءِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ غِضَابٌ لِلَّهِ، يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ، نُهُوا عَنْ شَيْءٍ فَصَنَعُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا تُرِكُوا حَتَّى غُمُّوا بِهَذَا الْغَمِّ، فَأَفْسَقُ الْفَاسِقِينَ الْيَوْمَ يَتَجَرَّأُ عَلَى كُلِّ كَبِيرَةٍ، وَيَرْكَبُ كُلَّ دَاهِيَةٍ، وَيَسْحَبُ عَلَيْهَا ثِيَابَهُ، وَيَزْعُمُ أَنْ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ، فَسَوْفَ يَعْلَمُ.[2]

وَأَسْنَدَ اللهُ تَعَالَى صَرْفَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى نَفْسِهِ هُنَا بِاعْتِبَارِ غَايَتِهِ الْحَمِيدَةِ فِي تَرْبِيَتِهِمْ وَتَمْحِيصِهِمُ الَّذِي يُعِدُّهُمْ لِلنَّصْرِ الْكَامِلِ وَالظَّفَرِ الشَّامِلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.[3]

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

لأنه عَاقَبَهُمْ على المعصيةِ فِي الدُّنْيَا، وجعلَ العقوبةَ تأديبًا وتربيةً وَمَوْعِظَةً لهم، ليعلموا مغبةَ المخالفةِ، وأثرَ المعصيةِ، فجعلَ العُقُوبَةَ رَحْمَةً لَهُمْ، وتفَضُّلًا منْهُ عليهم.

---

١ - تفسير الطبري (٦/ ١٤٠)

٢ - تفسير الطبري (٦/ ١٤٤)

٣ - تفسير المنار (٤/ ١٥١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَيكم ليبين أن هذه سنته تعالى في الْمُؤْمِنِينَ من عبادِهِ أن يجعل العقوبةَ الدنيويةَ تأديبًا وتربيةً لهم، ليتوبوا إليه.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية: التنكيرُ في قوله: ﴿ذُو فَضْلٍ﴾، للتفخيم.

والتخصص في قوله: ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، للتشريف.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَيكم، لبيانِ سببِ ذلك الفضلِ وهو الإيمانُ.

وحذفُ جوابِ الشَّرطِ في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾. وتقديره: مَنَعَكُم نَصْرَهُ.

والإيجازُ بالقصرِ في قوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾، وتقديره: وَتَنَازَعْتُمْ حتى صرتم فريقين، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ.

والاعتراضُ بين المتعاطفين في قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾. لبيانِ لُطفِهِ تعالى بهم، ومِنَّتِهِ عليهم.

والتضمينُ في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ﴾. وتقديره وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ، فنَصَرَكُم الله إلى وقتِ فشلِكم وتنازُعِكم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٣

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ...﴾. متعلّق بقوله في الآية السابقة: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾. أَوْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَفا عَنْكُمْ﴾، وقيل هو ابتداء كلام لا تعلقَ له بما قبلَهُ، والمعنى: اذكروا إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ.

وَالْإِصْعَادُ: الذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ، والسَّيْرُ فِي بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَالصُّعُودُ: الِارْتِفَاعُ فِي الْجِبَالِ وَغَيرِهَا.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: أَصْعَدْتُ: إِذَا مَضَيْتَ حِيَالَ وَجْهِكَ، وَصَعِدْتُ: إِذَا ارْتَقَيْتَ فِي جَبَلٍ.

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى للمؤمنين حالهم في غزوةِ أُحدٍ حِينَ انْهَزَمُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ، فولوا ذاهبين فِي الْأَرْضِ فِرَارًا منهم.

﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾.

أي: لَا يلتفتُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْ شَدَّةِ الْهَرَبِ، كما قَالَ دريدُ بنُ الصِّمَّةَ: وَهَلْ يَرُدُّ الْمُنْهَزِمَ شيء؟ وَأَصْلُ اللَّيِّ الِالْتِفَاتُ إِلَى الشَّيْءِ، والعَطْفُ عَلَيْهِ، لأَنَّ الْمُعَرّجَ عَلَى الشَّيْءِ يَلْوِي إِلَيْهِ عُنُقَهُ، فَإِذَا مَضَى وَلَمْ يُعَرّجْ قِيلَ: لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ، أَيْ: لَا يَعْطِفُ عَلَيْهِ وَلَا يُبَالِي بِهِ.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾.

أَيْ: تفرون حال كون الرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ لِلثَّبَاتِ أَمَامَ أَعْدَائِكِمْ، وَالرُّجُوعِ عَنِ الْهَزِيمَةِ، بِقَوْلِهِ: «إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ مَنْ يَكُرُّ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُمْ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي أُخْرَاهُمْ يعني في آخِرِهِمْ؛ لِأَنَّهم تَقَدَّمُوهُ بِسَبَبِ الْهَزِيمَةِ، وهو تَوْبِيخٌ وَعِتَابٌ شَدِيدٌ لهُم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾.

لَفْظُ الثَّوَابِ لَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَغْلَبِ إِلَّا فِي الْخَيْرِ، وَالْغَمُّ لَيْسَ بِخَيْرٍ، فَيَكُونُ ذكر لفظِ: ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾، عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ، أَيْ جَعَلَ الْغَمَّ مَكَانَ مَا يَرْجُونَ مِنَ الثَّوَابِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.[1]

وَالْبَاءُ فِي قولهِ ﴿بِغَمٍّ﴾. لِلْمُصَاحَبَةِ، أي: غَمًّا مُصَاحِبًا لِغَمٍّ، الْأَوَّلُ: الْغَمُّ الذي أَصَابَهُمْ بسَبَبِ الْهَزِيمَةِ وَالْقَتْلِ، وَالثَّانِي: الْغَمُّ الذي أَصَابَهُمْ حِينَ سَمِعُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ.

﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾.

لما تبين لهم نجاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القَتْلَ، هان عليهم ما فاتهم من الغنائم والنصر، وما أصابهم من الجراح والقتل.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

تذييل فِيهِ مَعْنَى التَّحْذِيرِ وَالْوَعِيدِ، والمعنى: وَاللَّهُ ذُو خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ بأعمالكم، يحصيها عَلَيْكُمْ حَتَّى يُجَازِيَكُمْ بِهِ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، أَوْ يَعْفُو عَنْهُ.

---

١ – سورة التوبة: الآية/ ٣٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٤

الْأَمَنَةُ: الْأَمْنُ، وقِيلَ: الْأَمَنَةُ تَكُونُ مَعَ بَقَاءِ أَسْبَابِ الْخَوْفِ، وَالْأَمْنُ يَكُونُ مَعَ زَوَالِ أَسْبَابِهِ. وَالنُّعَاسُ: أَوَّلُ النَّوْمِ.

نَصَرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ في أول المعركة، فَلَمَّا عَصَى بَعْضُهُمْ سَلَّطَ الْخَوْفَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَزَالَ الْخَوْفَ اللهُ تَعَالَى مِنْ قلوبِ المؤمنينَ الصادقينَ حتى تَغَشاهُم النُّعَاسُ يَوْمَ أحُد، وعليهم السِّلَاحُ وفي أيديهم السيوف دَلِيلًا عَلَى الْأَمَانِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ بَدْرٍ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ﴾.[1]

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشاه النُّعَاسُ يَوْمَ أحُد، حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا، يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ.[2]

﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾.

هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الصادقون، أَهْلُ الصبرِ وَالثَّبَاتِ وَالْيَقِينِ.

---

١ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١١

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ المغَازِي: بَابُ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، حديث رقم: ٤٠٦٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ، وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ تَحْتَ حَجَفَتِهِ مِنَ النُّعَاسِ».[1]

﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

هؤلاء هم المنافقون، وعلمَ أنهم كذلك مِنَ الْمُقَابَلَةِ بينهم وبين طَائِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُلِمَ أيضًا مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

وهؤلاء ما كان يَغْشَاهُمُ النُّعَاسُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجَزَعِ، ومن سوء ظنهم بالله تعالى، حيث ظنوا أَنَّ الْإِسْلَامَ قضي عليه، وانتهى أمره واستؤصلت شأفة المسلمين، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾.[2]

﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

قَالَ مَكِّيٌّ: أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ: ليس لنا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْخُرُوجِ، وَإِنَّمَا خَرَجْنَا مكرهين، وهو اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْجَحْدُ، وذلك لأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاوَرَ أصحابه فِي هَذِهِ الغزوة الْقَوْمَ فِي الْخُرُوجِ أَوْ الْبَقَاءِ بِالْمَدِينَةِ، وقال: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرّ مَقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا، وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ وَأَلّا يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ رِجَالٌ مِمّنْ كَانَ فَاتَهُم القتالُ يومَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ اُخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنّا جَبُنّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا، فمازالوا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتّى دَخَلَ بَيْتَهُ فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ ثُمّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فنَدِمُوا

---

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، حديث رقم: ٣٠٠٧، والحاكم– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، حديث رقم: ٣١٦٤، بسند صحيح

٢ – سُورَةُ الْفَتْحِ: الآية/ ١٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَكْرَهْنَاك وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْت فَاقْعُدْ صَلّى اللهُ عَلَيْك، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لاَ يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لَأْمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ».[1]

فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ وَرَجَعَ، وَقَالَ عَصَانِي وَأَطَاعَ الْوِلْدَانَ، فلما قتلَ من قتلَ من الْخَزْرَجِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، يعني: ليس لنا رأي في أَمْرِ الْخُرُوجِ، وَإِنَّمَا خَرَجْنَا مكرهين.

وَمِمَّنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ؛ قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ قَوْلَ مُعَتِّبِ بْنِ قُشَيْرٍ أَخِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَالنُّعَاسُ يَغْشَانِي مَا أَسْمَعُهُ إِلَّا كَالْحُلْمِ حِينَ قَالَ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا.[2]

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾.

يعني: قل يا محمدُ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بقضاءِ اللَّهِ وتقديرِه ومشيئته وحكمته.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾.

يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ والنفاقِ وَالشَّكِّ مَا لَا يظهرونه لَكَ.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾.

يعني: يَقُولُونَ لَوْ أطاعنا مُحَمَّدٌ وقَبِلَ مِنَّا رَأْيَنَا وَنُصْحَنَا مَا قُتِلَ إخوانُنَا وأشرافُنَا هَاهُنَا.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾.

يعني: هذا قدر الله وهو حتم لازم ولا يغني حَذَرٌ منْ قَدَرٍ، فَالَّذِينَ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ لَا بُدَّ وَأَنْ يُقْتَلُوا، ولو كانوا فِي بُيُوتِهِمْ لخرجوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَمَصَارِعِهِمْ التي قتلوا فيها في أحدٍ، وَالْمَضَاجَعُ جَمْعُ مَضْجَعٍ وَهُوَ مَحَلُّ وَضْعُ الْجَنْبِ منَ الْأَرْضِ.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾. سورة الشورى: الآية/ ٣٨

٢ – تفسير الطبري (٦/ ١٦٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

الِابْتِلَاءُ: الِاخْتِبَارُ، ليظهرَ لِلنَّاسِ حالَ المؤمنين والمنافقين، لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وإنما وقع ما وقع بمشيئة الله تعالى.

وَالتَّمْحِيصُ هوَ تَخْلِيصُ الشَّيْءِ مِمَّا يُخَالِطُهُ، أي: وليزيل مَا فِي قُلُوبِكُمْ من الشكِّ والريبِ، فيكون تَزْكِيَةً للمؤمنين الصادقين، وتمييزًا للمنافقين.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

أَيْ: وَاللَّهُ عَلِيمٌ مَا تضمره الصُّدُورُ، وما فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: الطِّبَاقُ في قوله: ﴿يُخْفُونَ﴾ وَ﴿يُبْدُونَ﴾، وَفِي فَاتَكُمْ وَأَصَابَكُمْ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، جملةٌ معترضةٌ بين قوله: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾، وقوله: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾، وَفَائِدَةُ الاعْتِرَاضِ هنا: الرَّدُّ على المنافقين تفنيدُ دَعْوَاهُمْ بِإِنَّ سببَ قتلِ مَنْ قُتِلَ عَدمُ قَبولِ مشورَتِهم، والأخذِ برأيهم.

وجناس الاشتقاق في قوله: ﴿يَظُنُّونَ﴾، و﴿ظَنَّ﴾.

وَالتوكيدُ في قوله: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾. أي: يظنون أن إخلاف وعده حاصل.

والحذف في قوله: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾. قال ابن الحاجب: (غَيْرَ الْحَقِّ) و (ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ): مصدران، أحدهما: للتشبيه والآخر: توكيد لغيره، والمفعولان محذوفان، أي: يظنون أن إخلاف وعده حاصل.[1]

١ - فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٤/ ٣٠٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَالتَّفْسِيرُ بَعْدَ الْإِبْهَامِ فِي قوله: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾، ثم فسره فقال: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾.

والتخصيصُ في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، مع علمه الشامل للإشارة إلى أنها مستودع الأسرار، ومحل النيات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٥

اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ يَعْنَى: طَلَبَ زِلَّتَهُمْ وَأَزَلَّهُمْ، كَمَا يُقَالُ: اسْتَعْجَلْتُهُ، أَيْ: طَلَبْتُ عَجَلَتَهُ.

ما زال الحديث في معرض تأديب الله تعالى للمؤمنين لما وقع منهم في غزوة أحدٍ، وتقدم الكلام عمن خالف أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانشغل بجمع الغنائم حتى وقعت الهزيمة، وذكر الله تعالى في هذه الآية من تولى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوم أحد.

ومعنى: ﴿تَوَلَّوْا﴾ أي: فَرُّوا مِنْ أرضِ المعركة، و ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، يعني يوم أحدٍ.

الْمُرَادَ بِالَّذِينَ تَوَلَّوْا الرُّمَاةُ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَثْبُتُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ فتَخَلَّوْا عَنْهَا، سعيًا وَرَاءَ الْغَنَائِمِ.

ويدخل فيهم الَّذِينَ تَخَلَّوْا عَنِ الْقِتَالِ وَانْهَزَمُوا عِنْدَمَا جَاءَهُمُ الْعَدُوُّ مِنْ خَلْفِهِمْ، ففرَّ بعضهم حتى دَخَلُوا الْمَدِينَةَ، وَذَهَبَ بعضهم حتى نَزَلُوا عِنْدَ الْجَبَلِ.

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾.

أي: ذَكَّرَهُمُ الشَّيْطَانُ ذُنُوبًا كَانَتْ لَهُمْ، وجعلها ذريعة لتثبيطهم عن القتال، وسببًا لمعصية الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفرارِ، وقد قيل المعاصي يجر بعضها بعضًا، والذنوب والمعاصي تخذل صاحبها أحوج ما يكون إلى التوفيق.

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

أَيْ: عَفَا اللَّهُ عَمّا كَانَ مِنْهُمْ مَنَ الْفِرَارِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

أَيْ: يَغْفِرُ الذَّنْبَ لمن تابَ إليه، حَلِيمٌ لا يعاجل بالعقوبة، رحمة بعباده.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٦

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِمُ البَاطِلِ وَاعْتِقَادِهِمُ الْفَاسِدِ، وعَدَمِ إِيمَانِهِم بالقدرِ، وكفرهم الله تعالى لما يضمرونه من الكفرِ باللهِ تعالى، وتكذيبِ الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾.

يعني: قَالُوا عَنْ إِخْوَانِهِمْ أو لِأَجْلِ إِخْوَانِهِمْ؛ لأَنَّ إِخْوَانَهُمْ الذين يتحدثون عنهم كَانُوا مَيِّتِينَ أَوْ مَقْتُولِينَ عِنْدَ قَوْلِهم هَذَا، وجعلهم اللهُ إِخْوَانًا لَهُمْ فِي النِّفَاقِ؛ لتشابُهِ قُلُوبِهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾.[1]

أَوْ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ فِي النَّسَبِ وَإِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ﴾، يعني: فَمَاتُوا، المرادُ بالضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ الْإِبْعَادُ فِي السَّفَرِ، لِلتِجَارَةِ أَوْ غَيْرِهَا، ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾، يعني: فَقُتِلُوا، غُزًّى جَمْعُ غَازٍ، كَالرُّكَّعِ وَالسُّجَّدِ، وَمَعْنَى الْغَزْوِ: قَصْدُ الْعَدُوِّ، وَالْمَغْزَى الْمَقْصِدُ، والمرادُ به الجهادُ في سبيلِ اللهِ تعالى.

وفِي الْآيَةِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ فَمَاتُوا أَوْ كَانُوا غُزًّى فَقُتِلُوا.

وَقُدِّمَ الضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ عَلَى الْغَزْوِ لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ بالنسبَةِ للْغَزْوِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

---

١ - سُورَةُ الْحَشْرِ: الآية/ ١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾، أي: لَوْ كَانَ إِخْوَانُنَا عِنْدَنَا مُقِيمِينَ لَمْ يُسَافِرُوا ولم يُجَاهِدُوا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، قالوا ذلك تَنْفِيرًا النَّاسِ عَنِ الْجِهَادِ في سبيل الله.

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

اللَّامُ في قوله: ﴿لِيَجْعَلَ﴾، لَامُ الْعَاقِبَةِ، أَيْ: لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا ذلك القولَ واعتقدوا هذا الاعتقادَ فكَانَ عاقبةُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ، وَالْحَسْرَةُ: شِدَّةُ الْحُزْنِ.

وإنما تحسروا لِقِلَّةِ يَقِينِهم بِرَبِّهِمْ، وعدم إيمانهم بالقدرِ، وفسادِ اعتقادهم: لأنهم اعتقدوا أَنَّ من امتنع عَنْ السَّفَرِ والْغَزْوِ بَقِيَ ولم يمتْ.

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

أي: الحياة والموت بقَضَاءِ اللَّهِ وقدرِهِ، فلا يغني الْحَذَرُ عَنِ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

تَرْغِيبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ في الطاعةِ والجهادِ وحسنُ الظنِ بالله تعالى، ووعيدٌ لِلْمُنَافِقِينَ على قَوْلِهِمُ البَاطِلِ وَاعْتِقَادِهِمُ الْفَاسِدِ.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

لما قال الْمُنَافِقُونَ عَمَّنْ قُتِلَ: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾، ردَّ الله تعالى تلك الشُّبْهَةَ في الآيةِ السابقة بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فالحياة والموت بقَضَاءِ اللَّهِ وقدرِهِ، وبين في هذه الآيةِ أَنَّ هَذَا الْمَوْتَ وَاقِعٌ لَا بُدَّ منهُ، فقال: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، يعني: إِنْ قُتِلْتُمْ فِي غَزْوِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مُتُّمْ فِي سَفَرِكُمْ، حَصَلَتْ لَكُمُ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ، وَالْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ على الطاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ مِنَ الْحُطَامِ الْفَانِي فِي الدُّنْيَا، فإِنَّ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ من أعظمِ أسبابِ حصولِ المغفرةِ والفوزِ برحمةِ اللهِ تعالى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأكد الله تعالى الكلام بالقسم حتى لا تؤثر تلك الشُّبْهَةَ في قلوب المؤمنين؛ فإنَّ اللَّامَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ﴾، هي الْمُوَطِّئَةُ لِلْقَسَمِ، أَيْ: مُؤْذِنَةٌ بِأَنَّ قَبْلَهَا قَسَمًا مُقَدَّرًا، تقديره: والله لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي الجهادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مُتُّمْ فِي سَفَرِكُمْ، ليغفرَنَّ الله لكم، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ هِيَ لَامُ جَوَابِ الْقَسَمِ.

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾.

يعني: إِذَا كَانَ الْمَوْتُ وَالْقَتْلُ لَا بُدَّ مِنْهُ، ولَا بُدَّ منَ الْحَشْرِ والعَرْضِ على الله تعالى بعدَ ذَلِكَ، فأَنَّ أَنْ تَمُوتُوا فِي سَفَرِكُمْ أوْ تُقْتَلُوا فِي غَزْوِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فتتحقق لكم المغرفةُ وَالرَّحْمَةُ خَيْرٌ لكم مِنْ أنْ تَمُوتُوا عاصين لربكم أوْ تُقْتَلُوا فارّين مِنْ الجهادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وفي لفظ: ﴿مُتُّمْ﴾، قراءتان متواترتان، الأولى: ﴿مِتُّمْ﴾ بِكَسْرِ الْمِيمِ، مِنْ مَاتَ يَمَاتُ، مِثْل: هِبْتُمْ، وَخِفْتُمْ، وبها قرأ: نَافِعٌ، وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، والثانيةُ: ﴿مُتُّمْ﴾، بِضَمِ الْمِيمِ، مِنْ مَاتَ يَمُوتُ، مِثْل: صُمْتُمْ، وَقُلْتُمْ، وَبِهَا قَرَأَ الْجُمْهُورُ، وهما لغتان.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآيات: الطباق في: (يُحْيِي)، وَ (يُمِيتُ)، و (آمَنُوا) و (كَفَرُوا).

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وما قال: وَهُو بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ؛ لما لاسم الجلالة من الهيبة في النفوس.

وَالِاسْتِعَارَةُ فِي قوله: ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ﴾؛ شبه المسافر في البر بالسابح الضارب في البحر، لأنه يضرب بأطرافه في غمرة الماء شقاً لها واستعانة على قطعها.

والتَّخصِيصُ بتَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ في قوله: ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَة/ ١٥٩

لَمَّا رَفَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ تَوَلَّى يَوْمَ أُحُدٍ وَلَمْ يُغْلِظْ عَلَيهِم فِي الْقَوْلِ، وَلَمْ يُعَنِّفْهُمْ مع عِظَمِ جِنَايَتَهُمْ عُلِمَ أَنَّ هَذَا لَا يكونُ إِلَّا بِتَأْيِيدِ رَبَّانِيّ، لأنه أمرٌ عجيبٌ؛ فقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾، ومعناه: فَبِأَيّ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَأَيُّ شَيْءٍ جَعَلَكَ لَهُمْ لَيِّنًا لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ بِكَ وَبِهِمْ.

وَأما القول بأَنَّ (مَا) زَائِدَةٌ، فهو غَيْرُ جَائِزٍ فِي كلامِ اللهِ تعالى؛ لِأَنَّ مَا لَا يُفِيدُ، لا يجوزُ أن ينسبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

الفَظُّ: السَّيءُ الْخُلُقِ، الْجَافِي الطَّبْعِ، وَالْغَلِيظُ الْقَلْبِ: هو مُتَجَهُّمُ الْوَجْهِ، قليلُ الرَّحْمَةِ، قَاسِي الْقَلْبِ، ومن الناس من يفتخر بذلك كما قال القائلُ:

يُبْكَى عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أحدٍ ***** لنحن أغلظ أكبادًا من الإبلِ

وَالِانْفِضَاضُ: التَّفَرُّقُ.

يمدح الله تعالى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويثني عليه بما حباه به من كريم الخصال، وجميل الخلالِ بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، أي: لَوْ كُنْتَ يا محمد سيِّئَ الْخُلُقِ، جَافِي الطَّبْعِ، قَاسِيَ الْقَلْبِ عَلَيْهِمْ لتفرقوا عَنْكَ وَتَرَكُوكَ وحدكَ.

وقد بيَّنَ اللهُ تعالى رحمةَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُؤْمِنِينَ بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

١ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ١٢٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُؤْمِنِينَ ما رواه البخاري عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ».[1]

وتلك صفة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا".[2]

والْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾، للتَّعْقِيبِ، وَهَذَا من كَمَالِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى بهمْ وبهَذِهِ الْأُمَّةِ، حَيْثُ عَفَا هُوَ عَنْهُمْ، وأَوْجَبَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ فِي الْحَالِ.

وأمر الله تعالى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعفو عنهم لما تسببوا فيه من الأذى له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾، ثم أمره أن يستغفر لهم لما فرطوا فيه في حق الله تعالى، فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ثم أمره أن يَسْتَشِيرَهم فِي أَمْرِ القتال وغيره مما ليس فيه تشريعٌ، ولا هو حدٌّ من حدودِ الله تعالى، ليرفع عنهم الحرجَ، ولتطيبَ نفوسهم وتأنسَ بعد وحشتها، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، وَلَوْلَا ذلكَ لَمَنَعَتهُمُ الْهَيْبَةُ مِنَ الْقُرْبِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ التَّوَلِّي يومَ أُحدٍ، وهذا تَدْرِيجٌ بَلِيغٌ، وترقٍ عجيبٌ، في مداواة نفوس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، بعد الهزيمة في غزوة أحدٍ.

وَالْمُشَاوَرَةُ مَصْدَرُ شَاوَرَ، مَأْخُوذَةٌ مِنْ شَوْرِ الْعَسَلِ، قال أَبُو عُبيد: شُرْتُ الْعَسَلَ، أَخَذْتُه من مَوْضعه؛ لأَنَّ الْمُسْتَشِيرَ يَأْخُذُ الرَّأْيَ مِنْ غَيْرِهِ.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ مَنْ أَخَفَّ الصَّلاَةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ، حديث رقم: ٧٠٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ السَّخَبِ فِي السُّوقِ، حديث رقم: ٢١٢٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقِيلَ: الْمُشَاوَرَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: شَارَ الدَّابَّةَ إِذَا اخْتَبَرَ جَرْيَهَا عِنْدَ عَرْضِهَا للبيعِ؛ قال الأصمعيّ: شَارَ الدّابة وَهُوَ يَشُورُها شَوْرًا، إذا عَرَضَها.

وَالشُّورَى مبدأ من مبادئ الإسلام الثابتةِ، وقاعدة من قواعده الراسخة، مَدَحَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عليها فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ﴾.[1]

ولا يغني عنها ما يعرف بالديمقراطية، لما تشتمل عليه الأخيرة من مخالفات شرعية.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالشُّورَى مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ وَعَزَائِمِ الْأَحْكَامِ، مَنْ لَا يَسْتَشِيرُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ فَعَزْلُهُ وَاجِبٌ. هَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ.[2]

ولا يحل لأحد بعد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يستبد برأيه بعد قول الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، قَالَ الْحَسَنُ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: إِنَّمَا أُمِرَ بِذَلِكَ لِيَقْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ فِي الْمُشَاوَرَةِ وَيَصِيرَ سُنَّةً فِي أُمَّتِهِ.

وَقَدْ أَستشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه يوم بدرٍ ويوم أحدٍ ويوم الخندقِ وغيرها فقبل منهم.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

يعني: إِذَا شَاوَرْتَهُمْ فحَصَلَ الرَّأْيُ الْمُتَأَكَّدُ بِالْمَشُورَةِ وعقدت قلبك عَلَيْهِ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وفوض امرك إليه فِي إِعَانَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ وَعِصْمَتِهِ.

والتَّوَكُّلُ هو: صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب، ومنها المشورة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

أي: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ من اعتمدَ عليه، وفوضَ أمور إِليه وركن إليه بكليته، مع أخذه بالأسباب.

ا

---

١ - سورة الشورى: الآية/ ٣٨

٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٣٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: التَّعَجُّبُ في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾.

وَالِاسْتِعَارَةُ فِي قوله: ﴿لِنْتَ لَهُمْ﴾، وَفِي قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾.

والطباق في قوله: ﴿لِنْتَ﴾، وَفِي قوله: ﴿غَلِيظَ﴾.

والترقي في قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، حَيْثُ بَدَأَ بالعفوِ، ثم ثَنَّي بالاستغفار لهم، ثم ثَلَّثَ بالأمر بمشاورتهم، وهو تَدْرِيجٌ بَلِيغٌ، وترقٍ عجيبٌ.

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: أمر الله تعالى رسوله بهذه الأوامر التي هي بتدريج بليغ، وذلك أنه أمره بأن يعفو عليه السلام عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة وحق، فإذا صاروا في هذه الدرجة، أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة، فإذا صاروا في هذه الدرجة كانوا أهلا للاستشارة في الأمور.[1]

١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٣٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٠

الْخِذْلَانُ تَرْكُ الْمَعُونَةِ، وَالْمَخْذُولُ: الْمَتْرُوكُ الذي لَا يُعْبَأُ بِهِ.

يخبر الله تعالى عباده المؤمنين أنهم لا مولى لهم ينصرهم على عدوهم سوى الله تعالى، وإذا نصرهم اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَهُمْ، ولو كان المؤمنون أقلَّ عددًا، وأضعفَ عُدةً، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأَقْطَارِهَا جميعًا، كما قَالَ اللهُ تَعَالَى في الحديث القدسي: "يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا".[١]

﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

يَعْنِي إِنْ يَخْذُلْكُمْ رَبُّكُمْ، فيترككم ولا يعبأ بكم، لمخالفتكم أمره، وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا نَاصِرَ لَكُمْ من الخلقِ، فالنَّصْرُ وَالْخِذْلَانُ بتقدير الله تعالى ومشيئته، وكلاهما متوقف على طاعة المؤمنين لربهم، وحسنِ ظنهم به، وتوكلهم عليهم.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

تَذْيِيلٌ الغرضُ منه بيانُ أَسْبَابِ نَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وهي تحقيق العبودية له تعالى بالإيمان به تعالى، ولا يتحقق ذلك إلا بكمال الطاعة مع كمال الحب والذل لله تعالى.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: المقابلة في قوله: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾. ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾.
وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. لإفادة الحصر.
والتوكيد في قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾.

---

١ – رواه مسلم– كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، حديث رقم: ٢٨٨٩، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والتخصيصُ في قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، لبيانِ فَضْلِ الإيمانِ، ومنزلةِ الْمُؤمِنِينَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦١

سَبَبُ نزولِ هَذِهِ الْآيَةِ:

قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حِينَ تَرَكَ الرُّمَاةُ الْمَرْكَزَ يَوْمَ أُحُدٍ طَلَبًا لِلْغَنِيمَةِ وَقَالُوا: نَخْشَى أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ وَأَنْ لَا يُقَسِّمُ الْغَنَائِمَ كَمَا لَمْ يُقَسِّمْهَا يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ظَنَنْتُمْ أَنَّا نَغُلُّ فَلَا نَقْسِمُ لَكُمْ» فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ الرُّمَاةَ لما خالفوا أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وتركوا مَرَاكِزَهُمْ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَسْتَوْلِيَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنِيمَةِ، ولا يعطوا منها وكان فعلهم هذا قدحًا في عدلِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجُورُ فِي الْقِسْمَةِ، فلا يَغُلُّ ولا يَرْضَى بالْغُلُولِ.

الْغُلُولُ هُوَ الْخِيَانَةُ، وَأَصْلُهُ أَخْذُ شَيْءٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ خُفْيَةً.

فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾. قراءتان متواترتان، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَاصِمٌ ﴿أَنْ يَغُلَّ﴾. مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ مِنْ غَلَّ، وَمَعْنَاها: لَا يُمْكِنُ أن يتأتي ذَلِكَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْغُلُولَ مَعْصِيَةٌ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُومٌ مِنَ الْمَعَاصِي.

وَخُصَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالذِّكْرِ؛ لأَنَّ النُّبُوَّةَ وَالْخِيَانَةَ لَا تَجْتَمِعَانِ، وَلأَنَّهُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ فَكَانَتِ الْخِيَانَةُ فِي حَقِّهِ أَفْحَشَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَخُونَ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: ﴿أَنْ يُغَلَّ﴾. بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْغَيْنِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَمَعْنَاها: لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَنِيمَةِ، فَالنَّهْيُ لِلنَّاسِ عَنِ الْغُلُولِ فِي الْمَغَانِمِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَخُصَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ الْغُلُولُ عليه وعلى غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ أشنعُ.

لَمَّا نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنِ الْغُلُولِ، وَأَخْبَرَ سبحانه أَنَّ الْغُلُولَ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ أَنْبِيَائِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾، أعقب ذلك ببيان حالِ مَنْ غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فيكونُ ذلك فضيحةً له على رؤوسِ الأشهادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ومن ذلك هَدَايَا الْعُمَّالِ، ومَا يأخذُهُ الموظفُ لأجلِ وظيفتِهِ، ولولاها ما أُهدِي إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، خبرٌ المرادُ به التَّهْدِيدُ وَالوَعِيدُ على الْغُلُولِ.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ» ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ». بَصُرَ عَيْنِي وَسَمْعَ أُذُنِي.[1]

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَدَايَا الْعُمَّالِ غُلُولٌ».[2]

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ هَدَايَا العُمَّالِ، حديث رقم: ٧١٧٤، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ، حديث رقم: ١٨٣٢

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٣٦٠١، والبزار- حديث رقم: ٣٧٢٣، والبيهقي في السنن الصغرى- كِتَابُ آدَابِ الْقَاضِي، بَابُ مَا عَلَى الْقَاضِي فِي الْخُصُومِ وَالشُّهُودِ، حديث رقم: ٣٢٦٦، وصححه الألباني في الإرواء: ٢٦٢٢، وصَحِيحِ الْجَامِع: ٧٠٢١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ».[1]

﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

أي: ثُمَّ تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جَزَاءَ مَا عَمِلَتْ من خيرٍ أو شرٍّ، جَزَاءً وَافِيًا مستكملًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ، وتوفيةُ الجزاءِ على الثَّوَابِ تفضُّلٌ من الله تعالى، وَتوفيةُ الجزاءِ على الْعِقَابِ وعيدٌ وتهكمٌ بالعصاة.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: التخصيصُ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾.

النفي في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾. للشأن وهو أبلغ من نفي الفعل، كأن يقال في غير كلام الله تعالى: (ما غلَّ نَبِيٌّ)، والمراد من النفي هنا تنزيه أنبياء الله عليهم السلام.

والجناس المماثل في: (يَغُلَّ)، و(غَلَّ) من قوله: ﴿أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الغُلُولِ، حديث رقم: ٣٠٧٣، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، حديث رقم: ١٨٣١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والطباق في: (تُوَفَّى)، و (يُظْلَمُونَ)، من قوله تعالى: ﴿تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٢، ١٦٣

يقارن الله تعالى بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ، بَيْنَ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ، فلا يستوي من آمنَ باللهِ تَعَالَى وآثر طاعته وطلب رضوانه، ومن كفر باللهِ تَعَالَى تعمدَ معصيته فاستحق سخطه.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ.....﴾. سؤالٌ المرادُ منه الإنكارُ على من توهم استواء الفريقين، وبينهما من تباين المنزلتين، وافتراق الحالتين كما بين السماء والأرض.

وقيلَ المرادُ: أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ فَلَمْ يَغُلَّ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ حِينَ غَلَّ؟

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ يَوْمَ أُحُدٍ، كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ بِتَخَلُّفِهِ وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.[1]

والراجح أَنَّ اللَّفْظَ فِي هذِهِ الآيةِ عَامٌّ، يدخلُ فيه الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، ومَنْ غلَّ ومَنْ تَرْكَ الْغُلُولَ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾.[2]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾.[3]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ﴾.[4]

---

١ – البحر المحيط في التفسير (٣/ ٤١٣)

٢ – سُورَةُ السَّجْدَةِ: الْآيَة/ ١٨

٣ – سُورَةُ ص: الْآيَة/ ٢٨

٤ – سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: الْآيَة/ ٢١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والرِضْوَانُ مَصْدَرٌ كَالْكُفْرَانِ، وَالْحِسْبَانِ، وفي: ﴿رِضْوَان﴾ قراءتانِ متواترتان بِضَمِّ الرَّاءِ، وَكَسْرِها وَهُمَا لغتانِ، والرِضْوَانُ: غايةُ الرِّضَا.

و﴿بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾. أي: رَجَعَ به واحْتَمَلَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٢٩]، يَعْنِي: تَنْصَرِفُ مُتَحَمِّلَهُمَا وَتَرْجِعُ بِهِمَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٦١]، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي انْصَرَفُوا ورجعوا. ولا يكون إلا رجوعًا بشرّ.

والسَّخَطُ: غضب يقتضي عقوبة.

﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

أَيْ: مَكَانُهُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ هُوَ جَهَنَّمُ، وفي الكلام تهكم بهم، فإن المأوى في الأصل المكان الذي يُحْتَمَى فيه، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ مصيرُ مَنْ كانت جَهَنَّمُ مَأْوَاهُ.

وَعُلِمَ مِنْ تباين المنزلتين أَنَّ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ مَأْوَاهُ الْجَنَّةُ.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

الضمير يعودُ على مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ وَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: مَنَازِلُ، يَعْنِي: مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَدَرَكَاتِهِمْ فِي النَّارِ.

وَقَتَادَةُ: أَيْ ذَوُو دَرَجَاتٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾.[1]

وَقَوْلُهُ: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، تشريفٌ لأهل الطاعةِ، ووعيدٌ لمن سخط عليهم.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

سيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، وما يستحقه من جزاءٍ وعقابٍ.

١ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَة/ ١٣٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: السؤالُ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ....﴾؟، المرادُ منه الإنكارُ على من توهم استواء الفريقين.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾، اسْتِعَارَةٌ، حيث شَبَّهَ اللهُ تعالى شرعه بالدليل الذي يفضي بمن اتَّبَعَهُ إلى رِضْوَانَ اللَّهِ تعالى.

قالَ أبو حيان: وَهَذَا مِنَ الِاسْتِعَارَةِ الْبَدِيعِيَّةِ. جَعَلَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ كَالدَّلِيلِ الَّذِي يَتْبَعُهُ مَنْ يَهْتَدِي بِهِ، وَجَعَلَ الْعَاصِيَ كَالشَّخْصِ الَّذِي أُمِرَ بِأَنْ يَتَّبِعَ شَيْئًا عَنِ اتِّبَاعِهِ وَرَجَعَ مَصْحُوبًا بِمَا يُخَالِفُ الِاتِّبَاعَ.[1]

والطباق في: (رِضْوَانَ)، و (سَخَطٍ).

فِي قولِهِ تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾، حَذْفُ إيجازٍ تَقْدِيرُهُ: أفمن اتَّبَعَ مَا يُفْضِي بِهِ إِلَى رِضْوَانَ اللَّهِ عَنْهُ، كَمَنْ اتَّبَعَ مَا يُفْضِي بِهِ إِلَى سخطِ اللَّهِ عليهِ؟

وضعُ الظاهرِ موضعَ المضمرِ في قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. لما للفظ الجلالة من المهابة في النفوس.

التنكير في لفظ: (سَخَطٍ) من قوله تعالى: ﴿بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾. للتهويل؛ أي: بَاءَ بِسَخَطٍ عظيمٍ لا يكادُ يُوصَفُ.

---

١ - البحر المحيط في التفسير (٣/ ٤١٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٤

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أرادَ تَسْلِيَةَ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْهَزِيمَةِ وَالْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ، بِتَذْكِيرِهِم بما أنعمَ عليهم به مِنَ النِّعَمِ، ومن أجلها بِعْثَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ، وكونه مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ ليعظم الرغبةَ في نفوسهم لامتثال أمره، ونُصْرَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ، والجهادِ بين يديه.

وَالْمَنُّ يطلقُ فِي القرآن ويرادُ بِهِ أربعةُ مَعَانٍ: الأَولُ: نوع من الطعام ينزل على أوراق الشجرِ؛ وَهُوَ المذكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوى﴾.[١]

وَالثَّانِي: تَعْدَادُ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى﴾.[٢]

وَالثَّالِثُ: الْقَطْعُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.[٣]

وَالرَّابِعُ: الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ لَا تَطْلُبُ الْجَزَاءَ مِنْهُ؛ كَمَا فِي هذه الآية، وكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَذَا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾.[٤]

يخبر الله تعالى عن واسعِ فضلِهِ، وعظيم إحسانِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أنه بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ جِنْسِهِمْ لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ التَّأَسِي بِهِ، وفهمِ خِطَابِهِ، وامتثالِ أمرِهِ، وَالِانْتِفَاعِ بهديِهِ، والتخلقِ بأخلاقِهِ، ولو كان من غير جنسهم، لما أمكنهم الاقتداءُ به، وَلا الِانْتِفَاعُ بهديِهِ، والتَّخَلُّقُ

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٥٧

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٦٤

٣ - سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآية/ ٨

٤ - سُورَةُ ص: الآية/ ٣٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بأخلاقِهِ، وهذا هو وجهُ الِامْتِنَانِ أَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾.[1]

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾.

يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْقُرْآنَ.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾.

يَعْنِي: ويُطَهِّرُهُمْ مِنْ أدران الشرك، ومساوئ الأخلاق، وقبائح الذنُوبِ والآثامِ.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

يَعْنِي: وَيُعَلِّمُهُمْ القرآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ وَأَحكَامَهُ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْحِكْمَةَ وهي السُّنَّةُ الَّتِي أوحى اللَّهُ بها إليه تبيانًا للقرآن، وتفصيلًا لأحكامه.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ بعثتهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفِي جَهَالَةٍ جَهْلَاءَ، وَحَيْرَةٍ عَمْيَاءَ، فعلمهم الله تعالى به من الجهالة وبصرهم به من العمى، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور.

وَوُصِفَ الضَّلَالُ بِالْمُبِينِ لِشِدَّةِ ظهورِهِ فلَا يَلْتَبِسُ عَلَى أَحَدٍ، ولا أضل ممن يعبدُ حجرًا، ويرجو الخير من وثنٍ، ويخشى الضرَّ من صنمٍ.

وهل هناك أضلُّ ممن يصنع إلهًا من التمر فإذا جاع أكله؟

كما قال الشاعر:

أكلـــــت حنيفـــــة ربهـــــا ***** زمـــــن الـــــتقحم والمجاعـــــة

لم يحـــــذروا مـــــن ربهـــــم ***** ســـــوء العواقـــــب والتباعـــــة

---

١ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآية/ ١٠٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٦٥

يسأل الله تعالى الْمُسْلِمِينَ منكرًا عليهم قولهم: ﴿أَنَّى هَذَا﴾، مَعَ أَنَّ أَسْبَابَ القتلِ والهزيمةِ لا تخفى عليهم.

فلما كان قولهم مما يتعجب منه السامعُ قال الله تعالى منكرًا عليهم، ومعاتبًا لهم: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾. وكانَ الْمُسْلِمُونَ قدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعِينَ رجلًا وَأَسَرُوا منهم سَبْعِينَ؛ وَقَتْلَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعِينَ رجلًا، فقال الْمُسْلِمُونَ: ﴿أَنَّى هَذَا﴾؟ يعني: مِنْ أَيْنَ وقعَ لنا هَذَا؟ وكيفَ حَدَثَ لنا هذا؟ كَيفَ أَصَابَنَا ما أَصَابَنَا منَ الْقَتْلِ، وكيف حلت بنا الهزيمةُ، كَيْفَ يُسَلِّطُ اللهُ الْمُشْرِكِينَ عَلَينا وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ، وَنُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ؟

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.

أي: سَبَبُ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، بشؤمِ معصيتكم لأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبسببِ انشغالِكم بجمعِ الغنائمِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي: اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أن ينصركم، وقَادِرٌ عَلَى أَنْ ينصر عدوكم، وَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يُصِيبَ بِكُمْ، وَعَلَى أَنْ يُصِيبَ مِنْكُمْ، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

مِنَ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في الآية: جِنَاسُ الاشتقاقِ في قوله: ﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾.

وَالجِنَاسُ الْمُمَاثِلُ فِي: ﴿أَصَابَتْكُمْ﴾، و﴿أَصَبْتُمْ﴾.

وَالسؤالُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الإنكارُ في قولهِ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾.

وَالتَّأْكِيدَ فِي قولِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالْحَذْفُ فِي قوله: ﴿أَنَّى هَذَا﴾، والتقدير: كيفَ حَدَثَ لنا هذا؟ وكَيفَ أَصَابَنَا ما أَصَابَنَا من الْقَتْلِ والهزيمةُ؟

وفي قوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، والتقديرُ: قل: سَبَبُ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ بشؤمِ مخالفتكم لأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٦، ١٦٨

هذهِ الْآيَةُ تَسْلِيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ عَمَّا أَصَابَهُمْ من القتل والجراح والهزيمة، وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾. الْمُرَادُ بِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَالْجَمْعَانِ: جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾، يطلق الإذن في كتاب الله تعالى ويراد به أربعة أمور:

الْأَوَّلُ: العلم؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.[1]

والثَّانِي: التَّخْلِيَةُ وَتَرْكُ المنع؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾.[2]

وَالثَّالِثُ: الْأَمْرُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾. [المائدة: ١١٠]، أي: بأمري وَإِرَادَتِي.

وَالرَّابِعُ: القَضَاءُ وَالحُكْمُ؛ وهو أقرب المعاني هنا، هُوَ الْمَنْقُولُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي: الَّذِي أَصَابَكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، مِنَ الْهَزِيمَةِ وَالْقَتْلِ وَالْجَرَاحِ فَهُوَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَحُكْمِهِ الذي لا يردُّ، لِحِكْمَةٍ أَرَادَهَا اللهُ تَعَالَى.

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾.

يعني: لِيُمَيِّزَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَيَظْهَرَ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ بثباتهم وصَبْرِهِم فِي الْقِتَالِ، وَيَظْهَرَ كُفْرُ الْمُنَافِقِينَ بِإِظْهَارِهِمُ الشَّمَاتَةَ بما أصاب الْمُؤْمِنِينَ.

وفي الكلام حَذْفٌ، تَقْدِيرُهُ: (وَلِيَعْلَمَ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ وَنِفَاقَ الْمُنَافِقِينَ).

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ٢٧٩

٢ - سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَة/ ٣٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، وَلَمْ يَقُلْ: وَلِيَعْلَمَ الْمُنَافِقِينَ؛ ليبين ثبات المؤمنين على دينهم؛ فإن الِاسْمُ يَدُلُّ عَلَى الثباتِ والاستقرارِ، وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾؛ لأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ، وقد ظَهَرَ منهم النِّفَاقُ بعد خَفَائِهِ.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾.

يعني: وَلِيَظْهَرَ كُفْرُ الْمُنَافِقِينَ وَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ وَأَصْحَابُهُ وكانوا قد خَرَجُوا مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ ثمَّ قَالُوا: لِمَ نُلْقِي أَنْفُسَنَا فِي الْقَتْلِ، ثُمَّ رَجَعُوا مِنَ الطَّرِيقِ وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ، لِيُخَذِّلُوا الْمُسْلِمِينَ عَنِ القِتَالِ وَيُوقِعُوا فِيهِمُ الْفَشَلَ، فَمَشَى فِي أَثَرِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ الأنصاري، أَبُو جَابِرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال لهم: أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ أَنْ تَخْذُلُوا نَبِيَّكُمْ وَقَوْمَكُمْ عِنْدَ حُضُورِ الْعَدُوِّ، اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَتْرُكُوا نَبِيَّكُمْ، تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾.

قال لهم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فإِنَّ نصرةَ الْإِسْلَامِ واجبةٌ عليكم إن كنتم مسلمين، وإلا فَقَاتِلُوا دِفاعًا عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ وَابْنُ جُرَيْجٍ: ادْفَعُوا عَنَّا الْعَدُوَّ بِتَكْثِيرِ سَوَادِنَا إِنْ لَمْ تُقَاتِلُوا مَعَنَا.

﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾.

لما قال لهم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ: مَا أَرَى أَنْ يَكُونَ قِتَالٌ، وَلَوْ عَلِمْنَا أَنْ يَكُونَ قِتَالٌ لَكُنَّا مَعَكُمْ. فَلَمَّا يَئِسَ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَرَامٍ قَالَ: اذْهَبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فَسَيُغْنِي اللَّهُ رَسُولَهُ عَنْكُمْ. وَمَضَى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقاتل حتى اسْتُشْهِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.

لأن مَا ظهرَ مِنْ حَالِهِمْ يَوْمَئِذٍ من أَمَاراتِ الْكُفْرِ عَلَيْهِمْ والإعراض عن نصرة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعلتهم أَقْرَبَ لِلْكُفْرِ مِنْ الْإِيمَانِ.

وَقَالَ تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾. وَلَمْ يَقُلْ: هُمْ كُفَّارٌ؛ تَأْدِيبًا لَهُمْ ليفتح باب التوبة لمن قدر الله توبتهم منهم، ولئلا يتجرأ بقيتهم على المجاهرة بالكفر، وَمَنْعًا للمؤمنين من التَّكْفِيرِ بِالْعَلَامَاتِ وَالْقَرَائِنِ لا سيما التي تحتملُ الْعُذْرَ وَالتَّأْوِيل.

وقِيلَ: هَذَا نَصٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُمْ كُفَّارٌ.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

أي: يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ويُضْمِرُونَ الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ، وقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، للتأكيد، مثل قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾.[1]

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُضْمِرُونَهُ فِي أنفسهم وسيحاسبهم عليه، وصيغةُ التفضيلِ في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾. لبيانِ أنَّ ما يكتُمونه من النفاقِ يعلمه المؤمنون على وجه الإجمال، لا يعلم ذلك على وجه التفاصيلَ إلا الله تعالى.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

نَزَلَتْ هذهِ الْآيَةُ فِي عَدُوِّ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ وَأَصْحَابُهُ عَمَّنْ قُتِلُوا يومَ أُحدٍ لَوْ أَطَاعُونَا فِي أَلَّا يَخْرُجُوا إِلَى القتالِ لَمَا قُتِلُوا، ومعنى: ﴿لِإِخْوانِهِمْ﴾ عَنْ إِخْوَانِهِمْ، كقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ

---

١ - سُورَةُ الانعام: الآية/ ٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً مَا سَبَقُونا إِلَيْهِ﴾. [الْأَحْقَاف: ١١]، أي: قالَوا عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً مَا سَبَقُونا إِلَيْهِ، والمرادُ هنا إِخْوَةُ النَّسَبِ لَا إِخْوَةُ الدِّينِ لأَنَّهم كانوا مِنَ الْخَزْرَجِ.

وَقِيلَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيّ بْنِ سَلُولَ وَأَصْحَابُهُ لِإِخْوَانِهِمْ الْمُنَافِقِينَ: لَوْ أَطَاعَنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي أَلَّا يَخْرُجُوا إِلَى القتالِ لَمَا قُتِلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾.

أَيْ: قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ وَقد قَعَدُوا هُمْ عَنِ الْجِهَادِ.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

أَيْ: لَوْ أَطَاعَنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي أَلَّا يَخْرُجُوا إِلَى القتالِ لَمَا قُتِلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ.

﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

الدَّرْءُ: هُوَ الدَّفْعُ، ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [الْبَقَرَة: ٧٢]، أَيْ: تَدَافَعْتُمْ، يَدْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ التهمةَ عَنْ نفسه.

أَيْ: قُلْ لَهُمْ يا محمدُ فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قولكم إن بقاءهم في بيوتهم يدفع عنهم الموت، ويؤخر الأجلَ، فإِنَّ الْمَقْتُولَ يُقْتَلُ بِأَجَلِهِ، ولَا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنَ قَدَرٍ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليبِ البلاغيةِ في الآياتِ: التأكيدُ في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

حذفُ الإيجازِ في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، تَقْدِيرُهُ: (وَلِيَعْلَمَ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ وَنِفَاقَ الْمُنَافِقِينَ).

والطباق في قوله: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَ ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، وفي قوله: ﴿لِلْكُفْرِ﴾، و ﴿لِلْإِيمَانِ﴾، وفي قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، و ﴿يَكْتُمُونَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٩- ١٧١

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيمن اسْتُشْهِدَ يومَ أحدٍ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي حَمْزَةَ وَأَصْحَابِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.[1] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا»؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ»؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ» قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾.[2]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا

---

١ - رواه الحاكم في مستدركه- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْحَجِّ، حديث رقم: ٣٤٥٧

٢ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، حديث رقم: ٣٠١٠، وابن حبان- كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ، رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا كَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُ كِفَاحًا، حديث رقم: ٧٠٢٢، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنِ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغَهُمْ عَنْكُمْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾».[1]

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى المؤمنين فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ يُرْزَقُونَ، تَرِدُ أَرْوَاحَهُمْ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، والفرق بين أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ وأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، أن أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَأَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مُعَلَّقَةٌ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ ولا تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، ولَا تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا.

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرٍ مُعَلَّقٍ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى يَرُدَّهَا اللهُ إِلَى أَجْسَادِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[2]

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: «هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».[3]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٣٨٨، وأبو داود- كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي فَضْلِ الشَّهَادَةِ، حديث رقم: ٢٥٢٠، الحاكم في مستدركه- كِتَابُ الْجِهَادِ، حديث رقم: ٢٤٤٤، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وحسنه الألباني.

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٥٧٧٦، وابن ماجه- كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَا يُقَالُ عِنْدَ الْمَرِيضِ إِذَا حُضِرَ، حديث رقم: ١٤٤٩، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ١٢٠، بسند صحيح

٣ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، حديث رقم: ١٨٧٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

قالَ ابنُ قتيبةَ: الفَرَحُ: الْمَسَرَّةُ، أَيْ: مَسْرُورِينَ بِمَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ مِنْ قُرْبِهِ، وَبما أنعمَ عليهم مِنْ دُخُولِ جَنَّتِهِ، وَبِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ فِيهَا؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.[1]

وإنما ذم الله تعالى قومًا على الفرح لأنهم فرحوا وَمَلَاذَّتها؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ﴾.[2]

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الِاسْتِبْشَارُ: هُوَ السُّرُورُ الْحَاصِلُ بِالْبِشَارَةِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَشَرَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَرِحَ ظَهَرَ أَثَرُ السُّرُورِ فِي وَجْهِهِ.

أَيْ: وَيُسَرُّونَ بِلُحُوقِ مَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ عَلَى مَا مَضَوْا عَلَيْهِ مِنْ جِهَادِهِمْ، لِيُشْرِكُوهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ.

وأمنهم اللَّهُ منَ الْخَوْفِ فِيمَا يستقبلهم، وَأَذْهَبَ عَنْهُمُ الْحُزْنَ على ما تركوا في الدنيا.

والْخَوْفُ: تَوَقُّعُ الْمَكْرُوهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْحُزْنُ: فَوَاتُ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي الْمَاضِي، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُم لَا يحدثُ لهم خَوْفٌ فِيمَا يستقبلهم مِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يعتريهم حُزْنٌ على فاتهم من الدنيا.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولما ذكر الله تعالى اسْتِبْشَارَ الشهداء بِأَحْوَالِ إخوانهم الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ، ذكر في هذه الآية وَاسْتِبْشَارَهُم بما أعده الله تعالى لهم من النعمة السابغة والفضل العميم، وإنما ذكر الله تعالى فرحهم أولًا حين عاينوا النَّعِيمَ فِي الجَنَّةِ بعدَ الشهادَةِ، وهو جزءٌ مِنْ نعيمِ الآخرَةِ، ثم ذكر الِاسْتِبْشَارَ وَهُوَ الْفَرَحُ التَّامُّ، لما بشّرُوا بتمامِ لنَّعِيمِ فِي الجَنَّةِ، فَنَاسَبَ الْفَرَحُ التَّامُّ تمامَ النَّعِيمِ.

---

١ - سُورَةُ يُونُسَ: الْآيَة/ ٥٨

٢ - سُورَةُ الرَّعدِ: الْآيَة/ ٢٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ منْ آمن به وَصَدَّقَ رَسُولَهُ وَاتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هَذِهِ الْآيَةُ جَمَعَتِ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ، سَوَاءً الشُّهَدَاءُ وَغَيْرُهُمْ، وقَلَّما ذَكَرَ اللَّهُ فَضْلًا ذَكَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَثَوَابًا أَعْطَاهُمْ إِلَّا ذَكَرَ مَا أَعْطَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الطِّبَاقُ فِي قَوْلِهِ: (أَمْوَاتًا)، و (أَحْيَاءٌ)، و (فَرِحِينَ)، و (يَحْزَنُونَ).

والإطنابُ في: (يَسْتَبْشِرُونَ)

والتكرار في: (يَسْتَبْشِرُونَ)، و (فَرِحِينَ)؛ للتأكيد.

والحذف في قوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾. أي: بِنِعْمَةٍ كائنةٍ مِنَ اللَّهِ تعالى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٢

لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ غَزوةِ أُحُدٍ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ نَدِمُوا أَلَّا يكونوا قد قضوا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لِمَ تَرَكْنَاهُمْ؟ لم لا نَرْجِعُ فَنَسْتَأْصِلَهُمْ، وَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرَادَ أَنْ يُرْهِبَهم، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَهِمْ أَشَدُّ الْقَرْحِ، بِطَلَبِ الْعَدُوِّ، وَقَالَ: لَا يَنْطَلِقَنَّ مَعِي إِلَّا مَنْ شَهِدَ الْقِتَالَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَرْكَبُ مَعَكَ فَقَالَ: لَا، وَقَالَ: لَا يَخْرُجَ مَعَنا إِلَّا مَنْ كَانَ حَضَرَ الْوَقْعَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَمْ يأذنْ لِأَحَدٍ سِوَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتعرف هذه الغزوة بغزوة حَمْرَاءِ الْأَسَدِ.

فسَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ يحمل بعضهم بعضًا من شِدَّةِ مَا بِهِمْ مِنْ الْجِرَاحِ، عَنْ أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتِ عُثْمَانَ؛ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَانَ شَهد أُحُدًا قَالَ: شهدتُ أُحُدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَأَخِي فَرَجَعْنَا جَرِيحَيْنِ، فَلَمَّا أَذَّنَ مُؤذّن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ، قلتُ لِأَخِي: أَتُفَوِّتُنَا غَزْوَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَاللَّهِ مَا لَنَا مِنْ دابَّة نَرْكَبُهَا، وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيل، فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ أَيْسَرَ جِرَاحًا مِنْهُ، فَكَانَ إِذَا غُلب حَمَلْتُهُ عُقْبة وَمَشَى عُقْبة حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.[1]

فأثنى الله تعالى عليهم لامتثالهم وسرعة استجابتهم لأمره تعالى وأمر رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ

١ – انظر تفسير الطبري (٦/ ٢٤٠)، وسيرة ابن هشام (٢/ ١٠١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣١٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ» فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ.[1]

وروى مسلمٌ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَبَوَاكَ وَاللهِ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ».[2]

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾.

مِنْ بَعْدِ مَا اثخنتهم الجراحُ، وما حدث لهم غَمّ الهزيمةِ.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا بطَاعَةِ اللهِ ورَسُولِهِ حين دعاهم للقتالِ، وَاتَّقَوُا اللَّهَ فلم يتخلفوا عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن يكون معنى أَحْسَنُوا بامتثال جَمِيعِ الْمَأْمُورَاتِ، وَاتَّقَوْا باجتنابِ جَمِيعِ الْمَنْهِيَّاتِ، ومن كان كذلكَ اسْتَحِقَّ الأجرَ الْعَظِيمَ والثَّوَابَ الجزيلَ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ المغَازِي، بَابُ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، حديث رقم: ٤٠٧٧

٢ - رواه مسلم- كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حديث رقم: ٢٤١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٣

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ لقوا نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيَّ فَجَعَلُوا لَهُ جُعْلًا على أن يبلغ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، أَنَّهم قَدْ جَمَعُوا لَهُمْ، فَأَخْبِرْهُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ ليثبطهم عن القتالِ، فَزَادَهُمْ قولهُ إِيمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: لَمَّا نَدِمُوا يَعْنِي: أَبَا سُفْيَانَ وَأَصْحَابَهُ عَلَى الرُّجُوعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَقَالُوا: ارْجِعُوا فَاسْتَأْصِلُوهُمْ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَهُزِمُوا، فَلَقُوا أَعْرَابِيًّا، فَجَعَلُوا لَهُ جُعْلًا: إِنْ لَقِيتَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّا قَدْ جَمَعْنَا لَهُمْ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثناؤُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَطَلَبَهُمْ حَتَّى بَلَغَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ، فَلَقُوا الْأَعْرَابِيَّ فِي الطَّرِيقِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، فَقَالُوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِي الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي لَقِيَهُمْ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾.

أَيْ: جَمَعُوا لَكُمُ الْجُمُوعَ، فَاخْشَوْهُمْ أَيْ: فَكُونُوا خَائِفِينَ مِنْهُمْ، وإنما قال ذلك تثبيطا للهمم وتخذيلًا لهم عن القتال.

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾.

فَزَادَهُمْ ذَلِكَ الْقَوْلُ إِيمَانًا، وَزَادَهُمْ هَذَا الْكَلَامَ إِيمَانًا لعزمهم عَلَى طَاعَةِ اللهِ ورَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثقتهم بنصر الله تعالى، وفي الآية دليل على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فإن ما يقبل الزيادة يقبل النقصان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

أَيْ: قَالُوا يَكْفِينَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْكَافِي، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْوَكِيلُ: الْكَافِي.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِي فِي النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[1]

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية العَام الذي يراد به الخصوصُ؛ فإنَّ لفظَ ﴿النَّاس﴾. هنا من العَام الذي يراد به الخصوصُ فإن القائل هُوَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ كما قَالَ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ وَعِكْرِمَةُ وَالْكَلْبِيُّ.

وقولهُ: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾. أيضًا من العَام الذي يراد به الخصوصُ فإن المراد بالناس هنا أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ.

ومنها الحذف في قوله: ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، أَيْ: جَمَعُوا لَكُمُ الْجُمُوعَ.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآيَةَ، حديث رقم: ٤٥٦٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٧٤

لما اسْتَجَابَ المؤمنون لأمر اللهِ تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وخرجوا فِي أَثَرِ عَدُوِّهِمْ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وألقى الله تعالى الرعب في قلوب أعدائهم، وفروا راجعين إلى بلادهم، انْصَرَفَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ منْ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، أيْ: بِعَافِيَةٍ مِنْهُ تعالى فلَمْ يَلْقُوا بِهَا عَدُوًّا، ورجعَ المؤمنون بفَضْلٍ من ربهم لما أَصَابُوا مِنَ الْأَرْبَاحِ بِسببِ تِجَارَتِهِمُ الَّتِي اتَّجَرُوا بِهَا هناك، وَلما نالهم منَ الْأَجْرِ الجزيل عند الله تعالى، لَمْ يحدث لهم في تلك الغزوة مَكْرُوهٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَلَا أَذًى، والْبَاءُ فِي قوله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾. بَاءُ الْمُصَاحَبَةِ، أَيِ: انْقَلَبُوا مَصْحُوبِينَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ عَافِيَةٍ يغمرُهُم فضلُ اللهِ تعالى.

وفي التعبير بلفظ: ﴿فَانْقَلَبُوا﴾. إشارةٌ إلى ما نَالُوه من فضلٍ ونعمةٍ من اللهِ تعالى، فَأَنَّ الِانْقِلَابَ صَيْرُورَةُ الشَّيْءِ إِلَى خِلَافَ مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَالرُّجُوعُ عودةُ الشَّيْءِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، لذلك يُقالُ: انْقَلَبَتِ الْخَمْرُ خَلًّا، وَلَا يُقالُ: رَجَعَتِ الْخَمْرُ خَلًّا.

﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾.

اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ بطاعتهم لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرُوِيَ أَنَّهُمْ قَالُوا: هَلْ يَكُونُ هَذَا غَزْوًا؟ فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابَ الْغَزْوِ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ.

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا بالتَّوْفِيقِ لطاعته والعافيةِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بالرضى عنهم والثَّوَابِ الجزيلِ.

ولَمَّا فَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وَاعْتَمَدُوا بِقُلُوبِهِمْ عَلَيْهِ، أسبغَ عليهم النِّعْمَةَ، وَأجزلَ لهم الْفَضْلَ، وَصَرْفَ عنهم السُّوءَ، ورَضِي عَنْهُم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

في الآية من الأساليب البلاغية: الْإِيجَازُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَانْقَلَبُوا﴾. وتقدير الكلام: فخَرَجُوا لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ، فلَمْ يَلْقَوْا عدوًا فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنِ انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ.

والتذيلُ بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾، ليناسب قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾.

والتنكيرُ في لفظ: ﴿بِنِعْمَةٍ﴾، وَ ﴿فَضْلٍ﴾؛ للتكثير والتعظيم، أي بنعمٍ كثيرةٍ، وفضلٍ عظيمٍ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٥

لَمَّا أرسلَ المشركون مَنْ يبلغُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، أَنَّهم قَدْ جَمَعُوا لَهُمْ، ليَقْذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ويثبطهم عن القتالِ، كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ....﴾، بين الله تعالى للمؤمنين أنَّ ذلك كان بمكيدةِ الشَّيْطَانِ وتدبيره، أَلْقَاهُ عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ لَكُمْ؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، يعني: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الْمُثَبِّطُ لكم هو الشَّيْطَانُ، يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَيُوهِمُكُمْ أَنَّهُمْ جَمْعٌ كَثِيرٌ وأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ، لَتَرْهَبُوهُمْ وَتَجْبُنُوا عَنْهُمْ؛ وهذا كقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾، [الْكَهْفِ: ٢]، أَيْ: لِيُنْذِرَكُمْ بَأْسًا شَدِيدًا، وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾، [غَافِرٍ: ١٥]، أَيْ: لِيُنْذِرَكُمْ يَوْمَ التَّلَاقِ، وهذا أولى من قول بعض المفسرين: تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ، فَحُذِفَ الْجَارُّ؛ لأَنَّ التَّخْوِيفُ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ مِنْ غَيْرِ حَرْفِ جَرٍّ؛ يقالُ: خَافَ زَيْدٌ الْقِتَالَ، وَخَوَّفْتُهُ الْقِتَالَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَوْلِيَائِهِ.

وَالْمُرَادُ بِالشَّيْطَانِ هنا شَيْطَانُ الْجِنِّ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ؛ كما قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.[١]

وأَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ هم الكفارُ والمنافقُون الذين يطيعون أمره، ويؤثرون رضاه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فَلَا تَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَرْهَبُوا جَمْعَهُمْ فتقعدوا عن الجهاد في سبيلي، وَخافُونِ فَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِي، فَإِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ، فشأن أهل الإيمان تقديم رضى الله تعالى عن رضى الناس، والخوف من الله دون الناس.

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٧٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٦

يهون اللهُ تَعَالَى على نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كَانَ يُحْزِنُهُ منْ عِنَادِ الْكُفَّارِ، ومن شدةِ مُخَالَفَتهم، وإصرارهم على الْكُفْرِ، فنهاه اللهُ تَعَالَى رحمةً به، كما قَالَ اللهُ تَعَالَى له: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.[١]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.[٢]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾.[٣]

والمراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، الْمُرَادَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، والْمُنَافِقُونَ، وَرُؤَسَاءُ الْيَهُودِ، فإنَّ حُزْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ على هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ جميعًا.

وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحرصَ النَّاسِ على هدايتهم، فنهاه الله تعالى لما كاد أن يصيبه من الضرر من شدةِ حزنه عليهم.

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾.

أي: إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا بِمُسَارَعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ غَيْرَ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَعُودُ وَبَالُ ذَلِكَ إلا عليهم؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾.[٤]

وكما ثبت عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ

---

١ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الْآيَة/ ٣

٢ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَة/ ٧

٣ - سُورَةُ فَاطِرٍ: الْآيَة/ ٨

٤ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ١٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا».[1]

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾.

أَيْ: يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ نَصِيبًا فِي الْجَنَّةِ، وَالْحَظُّ هُوَ: النَّصِيبُ، وَالآيةُ نَصٌّ على أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وَلَهُمْ مع حرمانهم من الجنة عَذَابٌ عَظِيمٌ في نار جهنم.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

وفي الآية من الأساليب البلاغية التضمين في قوله تعالى: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، فإن الفعل يسارع يتعدى بإلى؛ كما في قوله تعالى: ﴿ تَعَالَى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٣]، فضُمِّنَ ﴿يُسَارِعُونَ﴾ مَعْنَى متوغلين، فَعُدِّيَ بِفِي، فيكون المعنى: وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ متوغلين فِي الْكُفْرِ.

والاحتراسُ بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فإنه تعالى لما أخبر أنهم لا لَهُمْ حَظًّ فِي الْآخِرَةِ، ربما توهموا أنهم لا نصيب لهم من النعيم أو العذاب فقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

---

١ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٧٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٧، ١٧٨

لما نهى اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحزنِ على الْكُفَّارِ، وبيَّنَ سبحانه أنهم لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا؛ لأن الله تعالى لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العصاة المعاندين، بيَّنَ هنا حالَ صنفٍ خَاصٍّ مِنَ الكفَّارِ وهم الذين لاحتْ لهم أعلامُ الهُدَى فأعرضوا عنه، وَمُكِنُوا من الإيمانِ فآثروا الكفرَ والضلالَ، ويدخلُ في جملة هؤلاء المذكورين اليهود الذين كَانُوا يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، وَيَسْتَنْصِرُونَ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَرُوا بِهِ.

ويدخلُ فيهم الْمُنَافِقُونَ الذين أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ، وأبطنوا الْكُفْرَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

ويدخلُ فيهم الذين ارْتَدُّوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وكَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، بعد إسلامهم، فلما آثروا الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى، كانوا كالبائع إيمانه بالكفر، وهؤلاء لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا لأن وبال كفرهم عليهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: وَلَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾.

الْإِمْلَاءُ هُو طُولُ الْعُمْرِ وَرَغَدُ الْعَيْشِ، لما ظن هؤلاء أنهم سيكونون أرغد عيشًا، وأهنأ بالًا حين آثروا الكفر على الإيمان، أملى الله تعالى لهم، لا لكرامتهم عليه، ولكن استدراجًا لهم وسخريةً اسْتِهْزَاءً بهم؛ كما قال تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾.[1]

١ - سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الآية/ ٥٥، ٥٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾.

أصل الإملاء لهم: تخليتهم وشأنهم، مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء.

والمعنى: ما كان إِمْلَاءُ الله لهم لإرادة الخير بهم إِنَّمَا أَمْلَى لَهُمْ وأطالَ أَعْمَارَهُمْ وزاد في أرزاقهم لِيَزْدَادُوا إِثْمًا بِعَمَلِ الْمَعَاصِي، فيَزْدَادُوا كفرًا.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

وتخصيص العَذَابِ هنا بالْمُهِينِ ليناسبَ دناءةَ نفوسِهِم التي استبدلتِ الكفرَ بالإيمانِ، والضلالةَ بالهدى، والدنيا بالآخرةِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ: الاستعارةُ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾، و ﴿نُمْلِي لَهُمْ﴾. من قولهم: (أملى لفرسه) إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء.

والطباق في: (الْكُفْر)، و (الْإِيمَان) مِنْ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾.

والاعتراض بين الفعل ومعموله في قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾. وفائدته: زيادة التأكيد على بطلان حسبانِهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٩

يخبرُ اللهُ تَعَالَى أنهُ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَدَعَ أمرَ الناس في المجتمع الإسلامي ملتبسًا، يختلطُ الْمُنَافِقُونَ بالْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ، بل لابد من ابتلاءٍ وَاخْتِبَارٍ يَتَمَيَّزُ بِهِ هَذَا مِنْ هَذَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ﴾.[1]

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.[2]

وَالْخِطَابُ هنا للمجتمعِ الإسلامي وهو يشملُ الْمُؤْمِنِينَ والْمُنَافِقِينَ، فيكونَ لِلْمُؤْمِنِينَ تطمينًا وللْمُنَافِقِينَ وعيدًا بفضحِهم وتهديدًا بهتكِ استَارِهِم.

﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

التمييزُ هو التفريقُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، أي: حَتَّى يَمِيزَ الْمُنَافِقَ الْخَبِيثَ المبطنَ لِلْكُفْرِ، مِنَ الْمُؤْمِن الطَّيِّبِ الصَّادِقُ الْإِيمَانِ، وقد حَدَثَ هذَا يَوْمَ أُحُدٍ حينَ أَظْهَرَ الْمُنَافِقُونَ الشَّمَاتَةَ بالْمُؤْمِنِينَ حين أصابهم ما أصابهم ففضحهم الله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

ولما كان الإيمان من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، بين سبحانه أنه ما أرادَ أن يكشف هذا الغيب للعبادِ ويُطْلِعَهُمْ عَلَى قُلُوبِ عِبَادِهِ، ليَعْرِفُوا الْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ، وَلَكِنَّهُ يُمَيِّزُ بَيْنَهُمْ بِالْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءِ، لكنه تَعَالَى ﴿يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، والاجتباءُ هو الاختيارُ والاصطفاء، أي: يَصْطَفِي لِنَفْسِهِ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُطْلِعُهُ عَلَى بَعْضِ مَا فِي قُلُوبِ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٦، ١٦٧

٢ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الْآيَة/ ٣١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بَعْضِهِمْ بِوَحْيِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾.[1]

وَقَدْ أَطْلَعَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

فلا تتشوفوا إلى الإطلاع على الغيب، فإنه لَا يَعْنِيكُمْ، وَاشْتَغِلُوا بِمَا يجب عليكم من الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ.

﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

أَيْ: إِنْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، واتقيتم اللهَ تَعَالَى بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وتَرْكِ المحظوراتِ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الاستعارةُ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

وَالطِّبَاقُ فِي: (الْخَبِيثَ)، و (الطَّيِّبِ).

وَالجِنَاسُ الْمُمَاثِلُ فِي: ﴿فَآمِنُوا﴾، و﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، لتربية المهابة في قلوب المؤمنين.

---

١ - سُورَةُ الْجِنِّ: الآية/ ٢٦، ٢٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٠

مُنَاسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أمرَ اللهُ تَعَالَى بالْجِهَادِ فِي سبيله وَبَذْلِ الْأَرْوَاحِ فِي لنشر الدين، والزود عن حياضه، أمرَ هُنَا ببَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي سبيل مرضاته، وتَوَعَّدَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

يحذر الله تعالى المؤمنين من البخل بأموالهم، وعدم إنفاقها في سبيل الله تعالى، فقَالَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾. أي: لَا يَحْسَبَنَّ هؤلاءِ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بالأموال التي تفضل الله تعالى بها عليهم ورزقهم إياها، أن الْبُخْلَ خَيْرًا لَهُمْ، وَالْبُخْلُ هو مَنْعُ بَذْلِ الْوَاجِبِ، وكان المنافقون يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، فتوعدهم الله تعالى وتوعد من على شاكلتهم.

وفي الآية إيجاز بالحذف تقديره: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ الْبُخْلَ خَيْرًا لَهُمْ)، كما في قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾ [الْمَائِدَة: ٨]، أي: العدلُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا نُهِــيَ السَّــفِيهُ جَــرَى إِلَيْــهِ ***** وَخَــالَفَ وَالسَّــفِيهُ إِلَى خِــلَافِ

يعني: إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَى السَّفَهِ، فَالسَّفِيهُ دَلَّ عَلَى السَّفَهِ.

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شَرٌّ لَهُمْ فِي الدنيا لما عاد عليهم به من الذمِ، والْبُخْلُ أَدْوَأُ دَاءٍ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟» قَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ إِلَّا أَنَّ فِيهِ بُخْلًا، قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ سَيِّدُكُمْ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ».[1]

ولما يؤول إليه أمر البخيل في الآخرة، سَيَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى مَا بَخِلُوا بِهِ طَوْقًا فِي أَعْنَاقِهِمْ يُوبَقُونَ بِمَا يَلْزَمُهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَيْهِ؛ لأن الله تعالى جعل الزكاة حقًا معلومًا في مال الأغنياء للسائل والمحروم، فشبه مانع الزكاة الذي يبخل بها كغاصب الحق؛ كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».[2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ " ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: (وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) إِلَى آخِرِ الآيَةِ.[3]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا

---

١ - رواه الحاكم- كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ مَنَاقِبِ بِشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث رقم: ٤٩٦٥، وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، والطبراني في الأوسط- حديث رقم٨٩١٣، والبخاري في الأدب المفرد- بَابُ الْبُخْلِ، حديث رقم: ٢٩٦، والخرائطي في مساوئ الأخلاق- حديث رقم: ٣٦٦، وصححه الألباني

٢ - رواه البخاري- كِتَاب المظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ إِثْمِ مَنْ ظَلَمَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ، حديث رقم: ٢٤٥٣، ومسلم- كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَغَصْبِ الْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم: ١٦١٢، عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ١٤٠٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».[1]

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أَيْ: أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ، فلا يدوم المال لأحدٍ، فإما أن يسلبه العبدُ بافتقار، أو يموت عنه ويتركه لغيره، ثم يعود إلى الله بعد فناء خلقه.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أي: وَاللَّهُ خَبِيرٌ بأعمال العبادِ مطلع على نياتهم، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾. وتقديره: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ الْبُخْلَ خَيْرًا لَهُمْ).

والطباق في: ﴿خَيْرًا﴾، و ﴿شَرٌّ﴾.

والمقابلة في قوله: ﴿هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾.

والمبالغة في التنصيص على كونه شرًّا بعد الإخبار عن نفي الخيرية في قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾. للتأكيد.

والتخصيص بتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

---

١ - رواه مسلم- كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ٩٨٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، لما اسم الجلالة من المهابة في النفوس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨١

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة مَا ثبتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْتَ الْمُدَارَسِ، فَوَجَدَ مِنْ يَهُودَ نَاسًا كَثِيرًا قَدِ اجْتَمَعُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ فِنْحَاصٌ، كَانَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ، وَمَعَهُ حَبْرٌ يُقَالُ لَهُ أشيعُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِفِنْحَاصٍ: وَيْحَكَ يَا فِنْحَاصُ، اتَّقِ اللَّهَ وَأَسْلِمْ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ جَاءَكُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، قَالَ فِنْحَاصٌ: وَاللَّهِ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا بِنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَفَقِيرٌ، وَمَا نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَضَرَّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ لَأَغْنِيَاءُ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا اسْتَقْرَضَ مِنَّا كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ، يَنْهَاكُمْ عَنِ الرِّبَا وَيُعْطِينَاهُ، وَلَوْ كَانَ غَنِيًّا عَنَّا مَا أَعْطَانَا الرِّبَا، فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ، فَضَرَبَ وَجْهَ فِنْحَاصٍ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، فَأَكْذِبُونَا مَا اسْتَطَعْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَذَهَبَ فِنْحَاصٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ انْظُرْ مَا صَنَعَ بِي صَاحِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: «وَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا، زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ، وَأَنَّهُمْ عَنْهُ أَغْنِيَاءُ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ غَضِبْتُ لِلَّهِ مِمَّا قَالَ، فَضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَجَحَدَ ذَلِكَ فِنْحَاصٌ، وَقَالَ: مَا قُلْتُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَا قَالَ فِنْحَاصٌ رَدًّا عَلَيْهِ وَتَصْدِيقًا لِأَبِي بَكْرٍ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَفِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ وَمَا بَلَغَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْغَضَبِ: ﴿لَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. [آل عمران: ١٨٦].[١]

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

يخبر اللهُ تَعَالَى أنه سَمِعَ قَوْلَ اليهودِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، وَهُوَ تَهْدِيدٌ لهم على جُرْأَتِهِم العَظِيمَةِ، وَكَلَامِهم الشنيعِ الفَاحِشِ في حقِ اللهِ تَعَالَى.

وإنما قال اليهود ذلك لأنهم أسوأ الناس اعتقادًا في الله تعالى، لاعتقادهم أنه تعالى كالبشر يجري عليه ما يجري على البشر من المرض والتعب، والندم والفقر، ويتصف بما يتصف به البشر من الصفات القبيحة والخصال المذمومة، كالبخل وغيره تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾.

وَعِيدٌ لَهُمْ وَتَهْدِيدٌ عَلَى ذَلِكَ الْقَوْلِ الَّذِي قَالُوهُ بأنه سَيُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ، فإنَّ مِنْ لَازِمِ كِتَابَةِ الذَّنْبِ، الْعُقُوبَةُ عَلَيْهِ.

وإنما قال تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾، وما قال سنحفظُ ما قالوا؛ لأن اليهود غلبت عليهم المادية، وربما توهموا أنَّ الله تعالى يعتريه النسيانُ كما يعتري البشرَ، فالْكِتَابَةُ عندهم آكَدُ مِنْ الْحِفْظِ وأبعدُ عَنِ النِّسْيَانِ.

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

ذكرَ تعالى قَتْلَ الْأَنْبِيَاءِ هُنا وَهُوَ أَفْظَعُ جَرَائِمِهم لِبَيَانِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْكُفْرِ، لَيْسَ بِدَعًا مِنْ أَمْرِهِمْ، فَقَد سَبَقَ لَهُمْ أَنْ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بَعْدَ مَا جَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ.

وذكر الله تعالى قَتْلَ الْأَنْبِيَاءِ مع أنه حدث من أسلافهم وألزمهم إثمه وعقوبته لِرِضَاهُمْ بِمَا فَعَلَهُ أَسْلَافُهُمْ، وَقَدْ حَاوَلَ الْيَهُودُ قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين خَرَجَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ

١ - رواه ابْنُ هشامٍ في السيرة (٢/ ١٤٩)، والطبري في التفسير (٦/ ٢٧٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ الْعَامِرِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، فَلَمَّا خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ قَالُوا: لَنْ تَجِدُوا مُحَمَّدًا أَقْرَبَ مِنْهُ الْآنَ، فَمَنْ رَجُلٌ يَظْهَرُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيَطْرَحَ عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيُرِيحَنَا مِنْهُ؟ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشٍ: أَنَا، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ.

وأرادوا قتلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّمِّ الَّذِي وَضَعَتْهُ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ فِي الشَّاةِ بِخَيْبَرَ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ» فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.[1]

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

أَصْلَ الذَّوْقِ بِاللِّسَانِ مَعْرِفَةُ طَعْمِ الطَّعَامِ بِاللِّسَانِ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِيهِ فَاسْتَعْمَلُوهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ، وهو كناية عن شدة العذابِ في النَّارِ، يُقَالُ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، بِمَا اكْتَسَبُوا مِنَ الْآثَامِ، وَاجْتَرَحُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الجناس الناقص في قوله: ﴿قَوْلَ﴾. و﴿قَالُوا﴾.

والجناس الكامل في قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾. و﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾.

وَالطِّبَاقُ فِي: ﴿فَقِيرٌ﴾. و﴿أَغْنِيَاءُ﴾.

والتوكيدُ في قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾، لشدة كفرهم، وعدم التوكيد في قولهم: ﴿وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، تزكية لأنفسهم ولبيان أن الغني وصف لازم لهم لا يحتاج إلى توكيد.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الجِزْيَةِ، بَابُ إِذَا غَدَرَ المشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، هَلْ يُعْفَى عَنْهُمْ، حديث رقم: ٣١٦٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَالِالْتِفَاتُ من الغيبة إلى الحضور ومن الإفراد إلى الجمع فِي قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾، و﴿سَنَكْتُبُ﴾، و﴿وَنَقُولُ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٢- ١٨٤

تقولُ الْمَلَائِكَةُ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ: ذُوقُوا عَذَابَ اللهِ الَّذِي يَحْرِقُكُمْ، هَذَا الْعَذَابُ لَكُمْ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾. أَيْ: بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، وَتَخْصِيصُ الْأَيْدِي بِالذِّكْرِ دلالةٌ عَلَى مُبَاشَرَتِهِم لتلكَ الْآثَامِ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

وَذَلِكَ الْعَذَابُ لَكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا بِجُرْمٍ اجْتَرَمَهُ، ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.[1]

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾.

الْقُرْبَانُ مَصْدَرٌ كَالْكُفْرَانِ وَالْخُسْرَانِ، وهوَ كلُ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، يخبرُ اللهُ تَعَالَى عن تعنتِ اليهودِ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين دعاهم للإيمان بقوهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾، وإنما كان ذلك منهم عَلَى سَبِيلِ التَّعَنُّتِ؛ لأنه قد وقع قبل ذلك لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ الْمُعْجِزَاتِ ما تناهى إلى سمعهم، وتناقلته العربُ، من آمن منهم ومن لم يؤمن، وهذا الذي قَالُوه مِنْ جملةِ افْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذِبِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِ.

---

١ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَة/ ٤٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

أي: قُلْ لهم يا محمد قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بالآيات الواضحات والبرهين القاطعات، فما زادتكم الآيات إلا كفرًا، وما زادتكم المعجزات إلا إعراضًا، حتى قتلتم رسلَ اللهِ، فإن كنتم صادقين في دعواكم فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إذًا؟

ولم يجبهم الله تعالى فيما اقترحوه لعلمه بتعنتهم، وَلَوْ جَاءَهُمْ بِالْقُرْبَانِ لَتَعَلَّلُوا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يفترُونَهُ فرارًا من الإيمانِ؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا﴾.[1]

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

يُعَزِّي اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويسليه على كفرِ من كفر من اليهودِ وعلى تكذيبهم له، فتلك سنةُ أعداءِ الرسلِ في كل زمانٍ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾.[2]

مع أنَّ الرُسُلَ جَاءُوا أقوامهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾. وَهِيَ الْحُجَجُ وَالْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ والمعجزاتُ ﴿وَالزُّبُرِ﴾. جَمْعُ زَبُورٍ وَهِيَ الْكُتُبُ الْمُنَزَّلَةُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾. أَيِ: الْمُبَيِّنُ لِلْحَقِّ، والْوَاضِحُ الْجَلِيُّ.

وقيل المرادُ بِالزُّبُرِ منْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، مَا يَتَضَمَّنُ المَوَاعِظَ كَالْإِنْجِيلِ والزبورِ وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ: مَا يَتَضَمَّنُ الشَّرَائِعَ كالتَّوْرَاةِ.

وَالْعَطْفُ بينها لأنَّ كُلَّ الرُّسُلِ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ، وَبَعْضُهُمْ جَاءَ بِالزُّبُرِ، وَبَعْضُهُمْ جَاءَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.

---

١ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٥٩

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: التَّغْلِيبُ في قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، حيث غلَّبَ مَا وَقَعَ بِوَجْهٍ مَخْصُوصٍ عَلَى مَا وَقَعَ بِغَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ، وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تُزاوَلُ بِهَا.

والمجازُ المرسلُ في قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٥

مُنَاسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذكرَ اللهُ تَعَالَى حال اليهودِ وجرأتهم على الله تعالى، وإعراضهم عن الإيمان، وتكذيبهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيَّنَ سبحانه وتعالى هنا أنَّ الدنيا ليست دارَ بقاءٍ وأنَّ الْمَوْتَ مصيرُ كل حي، وذكر الموت تهديد للكافرين المكذبين، فمن طغى وآثر الحياة الدنيا فسوف يزول عنها حتمًا، ويبقى رهين عمله، وهو كذلك وَعْدٌ لأهل الإيمان بما أعده الله لهم في الآخرة من النعيم.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

يخبر الله تعالى أن كل نفس مخلوقة ستذوق الموت لَا مَحَالَةَ، وَلَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾.[١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾.[٢]

الذَّوْقُ هُنَا استعارةٌ، ويُطْلِقَ عَلَى وِجْدَانِ الْمَوْتِ، يُقَالُ ذَاقَ طَعْمَ الْمَوْتِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولَى﴾.[٣]

وقد قيل:

الْمَـوْتُ بَابٌ وَكُـلُّ النَّـاسِ دَاخِلُـهُ ***** فَلَيْـتَ شَـعْرِيَ بَعْـدَ الْبَـابِ مَـا الـدَّارُ

١ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ: الآية/ ٢٦، ٢٧

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٧٨

٣ - سُورَةُ الدُّخَانِ: الآية/ ٥٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وَالتَّوْفِيَةُ: إِعْطَاءُ الشَّيْءِ كاملًا، وَالْأُجُورُ جَمْعُ أَجْرٍ والمرادُ به الثَّوَابُ، والمعنى: إِنَّمَا تستكملون ثوابَ أَعْمَالِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

الزَّحْزَحَةُ: التَّنْحِيَةُ وَالْإِبْعَادُ، أي: فَمَنْ نُحِّيَ عَنِ النَّارِ وَأُبْعِدَ عَنْهَا، وَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ فَقَدْ ظَفِرَ بِطِلْبَتِهِ، وَنَالَ مُبْتَغَاهُ مِنَ الْخَيْرِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ".[1]

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

الْمَتَاعُ كلُ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ ثُمَّ يَزُولُ وَلَا يَبْقَى، وهذا شأن الدنيا، مَتَاعٌ قليلٌ وظلٌ زائلٌ، وقيل لها: مَتاعُ الْغُرُورِ؛ لأنها تَغُرُّ الناسَ وَتَخْدَعُهُم فَيَظُنُّونَها دارَ بَقَاءٍ وَهِيَ فَانِيَةٌ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الِالْتِفَاتُ من الغيبة للحضور، ومن الإفراد للجمع فِي قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ﴾.

ومراعاةُ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾؛ فإنَّ لَفْظَ كُلٍّ لِأَفْرَادِ التَّذْكِيرِ وَمَعْنَاهُ بِحَسَبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ، وهنا رُوعِيَ الْمَعْنَى في ﴿نَفْسٍ﴾، فقال: ذائقة دُونَ اللَّفْظِ: ﴿كُلُّ﴾. قال أَبُو الْبَقَاءِ: وَلَوْ ذَكَّرَ عَلَى لَفْظِ كُلُّ جَازَ يَعْنِي أَنَّهُ لَوْ قِيلَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقٌ جَازَ. ورده الزركشي فقال: وَهُوَ مَرْدُودٌ لِأَنَّهُ يَجِبُ اعْتِبَارُ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ كُلُّ.[2]

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٦٨٠٧، بسند صحيح

٢ – البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٦٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالاستعارةُ في قوله: ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾؛ لأن حقيقة الذوق ما يكون بحاسّة اللسان.

والطباقُ في قوله: ﴿زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾.

والحذفُ في قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾؛ أي: وما لذاتها وزخارفُها.

والاستعارةُ في قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستامِ ويغرّ حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته.[1]

١ - تفسير الزمخشري (١/ ٤٤٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٦

يخبر الله تعالى المؤمنين بسنته التي لا تتخلف، وهي الابتلاء بِالْمَصَائِبِ فِي الأَمْوَالِ بالفقدِ والتلفِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وفِي الْأَنْفُسِ بِالْمَوْتِ وَالْأَمْرَاضِ وَفَقْدِ الْأَحْبَابِ، وأخبرهم الله تعالى بذلك يُوَطِّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ وَتَرْكِ الْجَزَعِ.

وقد أكد الله تعالى وقوع الابتلاء بتأكيدين، الأول: اللَّامُ الموطئةُ للْقَسَمِ، وَالثاني: نُونُ التأكيدِ.

وَبَدَأَ بِذِكْرِ الْأَمْوَالِ لِكَثْرَةِ الْمَصَائِبِ بِهَا، وقيل: قَدَّمَ الْأَمْوَالَ عَلَى الْأَنْفُسِ عَلَى سَبِيلِ التَّرَقِّي إِلَى الْأَشْرَفِ.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾.

وقد حصلَ لِلْمُسْلِمِينَ منَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ أَذًى كَثِيرًا كمَا أخبر الله تعالى، منذُ أن صدع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوةِ، وبزغ نور الإسلام إلى يومنا هذا بالطعن في الإسلام وتشريعاته تارة، وبالطعن في القرآن تارة أخرى، وبالطعن فِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنفيرًا للناس عنه وعن دعوته تارة ثالثة، وسب المسلمين ورميهم بما ليس فيهم تارة رابعة.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

أي: فَإِنَّ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى مِمَّا أَوْجبَهُ اللَّهُ عَلَيْكم وَأَمَرَكُمْ بِهِ، وهما كذلك من عزائم الْأُمُورِ وشدائدها لَا ينبغي لِعَاقِلٍ أَنْ يتركها.

أمر الله تعالى المؤمنين بالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى في مقابلةِ أذى الْكُفَّارِ، والصَّبْرُ هوَ احْتِمَالُ الْمَكْرُوهِ، وَالتَّقْوَى: الِاحْتِرَازُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي، لأَنَّ مُقَابَلَةَ الْإِسَاءَةِ بِالْإِسَاءَةِ تُفْضِي إِلَى زيادةِ الْإِسَاءَةِ، وتركُ مُقَابَلَةِ الْإِسَاءَةِ بِالْإِسَاءَةِ يفضي إلى تَقْلِيلها، كما قيل:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اصْـــبِرْ علـــى كَيْـــدِ الحســـو ***** دِ فـــإنَّ صَـــبْرَك قاتِلُـــهْ

فالنّـــارُ تأكُـــلُ نَفْسَـــها ***** إنْ لَمْ تَجِـــدْ مـــا تأكُلُـــهْ

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: القَسَمُ الْمُضْمَرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾، والمرادُ به التوكيدُ.

وَالتَّرَقِّي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾، حيثُ قَدَّمَ الْأَمْوَالَ عَلَى الْأَنْفُسِ عَلَى سَبِيلِ التَّرَقِّي إِلَى الْأَشْرَفِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٧

يذكر الله تعالى ما يتصف به أحبار اليهود وقساوسة النصارى من التلاعب بدين الله تعالى، وكتمانه عن عوام الناس، وتضييعهم لشرعه الذي جاءت به رسلهم عليهم السلام، ومن ذلك أن اللهَ تعالى أخَذ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ والميثَاقَ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ ورُسُلِهِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بُعِثَ، فكتموا ما أنزله الله تعالى في كتبهم من البشارات التي تدل عليه، وعلى أرض مبعثه، وصفاته الخَلْقِية والخُلُقِية، فَنَبَذُوا عهدَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ عرضًا زائل من من حطام الدنيا، وآثروا الكفر على الإيمان.

وفي الآية تَحْذير لِلْعُلَمَاءِ من هذه الأمة أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُمْ فيحقُّ عليهم ما حقَّ عليهم، وَيُصِيبَهُمْ من عذاب الله مَا أَصَابَهُمْ؛ فالآيةُ وإن كانت نزلتْ تَوْبِيخًا لِأَهْلِ الْكِتَابِ وَتَهْدِيدًا فإنها عَامَّةٌ تشملهم وَتشملُ كل من كتم شيئا من دين الله تعالى؛ فعَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.[1]

قال الفخر الرازي: حُكِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ وَقَالَ: مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ؟ فَقَالَ: مَا كُلُّ الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي قُلْتُهُ: وَلَا كُلُّ مَا قُلْتُهُ بَلَغَكَ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي قُلْتَ: إِنَّ النِّفَاقَ كَانَ مَقْمُوعًا فَأَصْبَحَ قَدْ تَعَمَّمَ وَتَقَلَّدَ سَيْفًا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا وَنَحْنُ نَكْرَهُهُ، قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ.[2]

١ - رواه الحاكم في مستدركه- كِتَابُ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٣٦٦، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَا أَعْلَمُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

٢ - تفسير الرازي (٩/ ٤٥٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[1]

قال قَتَادَةَ: هَذَا مِيثَاقٌ أَخَذَه اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، فَمَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيُعَلِّمْهُ، وَإِيَّاكُمْ وَكِتْمَانَ الْعِلْمِ، فَإِنَّ كِتْمَانَ الْعِلْمِ هَلَكَةٌ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: لَا يَحِلُّ لِعَالِمٍ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى عِلْمِهِ، وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى جَهْلِهِ.

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾.

النَّبْذُ: هُوَ الطَّرْحُ وَالْإِلْقَاءُ، والمرادُ به تركُ الْعَمَلِ بِالْعَهْدِ تَشْبِيهًا لهُ بِالشَّيْءِ الْمَنْبُوذِ، وقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾. كنايةٌ عن الْإِهْمَالِ والتضييعِ، ولو اهتموا به وقاموا بحقه لجعلوه نصبَ أعينهم.

﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

أي كتموا ما انزله الله تعالى لمَنْفَعَةٍ دنيوية، وعرض زائل.

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

فَبِئْسَ الفعل فعلهم، وبئست الصفقة صفقتهم، فقد باعوا من أجلها دينهم.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الكناية في قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾. حيث شبه تركَ الْعَمَلِ بِالمِيثَاقِ الذي أخذه الله تعالى عليهم بِالشَّيْءِ الْمَنْبُوذِ كنايةٌ عن الْإِهْمَالِ والتضييعِ.

في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. استعارة حيث شبّه عدم تمسكهم بعهد الله وعدم العمل به بالشيء الملقى خلف ظهر الإنسان.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٧٥٧١، وأبو داود- كِتَاب الْعِلْمِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ مَنْعِ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٣٦٥٨، والترمذي- أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كِتْمَانِ العِلْمِ، حديث رقم: ٢٦٤٩، وابن ماجه- بَابُ مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، حديث رقم: ٢٦٦، والحاكم في المستدرك- كِتَابُ الْعِلْمِ، ٣٤٤، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وشبه كتمانهم لآيات الله في مقابل عَرَضٍ من أعراضِ الدنيا، بمن يشترى الحقيرَ الزهيدَ بالغالي الثمين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَة/ ١٨٨، ١٨٩

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

اختلف العلماء في سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة فقيلَ: نزلت فِي الْمُنَافِقِينَ، وسَبَبُ نُزُولِهَا مَا ثبتَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا» فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾.[1]

وقيلَ: نزلت فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وسَبَبُ نُزُولِهَا مَا ثبتَ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ مَرْوَانَ، قَالَ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ - لِبَوَّابِهِ - إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، مُعَذَّبًا لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ؟ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] هَذِهِ الْآيَةَ، وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ».[2]

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾، حديث رقم: ٤٥٦٧، ومسلم- كتاب التَّوْبَةِ، كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، حديث رقم: ٢٧٧٧

٢ - رواه مسلم- كتاب التَّوْبَةِ، كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، حديث رقم: ٢٧٧٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: نَزَلَتْ فِي عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَتَمُوا الْحَقَّ، وَأَتَوْا مُلُوكَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا يُوَافِقُهُمْ فِي بَاطِلِهِمْ، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا﴾ أَيْ: بِمَا أَعْطَاهُمُ الْمُلُوكُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

والراجح أنها نزلت فِي أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِهِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْكِتَابِ، يُرِيدُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِذَلِكَ.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لَا تَحْسَبَنَّ يا محمدِ أنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ، أولئك الَّذِينَ يَفْرَحُونَ هَذَا الفَرَحَ بِالْبَاطِلِ بِمَا أَتَوْا من كتمانِ الحقِ، والتلبيس على العوام، وتحريف كلام الله تعالى، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، بأنهم بِأَنَّهُمْ حُفَّاظُ الْكِتَابِ، وحماةُ الشريعةِ، والقائمون بالدين، وليس لهم من ذلك حظ ولا نصيب، وإنما أرادوا من الناس أن يحمدوهم بذلك، وليسوا للحمد أهلًا، وبالغوا في التمويه عَلَى النَّاسِ، اشْتَبَهَ أَمْرُهُمْ عَلَى كثيرٍ منَ النَّاسِ، فظنوا فيهم الصلاح، أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءٌ للهِ، وَأَنْصَارٌ لدِينِهِ، وَأَنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ عَذَابِهِ، فدفع الله تعالى ذلك التوهم، وأزال ذلك اللبس فقال: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾.

أَيْ: فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَنْجَاةٍ مِنَ الْعَذَابِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: فَازَ فُلَانٌ إِذَا نَجَا.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أَيْ: وَلَهُمْ عَذَابٌ مؤلمٌ، ووصَفَ تَعَالَى عَذَابَهم بالْأَلِيمِ لينَاسَبَ تلذذهم وفَرَحَهُمْ بالْمَحْمَدَةِ عَلَى مَا لَمْ يَفْعَلُوا.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بأنه له مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فلا يعزب عنه شيء ولَا يَخْفَى عَلَيْهِ شيءٌ من خلقه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

لا يعجزه تعالى شيءٌ، ولا يفوته أحدٌ أراد عذابه، فهو قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، لأنهم مَمْلُوكُونَ له، مَقْهُورُونَ بسلطانه، فَلَيْسَ لهم مِنَ الْعَذَابِ منجى، وليس لهم في النجاة مطمعٌ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: التكرارُ لزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ في قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾، ﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾. بسبب طول العهد، والمراد منه هنا التأكيد.

العمومُ الذي يرادُ به الخصوصُ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا...﴾. على قول من يرى أنَّ المرادَ بهم اليهود.

وتقديمُ الضميرِ في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، للتخصيصِ.

والتذييلُ في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ليناسب فرحهم بما لم يفعلوا على سبيل المقابلة.

وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. للاختصاصِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٠، ١٩٠

خَتَمَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ الْعَظِيمَةَ بهذهِ الْآيَاتِ الكريمةِ بهذه الْمَوْعِظَةِ البليغةِ؛ لِأَنَّهَا أَهَمُّ أَغْرَاضِ رِسَالَةِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا خَتَمَ اللهُ تَعَالَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وفي هذه الْمَوْعِظَةِ الْأَمْرُ بالتفكرِ في عظيمِ خلق الله تعالى وَالِاسْتِدْلَالِ بآيَاتِهِ الكونية من عجيبِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وتَعَاقُبِهِما، على وحدانيةِ اللهِ تعالى، وقدرته الباهرة، وأنه تعالى ما خَلَقَ هَذَا الخلقَ سُدَى، ولا ترك عباده هملًا، ذلك ظن الذين كفروا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى هنا دَلِيلَ عَلَى تَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ بتَفَرُّدِهِ بخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وما فيهما من العجائب والغرائب، ثُمَّ لَفَتَ الأنظارَ والْعُقُولَ إِلَى أَمْرٍ أَمْرٍ عَظِيمٌ، وشأنٍ عجيب، وآيةٍ باهرةٍ تتكررُ ليلَ نهار، ويراها الناسُ صباحَ مساءٍ، ولكن غفل الناس عن التفكر فيها على غرابتها وعجيب شأنها لتكررها عليهم، هذا الآيةُ هي اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ فَتَارَةً يُطَوِّلُ اللَّيْلَ وَيُقَصِّرُ النَّهَارَ، كَمَا فِي الشِّتَاءِ، وَتَارَةً يُطَوِّلُ النَّهَارَ وَيُقَصِّرُ اللَّيْلَ، كَمَا فِي الصَّيْفِ، وما يحدث للخلقِ من المنافع باخْتِلَافِهما، من حَرَارَةِ الجوِ نهارًا، وَرُطُوبَتِهِ لَيْلًا، ولَوْ جعلَ اللهُ الليلَ دَائِمًا عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَأَضَرَّ ذَلِكَ بالخلقِ، وَلَوْ جَعَلَ اللهُ النَّهَارَ سَرْمَدًا دَائِمًا مُسْتَمِرًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لأضرَّ ذَلِكَ بِهِمْ، وَلَتَعِبَتِ الْأَبْدَانُ.

وقال تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. لأنه لا ينتفع بذلك إلا أصحابُ الْعُقُولِ الذين يَنْظُرُونَ فِي آيات الله الكونية نظرَ تَفَكُّرٍ وَالِاسْتِدْلَالِ، لَا كَمَا تَنْظُرُ الْبَهَائِمُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَسُمِّيَ الْعَقْلُ لُبًّا؛ لِأَنَّ اللُّبَّ هُوَ مَحَلُّ الْحَيَاةِ مِنَ الشَّيْءِ، وهو أجلّ وسائلِ الإدراكِ من الإنسانِ، ونص الله تعالى عليه لأنه ذكر أجلّ مُدرَكٍ من مخلوقاته، ولا يمكن إدراكه إلا بأجلِّ مُدرِك من الحواس.

روى ابن حبان في صحيحه عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا، فقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ، قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾».[1]

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾.

يخبر الله تعالى هنا عن صفة أُولِي الْأَلْبَابِ الذين تقدم ذكرهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾، والمراد بذلك الذِّكْرُ باللِّسَانِ، ثم بيَّنَ أنهم يَذْكُرُونَ اللَّهَ في كل أحوالهم، وعلى كل هيئاتهم، فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، يعني في كلِ أَحْوَالِهم، ولا يخلوا ابْنُ آدَمَ مِنْ حالةٍ من هذه الأحوال الثلاثة فِي غَالِبِ أَمْرِهِ، فهو إما أن يكون قائمًا، أو يكون قاعدًا أو يكون مضجعًا، فإذا ذكرًا لله تعالى فيها فَكَأَنَّهُ يذكرُ الله تعالى طول عمرِه، فهو لَا

١ – رواه ابن حبان– بَابُ التَّوْبَةِ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمَرْءَ عَلَيْهِ إِذَا تَخَلَّى لُزُومُ الْبُكَاءِ عَلَى مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْحَوْبَاتِ، وَإِنْ كَانَ بَائِنًا عَنْهَا مُجِدًّا فِي إِتْيَانِ ضِدِّهَا، حديث رقم: ٦٢٠، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَنقَطِعُ عنْ ذِكْرِ اللهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾.[1]

وهذا هو هَدْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ».[2]

وتخصيصُ الذكر هنا في بيانِ صفاتِ أُولِي الْأَلْبَابِ لفضيلته، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾.[3]

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[4]

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.[5]

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أَيْ: وَيَتَفَكَّرُونَ معتبرين ومتعظين بمَا فِي الكونِ دلائل وحدانية الله تعالى، وآثار عظمته تعالى في خلقه، فنظرهم في بديع خلق الله نظر اعتبار وتفكر، وليس كنظر أهل الغفلة، والتفكّر عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ؛ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: التَّفَكُّرُ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ.[6]

وروى ابن المبارك في الزهد عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ الدَّرْدَاءِ: أَيُّ عِبَادَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ كَانَ أَكْثَرَ؟ قَالَتْ: «التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ».[7]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١٠٣

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْجَنَابَةِ وَغَيْرِهَا، حديث رقم: ٣٧٣، والبخاري تعليقًا– بَابٌ: هَلْ يَتَتَبَّعُ المؤَذِّنُ فَاهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، وَهَلْ يَلْتَفِتُ فِي الأَذَانِ (١/ ١٢٩)

٣ – سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَة/ ٤١، ٤٢

٤ – سُورَةُ الجمعةِ: الْآيَة/ ١٠

٥ – سُورَةُ البقرة: الآية/ ١٥٢

٦ – رواه أبو داود في الزهد– حديث رقم: ١٩٩

٧ – رواه النسائي في السنن الكبرى– كِتَابُ الْمَوَاعِظِ، حديث رقم: ١١٨٥٠، وابن المبارك في الزهد– حديث رقم: ٢٦٨، والزهد لأبي داود– حديث رقم: ٢٠٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٠٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

أَيْ: يَتَفَكَّرُونَ قَائِلِينَ: رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الكونَ بَاطِلًا، كما يزعم المشركون؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.[1]

لذلك نزهوا الله تعالى عما يقوله المشركون فقالوا: سُبْحَانَكَ، ولما فارقوا سبيل أهل الجحيم في الدنيا، سألوا الله تعالى أن يجنبهم سبيلهم في الآخرة فقالوا: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: المقابلةُ بين لفظي: ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ولفظي: ﴿اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

والتوكيدُ في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وفي قوله: ﴿لَآيَاتٍ﴾.

والاعتراضُ ب (سُبْحَانَكَ) في قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. وفائدته تنزيه الله تعالى عن أن يخلق شيئًا باطلًا.

والتقسيمُ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، ولا تخرج أحوال الإنسان عن هذه الحالات الثلاث، فهو إما أن يكون قائمًا، أو قاعدًا، أو مُضْطَجِعًا على جنبه، فَلَمْ يَتْرُكْ سُبْحَانَهُ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ الْهَيْئَاتِ إلا ذكره في هذه الآية.

والحذفُ في قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾، وتقديره: (يَتَفَكَّرُونَ قَائِلِينَ: رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الكونَ بَاطِلًا).

---

١ - سُورَةُ ص: لآية/ ٢٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٢- ١٩٤

الْخِزْيُ يطلقُ ويرادُ بهِ الذلُّ والإهانةُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى على لسانِ لُوطٍ عليه السلام: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾. [هود: ٧٨] ، أَيْ: لَا تُهِينُونِ وَلَا تُذِلُّونِ بِانْتِهَاكِ حُرْمَةِ ضَيْفِي.

وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانَ فِي عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ:

فَـأَخْزَاكَ رَبِّي يَا عُتَيْـبُ بْـنَ مَالِـكٍ ***** وَلَقَّـاكَ قَبْـلَ الْمَـوْتِ إِحْـدَى الصَّـوَاعِقِ

ويطلقُ ويرادُ به الْخَجَلُ وَالِاسْتِحْيَاءُ مِنَ الْفَضِيحَةِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشاعرُ:

وَإِنِّي لَا أَخْـــزَى إِذَا قِيـــلَ مُمْلِـــقٌ ***** سَـــخِيٌّ وَأَخْـــزَى أَنْ يُقَـــالَ بَخِيـــلُ

والآيةُ تحتملُ المعنيين، الذلُّ والإهانةُ، والْخَجَلُ وَالِاسْتِحْيَاءُ مِنَ الْفَضِيحَةِ، والمعنى: إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَهَنْتَهُ وفَضَحْتَهُ على رُؤوسِ الأشهادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وإنما قالوا ذلك لأن العذابَ المعنوي أعظمُ إيلامًا للنفسِ من العذابِ البَدَني.

وهذا الْخِزْيُ لمن حكمَ اللهُ تعالى عليه بالخلودِ في النارِ كما قالَ أَنَسٌ وسعيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: هِيَ خَاصَّةٌ لِمَنْ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

أي: ليس لَهُمْ مُجِير مِنَ اللهِ تعالى يدفعُ عنهم عذابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وهو تذييلٌ لبيانِ سوء حالهم وشدة ضعفهم، بفقد الناصر والمعين، وذكرَ الظَّالِمِينَ لبيان علة عذابهم وهو الظلم والمراد به هنا الكفرُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.

ثم توسلوا لله تعالى بإيمانهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تقديره: سَمِعْنَا مُنَادِيًا لِلْإِيمَانِ يُنَادِي، وَقيلَ: اللَّامُ بِمَعْنَى إِلَى، أَيْ: سَمِعْنَا دَاعِيًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ﴾. [الْمُجَادَلَةِ: ٨]، وَالْمُنَادِي هُوَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾، أَنْ تفسيرية، أَيْ يَقُولُ: آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا.

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾.

سَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي هَذَا الدُّعَاءِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: أَوَّلُهَا: غُفْرَانُ الذُّنُوبِ، وَثَانِيهَا: تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ، وَثَالِثُهَا: أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُمْ مَعَ الْأَبْرَارِ. أَمَّا مغفرةُ الذُّنُوبِ فالمرادُ منها سَتْرُ الْكَبَائِرِ، وَأَمَّا تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ المرادُ بها تَغْطِيَةُ الصَّغَائِرِ، لِيَأْمَنُوا الافتضاحَ يوم القيامة.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الذُّنُوبُ هِيَ الْكَبَائِرُ، وَالسَّيِّئَاتُ هِيَ الصَّغَائِرُ. كَمَا قَالَ تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾.[1]

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.

الْأَبْرَارِ جَمْعُ بَرٍّ، وَهُمُ: الطَّائِعُونَ لِلَّهِ، أَيْ: اجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَفَّيْتَهُمْ طَائِعِينَ لَكَ، واحشرنا فِي جُمْلَةِ الْأَبْرَارِ.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾.

هذا تمامُ دعاءِ أُولِي الْأَلْبَابِ الذين تقدم ذكرهم يقولون: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾. في الكلام حذف تقديره: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى تَصْدِيقِ رُسُلِكَ. أو عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ.

---

١ - سورةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٣١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنما سألوا الله تعالى أَنْ يَجْعَلَهُمْ مِمَّنْ آتَاهُمْ مَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ عَلَى أَلْسُنِ رُسُلِهِ، وقد علموا أَنْ اللهَ تعالى لَا يُخْلِفَ وَعْدَهُ؛ لأَنَّهُمْ ربما وقع منهم تفريطٌ في الطاعات، واقتراف للآثام، فسألوا الله أن يشملهم بإحسانه، وأن يدخلهم في جملة من أكرمهم بكرامته.

ومما وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى أولياءَهُ أن يُمَكِّنَ لهم في الأرضِ، وأن يجعل نصرَ دينهم على أيديهم؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.[2] فسألوا الله أن يحققه لهم وأنَّ يُعَجِّلَه لهم، لا أنهم شكوا في موعود الله تعالى.

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

لما سألوا الله تعالى التمكين في الدنيا لرفع كلمة التوحيد، بالنصر على أعداء الله، سألوا الله تعالى أن يتقبل أعمالهم، وأن يجعلها خالصة لوجهه، وألا يكون حالهم كحال الذين قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عنهم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.[3]

وكحال الذين قَالَ عنهم: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.[4]

وقد تَضَمَّنَ دعاءُ أُولِي الْأَلْبَابِ جملةً من الأدابِ منها أَنَّهُمْ خَاطَبُوا اللَّهَ تَعَالَى بِلَفْظِ: (رَبَّنَا)، وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى ما أنعم به عليهم من صنوف النعم، فإنَّ الرب هو الذي يربي عباده ويتعهدهم بنعمه.

---

١ - سُورَةُ النُّورِ: الْآيَة/ ٦٥

٢ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاء: الآية/ ١٠٥

٣ - سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الآية/ ٢٣

٤ - سُورَةُ الزُّمَرِ: الآية/ ٤٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنها أنهم كرروا هذا اللفظ في دعائهم، وهذا هو الإلحاح في الدعاء وهو أمر يحبه الله تعالى؛ فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ».[1]

وَقَالَ الْحَسَنُ: مَا زَالُوا يَقُولُونَ رَبَّنَا رَبَّنَا حَتَّى اسْتَجَابَ لَهُمْ.

ومنها الإقرار بعظمة الله تعالى بالنظر في عجائب مخلوقاته، وتَنْزِيهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ، والاستدلال بإحكام الخلق على حكمة الخالق تعالى.

ومنها: سؤال الله الوقاية من النارِ، ومنها: الاستعاذة بالله تعالى من حال الظالمين الذين ينالهم الخزي يوم القيامة، والتي يتضمنها قولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

ومنها: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وبما جاءت به الرسل.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الإطناب في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾؛ للمبالغة في التضرع.

والإيجاز بالحذف في قوله: ﴿مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾، وتقدير الكلام: (مَا وَعَدْتَنَا عَلَى تَصْدِيقِ رُسُلِكَ).

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾؛ للدلالة على أن ظلمهم سببُ إدخالِهم النارَ.

والتضمين في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ...﴾، لأن النداء والدعاء يتعدى بإلى، وعدي هنا باللام لتضمنه معنى الانتهاء والاختصاص.

---

١ - رواه الطبراني في الدعاء- بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ لُزُومِ الدُّعَاءِ وَالْإِلْحَاحِ فِيهِ، حديث رقم: ٢٠، والقضاعي في مسند الشهاب- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ، حديث رقم: ١٠٦٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٥

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهِجْرَةِ بِشَيْءٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.[1]

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾، جُمْهُورُ المفسرين على أن اسْتَجَابَ بمعنى أَجَابَ، فيكون المعنى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾، أَيْ: فَأَجَابَهُمْ رَبُّهُمْ، وَيُعَدَّى بِنَفْسِهِ وَيُعَدَّى بِاللَّامِ، فَيُقَالُ: اسْتَجَابَ لَهُ وَاسْتَجَابَهُ، واستدلوا على ذلك بقولِ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ الْغَنَوِيّ:

وَدَاعٍ دَعَــا يَا مَــنْ يُجِيــبُ إِلَى النِّــدَا ***** فَلَــمْ يَسْــتَجِبْهُ عِنْــدَ ذَاكَ مُجِيــبُ

والراجحُ أَنَّ اسْتَجَابَ أَخَصُّ مِنْ أَجَابَ؛ لِأَنَّ زيادةَ المبنى تدلُ على زيادة المعنى، فاسْتَجَابَ يُقَالُ لِمَنْ قَبِلَ مَا دُعِيَ إِلَيْهِ، وَأَجَابَ أَعَمُّ، فَيُقَالُ لِمَنْ أَجَابَ بِالْقَبُولِ وَبِالرَّدِّ.

وَقَالَ الرَّاغِبُ: الِاسْتِجَابَةُ هِيَ التَّحَرِّي لِلْجَوَابِ وَالتَّهَيُّؤُ لَهُ.

وقوله تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾، وما قال: فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُمْ؛ لأنهم سألوا الله بوَصْفِ الرُّبُوبِيَّةِ الذي يدلُّ عَلَى العنايَةِ بِالْمَرْبُوبِ، فقابلهم الله تعالى على حُسْنِ دُعَائِهِمْ بِمِثْلِهِ عنايةً بهم، ومن عنايته تعالى بهم سرعة استجابته لهم فالفَاءُ في قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ للتَّعْقِيبِ.

﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

أي: اسْتَجَابَ لَهُمْ بِأَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ، وَالْمُرَادُ بِالْإِضَاعَةِ: تَرْكُ الْإِثَابَةِ.

---

١ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، حديث رقم: ٣٠٢٣، والبيهقي في معرفة السنن والآثار- حديث رقم: ١٧٦٤٤، الحاكم- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، حديث رقم: ٣١٧٤، وقال الألباني: صحيح لغيره

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَ«مِنْ» في قوله: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾. مُفَسِّرَةٌ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ﴾.[1]

﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾. جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ، لِبَيَانِ أَنَّهُمَا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، فالرِجَالُ مِثْلُ النِّسَاءِ فِي الطَّاعَةِ والثَّوَابِ، وَالنِّسَاءُ مِثْلُ الرِّجَالِ فِيهِمَا.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

أَيْ: الَّذِينَ هَجَرُوا أَوْطَانَهُمْ فرارًا بدينهم، ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾، اضطروا إلى ترك دِيَارِهِمْ فخرجوا منها مكرهين، ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾، أشتدَّ عليهم الأذى لإيمانهم بالله تعالى، ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾، أي: وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي فَقَاتَلُوا حتى قُتِلُوا.

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

أَيْ: لَأَسْتُرَنَّهَا عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا أُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، تحقيقًا لما طَلَبُوهُ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، مصدر مؤكد، ومعناه يثيبهم الله ثوابًا يتفضلُ به عليهم.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

أَيْ: وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَحْسَنُ الْجَزَاءِ.

---

١ - سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآيات: الالتفات من الغيبة إلى التكلم والخطاب في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾. وذلك لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب.[1]

والجناس في قوله: ﴿عَمَلَ عَامِلٍ﴾. ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾.

والطباق في قوله: ﴿ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾.

والترقي في قوله: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

والالتفاتُ من الغيبةِ في قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾. إلى الحضور في قوله: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ﴾، وقوله: ﴿فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾، ومن الحضور إلى الغيبة في قوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

والتخصيصُ في قوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

---

١ - تفسير أبي السعود (٢/ ١٣٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٦- ١٩٨

هذا من الخاص الذي يرادُ به العمومُ، فالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ بِهِ أُمَّتُهُ؛ قَالَ قَتَادَةُ: وَاللَّهِ مَا غَزُّوا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ.

يَتَوَهَّمُ كثيرٌ من الناس أَنْ رغدَ حَالِ الكفارِ، وما هم فيه من النعمةِ فِي الدُّنْيَا، ربما يكون بسبب سلامة معتقدهم، أو صلاح أحوالهم مع ربهم، وهذا تَوَهُّمٌ باطلٌ ناشيءٌ عن غَفْلَةِ صاحبهِ، وعدم فهمه لسنن الله تعالى في خلقهِ، فَقد قَالَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ فِيمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَقَدْ هَلَكْنَا مِنَ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

فَإِنَّ مَا هُمْ فِيهِ اسْتِدْرَاجٌ من الله تعالى؛ كما قال تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾.[1]

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[2]

ومعنى تَقَلُّبُهم: ما هم فيه من النعمة ورغدِ العيش بسبب التجارة والغنى.

والمعنى: لا يخدعنك أَيُّهَا السَّامِعُ حالُ الكفارِ وما هم فيهم من سعة الرزق ورغد العيش.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

الْمَتَاعُ: الْمَنْفَعَةُ الْعَاجِلَةُ، أي: إنما هو عرضٌ قَلِيلٌ من أعراضِ الدنيا، سرعان ما يزولُ، ثم يؤول أمرهم إلى العذاب في نارِ جَهَنَّمَ، وَعَبَّرَ بِالْمَأْوَى تهكمًا بهم فإن المأوى هو المكان الذي يقي صاحبه حَرَّ الصيفِ وبردَ الشتاءِ، وهؤلاء مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَعَبَّرَ بالْمِهَادِ تهكمًا بهم

١ - سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الآية/ ٥٥، ٥٦

٢ - سُورَةُ الْقَلَمِ: الآية/ ٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كذلك، لأن جهنم لا نوم فيها، ولا فراش، فَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ النِّيرَانِ؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[2]

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

لَكِنِ حَرْفٌ يفيدُ الِاسْتِدْرَاكَ، وهو اسْتِدْرَاكٌ فِيهِ مَعْنَى النَّفْيِ، فإنَّه لما تَوَهَّمَ بعضُ الناسِ أنَّ رغدَ العيشِ للكفارِ في الدنيا بمثابة النعيمِ، نفى الله تعالى ذلك، وأخبر سبحانه عن النعيم الحقيقي الذي لا يزول، وهو خلودُ الَّذِينَ اتَّقَوْا في جَنَّاتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

النُّزُلُ هم المكانُ الْمُعَدُّ للضَّيْفِ لإكرامِهِ، وكونهُ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، تشريفٌ لمن نزلَ فيه.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾.

أي: وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ مِمَّا يَتَقَلَّبُ فِيهِ الكفَّارُ الْفُجَّارُ في الدنيا.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآيات: الخاص الذي يرادُ به العمومُ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، فالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ بِهِ أُمَّتُهُ.

والاستعارةُ في قَولِهِ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، استعير التَّقَلُّبُ في البلادِ لتحصيل المتعة وطلب المكاسب.

---

١ - سُورَةُ الزُّمَرِ: الآية/ ١٦

٢ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الآية/ ٥٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التعبير بقوله: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. المراد به التهكم؛ فإن المأوى هو المكان الذي يقي صاحبه الآفاتِ، وَالتعبيرُ بالْمِهَادِ تهكمًا بهم كذلك؛ لأن جهنم لا نوم فيها، ولا فراش، فَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ النِّيرَانِ.

وحذفُ المخصوصِ بالذم في قوله: ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. أي: بئس ما مَهدوا لأنفسهم جهنَّمُ.

والحذف في قوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾. أي: وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ مِمَّا يَتَقَلَّبُ فِيهِ الكفَّارُ الْفُجَّارُ من المتاعِ القليلِ والنَّعِيمِ الزائلِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٩

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة مَا ثبتَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعْيُ النَّجَاشِيِّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوْا عَلَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُصَلِّي عَلَى عَبْدٍ حَبَشِيٍّ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ....﴾.[1]

وبهذا قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالْحَسَنُ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَابْنُ زَيْدٍ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَرْبَعِينَ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ، وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَثَمَانِيَةٍ مِنَ الرُّومِ كَانُوا عَلَى دِينِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَسْلَمُوا.

والآية وإن كانت نزلت على سبب خاص، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالصحيح أنها نَزَلَتْ فِي جميعِ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وهو قولُ ابْنِ عَبَّاسٍ مُجَاهِدٍ؛ قَالَ: نَزَلَتْ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّهِمْ.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ، وَحَالَ الْكُفَّارِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعِقَابِ، ذَكَرَ هُنا فَرِيقًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَانُوا مؤمنينَ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ منْ كتبِ الله السابقةِ مستمسكينَ بهَدْيِ أَنْبِيَائهم عليهم السلام، فلمَّا بعثَ رسول

١ - رواه النسائي في السنن الكبرى- سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، حديث رقم: ١١٠٢٢، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٥١٤٧، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمَنُوا بِهِ، وآمَنُوا الْقُرْآنِ، فأثنى الله تعالى عليهم، وشهد باستقامتهم.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾.

وَصَفَهُمْ اللهُ تَعَالَى بصِفَاتٍ خَمْسٍ إِحْدَاهَا: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وهي شهادةٌ بأنهُ إِيمَانٌ صحِيحٌ لَا تَشُوبُهُ شَائبةُ شِرْكٍ، وَلَيس كإيمان أهل الكتاب الذين قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.[1]

وَثَانِيهَا: الْإِيمَانُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَقَدَّمَهُ عَلَى مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الله تعالى جعله مهيمنًا وناسخًا لما سبقه مِنَ الكُتُبِ.

وَثَالِثُهَا: الْإِيمَانُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الكُتُبِ، كالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.

وَرَابِعُهَا: الْخُشُوعُ لِلَّهِ وَهُوَ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، والمعنى: أنهم آمَنُوا باللهِ تعالى، وآمَنُوا الْقُرْآنِ، وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، حال كونهم مستكينين له، أَذِلَّةً بين يديهِ، خاضعين لأمره، والفرق بين الْخُشُوعِ والْخُضُوعِ أنَّ الْخُضُوعَ يكونُ فِي الْبَدَنِ، وَالْخُشُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالصَّوْتِ وَالْبَصَرِ.

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُم لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، بتحريفِ آيَاتِ اللهِ وكتمانها؛ كَمَا هُوَ شأنُ باقِي أَهْلِ الْكِتَابِ.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

يعني: أُولَئِكَ الَّذِينَ تقدمتْ صفاتهم من الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ مَذْخُورٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، حَتَّى يوفيهم إياهُ يومَ الْقِيَامَةِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

أي: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، فهوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ لِنُفُوذِ عِلْمِهِ تعالى.

---

١ - سورةُ يُوسُفَ: الآية/ ١٠٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٢٠٠

خَتَمَ اللهُ تَعَالَى هذهِ السُّورَةَ العظيمةَ بِوَصِيَةٍ جَامِعَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ الأمرُ بالصَّبْرِ والْمُصَابَرَةِ لِلْأَعْدَاءَ، وَالْمُرَابَطَةِ فِي الثُّغُورِ المتاخمةِ لِلْعَدُوِّ، مع التَّحَلِي بتقوى اللهِ تَعَالَى، ووعدهم الله تعالى على ذلك بالفلاح في الدنيا والآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾.

أمر اللهُ تَعَالَى المؤمنين بالصَّبْرِ، والصَّبْرُ هو حبس النفس على المكاره، وهو أَنْوَاعٌ ثلاثةٌ:

أَوَّلُهَا: الصَّبْرُ على طاعةِ اللهِ تَعَالَى وهو أعلى أنواع الصَّبْرِ، والأجر عليه أعظم الأجرِ.

وَثَانِيهَا: الصَّبْرُ عَنِ الذنوب والمعاصي، وهو يلي الصَّبْرَ على الطَّاعةِ في المرتبة.

وَثَالِثُهَا: الصَّبْرُ على أقدار الله المؤلمةِ وهو أقل أنواع الصبرِ.

والْمُصَابَرَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الصَّبْرِ، ومعناها أن يصبر المؤمنون في مقاتلة أعدائهم فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَعْدَاءُ أَصْبَرَ مِنْهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَابِطُوا﴾. أَمْرٌ بِالْمُرَابَطَةِ، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الرَّبْطِ، وأَصله أَن يَرْبِطَ كلُّ وَاحِدٍ مِنَ الفَرِيقين خيلَه، ثُمَّ صَارَ لزومُ الثَّغْرِ رِباطًا، قَالَ اللَّيْث: الرِّباطُ: مرابطةُ الْعَدو، وملازمةُ الثغْر.

وهو أَمْرٌ منَ اللَّهِ تعالى لِلْمُسْلِمِينَ بملازمة الثُّغُورِ المتاخمةِ لِلْعَدُوِّ؛ حتى لا يداهمهم العدوّ عَلَى غِرَّةٍ.

وقد وردَ في فَضْلِ رِبَاطٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عدةُ أحاديث منها ما ثبتَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».[1]

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ رِبَاطِ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حديث رقم: ٢٨٩٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ».[1]

وَقد جعلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتِظَارَ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ منَ الرِّبَاطِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ».[2]

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أُمِرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لَهُمْ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَلَا يَدْعُوهُ لِسَرَّاءَ وَلَا لضرّاءَ وَلَا لشِدَّة وَلَا لرخَاء، حَتَّى يَمُوتُوا مُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُصَابِرُوا الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَهُمْ.

وَقَالَ الْأَصَمُّ: لَمَّا كَثُرَتْ تَكَالِيفُ اللَّهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا، وَلَمَّا كَثُرَ تَرْغِيبُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجِهَادِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَمَرَهُمْ بِمُصَابَرَةِ الْأَعْدَاءِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي: الزموا تقوى الله لتفوزوا في الدارين، فَتَنْجُوا مِنْ عِقَابِهِ، وَتُدْرِكُوا مَا وعدكم به مِنْ ثَوَابِهِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الجناس في قوله: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾.

وَحَذْفُ المفْعُولِ في قوله: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾.

والتقدير كما قال الحسن: اصبروا على طاعة الله في تكاليفه، وصابروا أعداء الله في الجهاد ورابطوا في الثغور.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٣٩٥٤، وأبو داود- كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي فَضْلِ الرِّبَاطِ، حديث رقم: ٢٥٠٠، والحاكم- كِتَابُ الْجِهَادِ، حديث رقم: ٢٤١٧، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٨٠٣، بسند صحيح

٢ - رواه مسلم- كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، حديث رقم: ٢٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيل: اصْبِرُوا عَلَى دِينِكُمْ، وَصَابِرُوا وَعْدِي لَكُمْ، وَرَابِطُوا أَعْدَاءَكُمْ.[1]

والترقي من الأَدنى إِلى الأَعلى، في قوله: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾. قال الفيروزآبادى: فالصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة.[2]

آخَرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، نسألُ الله تعالى التيسيرَ والقبولَ.

١ - أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٩٩)

٢ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٣٧٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النِّسَاءِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١

سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَسَبْعُونَ وَمِائَةٌ، وَسُمِّيَتْ بسُورَةِ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّهَا اشتملتْ على كثيرٍ من الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ النِّسَاءِ.

روى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا نَزَلَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَعْنِي قَدْ بَنَى بِهَا.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بَنَى بِعَائِشَةَ بِالْمَدِينَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

هذا أمر من اللهِ تَعَالَى للنَّاسِ جميعًا بِتَقْوَاهُ، فإنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ تُفِيدُ الِاسْتِغْرَاقَ، وهي من أقوى صيغِ العموم، والمرادُ بِتَقْوَاهُ تعالى امتثال أمره واجتناب نهيه، والحذر من أسبابِ سخطه، ثم بيَّنَ الله تعالى العلة التي يجب عليهم من أجلها أن يتقوا الله تعالى وهي أنه هو الذي خلقهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾.[1]

ثم ذكر تعالى دليلًا آخر على قدرته الباهرة، وحكمته البالغة فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وَمَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِهَذِهِ الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ جَدِيرٌ بِأَنْ يُتَّقَى، فيُطاع ولا يُعْصَى، ويُذْكَر ولا ينسى، ويُشْكَر ولا يكفر، والمرادُ بقوله: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدَمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، أي: حَوَّاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ، خُلِقَتْ مِنْ ضِلعه الْأَيْسَرِ وَهُوَ نَائِمٌ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ

---

١ – سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ».[1]

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

أي: خَلَقَ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَنَشَرَهم في الأرض وفرقهم، وفي الكلام حذف اختصار تقديره، وَنِسَاءً كثيراتٍ.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾.

أي: كَمَا يقول بعضكم لبعضٍ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وبالرَّحِم.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي بِهِ تَعَاقَدُونَ وَتَعَاهَدُونَ، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا.

وَقَرَأَ حَمْزَةُ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ﴾، بِخَفْضِ الأَرْحَامِ، فيكونُ معطوفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي بِهِ، أَيْ: تَسَاءَلُونَ بِاللَّهِ وَبِالْأَرْحَامِ.

وقال ابن جرير الطبري: ذَلِكَ غَيْرُ فَصِيحٍ مِنَ الْكَلَامِ عِنْدَ الْعَرَبِ؛ وذلك لأنه عَطَفَ الظَّاهِرَ عَلَى مَكْنِيٍّ مَخْفُوضٍ.

وقَالَ الزَّجَّاجُ: قِرَاءَةُ حَمْزَةَ مَعَ ضَعْفِهَا وَقُبْحِهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ خَطَأٌ عَظِيمٌ فِي أُصُولِ أَمْرِ الدِّينِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ) فَإِذَا لَمْ يَجُزِ الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ بِالرَّحِمِ.

ورد ابن عطية قِرَاءَةَ حَمْزَةَ بمثل ما قَالَ الزَّجَّاجُ.

وَقَالَ النَّحَّاسُ: وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ ﴿وَالأَرْحَامِ﴾ قَسَمٌ خَطَأٌ مِنَ الْمَعْنَى وَالْإِعْرَابِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُلُّ عَلَى النَّصْبِ.

وقال مكي بن أبي طالب: وهو قبيح عند البصريين، قليل في الاستعمال، بعيد في القياس.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم: ١٤٦٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقد ردَّ نحاة البصرة هذه القراءة حتى قَالَ الْمُبَرِّدُ: لَوْ صَلَّيْتُ خَلْفَ إِمَامٍ يَقْرَأُ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾. لَأَخَذْتُ نَعْلِي وَمَضَيْتُ.

والعجب من نحاةِ البصرة وبعضِ المفسرين الذين طعنوا في هذه القراءة وهي متواترة، وجعلوا القواعد التي قَعَّدُوها حاكمةً على القرآنِ، والأصلُ أن القرآنَ هو الذي يحكم على اللغة من حيث القبولِ والردِّ، وَنحن لَسْنَا مُتَعَبَّدِينَ بِقَوْلِ النُّحَاةِ.

وَحَمْزَةُ بنُ حَبِيْبِ الزَّيَّاتُ إِمَامٌ فِي القِرَاءاتِ، وقُدْوَةٌ للقراءِ، فلا وجه للطعنِ في قراءته؛ قَالَ سفيانُ الثَّوْرِيُّ: مَا قَرَأَ حَمْزَةُ حَرفًا إِلاَّ بِأَثَرٍ.

وقال أيضًا عنه: غلب حَمْزَةُ النَّاسَ على القرآنِ والفرائضِ.

وقال الفخر الرازي: وَلَوْ أَنَّ حَمْزَةَ رَوَى هَذِهِ اللُّغَةَ لَكَانَ مَقْبُولًا بِالِاتِّفَاقِ، فَإِذَا قَرَأَ بِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا.[1]

فليس في قِرَاءَةِ حَمْزَةَ رحمه الله مطعنٌ، وليس في إمامته غمزٌ.

ومثلُ قِرَاءَةِ حَمْزَةَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.[2]

ومما وردَ من ذلك فِي الشِّعْرِ قول الشاعر:

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا ***** فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ

وقول الآخر:

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفَنَا ***** وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ مَهْوَى نَفَانِفُ

والمناسبة بين الأمرِ بالتقوى والوصية بالْأَرْحَامِ، أَنَّ صلةَ الْأَرْحَامِ من أعظم القرباتِ، وقطعها من أكبر الكبائرِ، فأتى الأمرُ بِوَصْلِهَا، التحذيرُ مِنْ قَطْعِهَا.

---

١ - تفسير الرازي (٦/ ٣٨٩)

٢ - سُورَةُ البقرةِ: الآية/ ٢١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

تذييلٌ فيه تَرْغِيبٌ في التقوى وَتَرْهِيبٌ من التهاونِ فيها، وَالرَّقِيبُ هُوَ الْمُرَاقِبُ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَى العبادِ أقوَالَهم، وأفعَالَهم.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الطِّبَاقَ في: (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، و (زَوْجَهَا).

وحذفُ الإيجازِ في قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.. وتقديره أنشأها وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا.

وحذفُ الاختصارِ في قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾. وتقديره، وَنِسَاءً كثيراتٍ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٢

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى مَنْ كان وصيًّا على يَتِيمٍ يَدْفَعَ إليهِ أَمْوَالَهُ إِذَا بَلَغَ الحُلُمَ، ولفظُ: ﴿الْيَتَامَى﴾، هنا باعتبارِ ما كانَ؛ فعنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ».[1]

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾.

ولما كَانَ أَوْصِيَاءُ الْيَتَامَى لا رقيب عليهم من الناس حذرهم الله تعالى من خيانة تلك الأمانة التي بأيدهم حتى لا يأخذ أحدهم ما يستحسنه من مال اليتيم، وَيَجْعَلَ مَكَانَهُ الرَّدِيءَ فَنَهَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذلك.

قَالَ السُّدِّي: كَانَ أَحَدُهُمْ يَأْخُذُ الشَّاةَ السَّمِينَةَ مِنْ غَنم الْيَتِيمِ، وَيَجْعَلُ فِيهَا مَكَانَهَا الشَّاةَ الْمَهْزُولَةَ، وَيَقُولُ شَاةٌ بِشَاةٍ، وَيَأْخُذُ الدِّرْهَمَ الجَيِّد وَيَطْرَحُ مَكَانَهُ الزّيف، وَيَقُولُ: دِرْهَمٌ بِدِرْهَمٍ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالزُّهْرِيُّ: لَا تُعْط مَهْزُولًا وَتَأْخُذْ سَمِينًا.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾.

يَعْنِي: وَلَا تَخْلِطُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِأَمْوَالِكُمْ فَتَأْكُلُوهَا مَعَ أَمْوَالِكُمْ.

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾، وعدى ﴿تَأْكُلُوا﴾، ب (إِلَى) ولم يقلْ مَعَ أَمْوَالِكُمْ؛ لأنَّه ضُمِّنَ (تَأْكُلُوا) مَعْنَى تَضُمُّوا، أَيْ: لَا تَأْكُلُوهَا بِأَنْ تَضُمُّوهَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وكان من عادةِ النَّاسِ خَلْطُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى بِأَمْوَالِهِمْ فَنَهى اللهُ عَنْ ذَلِكَ؛ لأنَّ فيه إتلافًا لأَمْوَالِ الْيَتَامَى.

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

أَيْ: إِنَّ ذلكَ الفعلَ كَانَ إِثْمًا كَبِيرًا، وسماه الله تعالى هنا حُوبًا؛ لأنه أراد الزجر عنه، وَأَصْلُهَا قولهم لِلْإِبِلِ عند زجرها: حوب.

---

١ - رواه أبو داود- كِتَاب الْوَصَايَا، بَابُ مَا جَاءَ مَتَى يَنْقَطِعُ الْيُتْمُ، حديث رقم: ٢٨٧٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: اعتبار ما كان في قوله: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى﴾، أي: الذين كانوا يتامى.

والطباق بين (الْخَبِيث)، و (الطَّيِّب)، في قوله: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾.

والتضمينُ في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾، عدى ﴿تَأْكُلُوا﴾، ب (إِلَى) والأصل ألا يعدى، وقال: ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾، ولم يقلْ مَعَ أَمْوَالِكُمْ؛ لأنَّه ضُمِّنَ (تَأْكُلُوا) مَعْنَى تَضُمُّوا، أَيْ: لَا تَأْكُلُوهَا بِأَنْ تَضُمُّوهَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾.

سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٣

يأمر الله تعالى مَنْ كَانَتْ عنْدَهُ يَتِيمَةٌ وأرادَ أَنْ يَتَزَوَّجَها، لكنَّهُ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ أنَّه لا يعدلُ معها، بأن لا يُعْطِيهَا مهرَ مثلها، أنْ يَعْدِلَ عَنْهَا إلى سواها من النساءِ.

روى البخاري ومسلم بسندهما عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، هَذِهِ اليَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا، تَشْرَكُهُ فِي مَالِهِ، وَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا، فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا عَنْ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ، وَيَبْلُغُوا لَهُنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ فِي الصَّدَاقِ، فَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ.[1]

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي المرادِ بالْخَوْفِ هنا، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ﴿خِفْتُمْ﴾، بِمَعْنَى أَيْقَنْتُمْ. وَقَالَ غيرهُ: المرادِ بالْخَوْفِ هنا غلبةُ الظنِّ، وهو الراجح، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ الْحُذَّاقُ.

وَقولهُ تَعَالَى: ﴿أَلَّا تُقْسِطُوا﴾، مَعْنَاهُ أَلَّا تَعْدِلُوا، والقِسْطُ مِنَ الْأَضْدَادِ؛ يُقَالُ: أَقْسَطَ الرَّجُلُ فهو مُقْسِطٌ إِذَا عَدَلَ. وَقَسَطَ فهو قاسطٌ إِذَا ظَلَمَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾.[2]

والمرادُ بالْيَتَامَى هنا: يَتَامَى النِّسَاءِ بدلالةِ السياقِ وَالْيَتَامَى جَمْعُ يَتِيمَةٍ، وَالْأَصْلُ يَتَائِمُ.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾، حديث رقم: ٤٥٧٤، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٣٠١٨

٢ - سُورَةُ الْجِنّ: الآية/ ١٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

جَاءَ التعبيرٌ عَنِ النِّسَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِ (مَا) الَّتِي لِغَيْرِ الْعَاقِلِ، وَلَمْ يأتْ بِ (مَنْ) الَّتِي لِلْعَاقِلِ؛ لِأَنَّ المرادَ هُنَا الصِّفَاتُ لَا الذَّوَاتُ؛ والمعنى: فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ بِكْرٍ أَوْ ثَيِّبٍ.

﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾.

أَيِ: انْكِحُوا مَا شِئْتُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ إِنْ شَاءَ أَحَدُكُمْ ثِنْتَيْنِ، وَإِنْ شَاءَ ثَلَاثًا وَإِنْ شَاءَ أَرْبَعًا.

وقد أجمعَ العلماءُ على أَنَّهُ يَجُوزُ لأحدٍ بعد رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يجمعَ بَيْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ نسوةٍ؛ لِأَنَّ الكلامَ فِي الآيةِ وردَ فِي معرضِ امْتِنَانٍ وَلَوْ كَانَ يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ لَذَكَرَهُ.

ومما يدلُّ على ذلك من السنة ما ثبت عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ أَسْلَمَ وَلَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَأَسْلَمْنَ مَعَهُ، «فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَرْبَعًا مِنْهُنَّ».[1]

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

أي: إِنْ خَشِيتُمْ عندَ تَعْدَادِ الزوجاتِ أَلَّا تَعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ فِي النفقةِ والكسوةِ والسكنى، فينبغي الاقتصارُ عَلَى وَاحِدَةٍ، أَوْ عَلَى الإماءِ؛ لِإِنَّهُ لَا يَجِبُ عليه حينئذٍ أن يقْسِمَ بَيْنَهُنَّ.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾.

أي: ذلك أقرب للعدلِ وألَّا تَجُورُوا. يُقَالُ: عَالَ فِي الْحُكْمِ: إِذَا جَارَ، كما قَالَ أَبُو طَالِبٍ:

بِمِيزَانِ قسطٍ لَا يَخيس شُعَيْرَةً ***** لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٤٦٠٩، والترمذي- أَبْوَابُ النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يُسْلِمُ وَعِنْدَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ، حديث رقم: ١١٢٨، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَكَتَبَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي شَيْءٍ عَاتَبُوهُ فِيهِ: إِنِّي لَسْتُ بِمِيزَانٍ لَا أَعُولُ.[1]

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية، الإيجازُ بالحذف في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾. وتقدير الكلام: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي نِكَاحِ الْيَتَامَى.

وفي قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، وتقدير الكلام: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فيما بينهن فَوَاحِدَةً.

وفي قوله: ﴿فَوَاحِدَةً﴾، وتقدير الكلام: فالزَموا أو فاختاروا واحدة، وعلى قراءة الرفع: فحسبُكم واحدةٌ.

والتكرارُ في قولِهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾، و﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ للتأكيد.

وَتَسْمِيَةَ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي قولِهِ: ﴿فِي الْيَتَامَى﴾.، سَمَّاهُمْ يَتَامَى بَعْدَ الْبُلُوغِ، باعتبار ما كانوا عليه؛ وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ».[2]

والتعبير عن العاقل ب (ما) التي لغير العاقل في قوله: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾؛ لإرادة الصفة.

---

١ – تفسير الطبري (٦/ ٣٧٨)

٢ – رواه أبو داود– كِتَاب الْوَصَايَا، بَابُ مَا جَاءَ مَتَى يَنْقَطِعُ الْيُتْمُ، حديث رقم: ٢٨٧٣، عنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٤

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ اللهَ تعالى لَمَّا أَمَرَ بالْقِسْطِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ في الآية السابقةِ، وحفظِ حقوقهن، ثَنَّى هُنا بِالْوِصِيَةِ بالنِّسَاءِ وحفظِ حُقُوقِهِنَ فِي الْمُهُورِ.

الصَّدُقَاتُ جَمْعُ صَدُقَةٍ، وَالصَّدُقَةُ: مَهْرُ الْمَرْأَةِ.

وَالنِّحْلَةُ فِي اللُّغَةِ من الألفاظِ الْمُشْتَرَكَةِ، فتطلقُ ويرادُ بها الدِّيَانَةُ، وَالْمِلَّةُ، وَالشِّرْعَةُ، وَالْمَذْهَبُ، وَالْعَطِيَّةُ، والفَرِيضَةُ الوَاجِبَةُ.

وَالنِّحْلَةُ هُنَا: الْعَطِيَّةُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿نِحْلَةً﴾: فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: النِّحْلَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْوَاجِبُ.

هَذَا خِطَابٌ من اللهِ تَعَالَى لِلْأَزْوَاجِ بِإِيتَاءِ النِّسَاءَ مُهُورَهُنَّ، بِشَيْءٍ وَاجِبٍ يُسَمِّيهَا لَهَا، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْكِحَ امْرَأَةً بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِصَدَاقٍ وَاجِبٍ.

وقيل: هَذَا خِطَابٌ من اللهِ تَعَالَى لِأَوْلِيَاءِ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا تُعْطِي النِّسَاءَ مِنْ مُهُورِهِنَّ شَيْئًا، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِمَنْ وُلِدَتْ لَهُ بِنْتٌ: هَنِيئًا لَكَ النَّافِجَةُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّكَ تَأْخُذُ مَهْرَهَا إِبِلًا فَتَضُمُّهَا إِلَى إِبِلِكَ فَتَنْفُجُ مَالَكَ أَيْ تُعَظِّمُهُ.

وفي الْآيَةِ دليلٌ عَلَى وُجُوبِ الصَّدَاقِ لِلْمَرْأَةِ، وَلَا خِلَافَ بينَ أَهْلِ الْعِلْمِ على وجوبه؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَهَبْتُ مِنْ نَفْسِي، فَقَامَتْ طَوِيلًا، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ، قَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا؟» قَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي، فَقَالَ: «إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِيَّاهُ جَلَسْتَ لاَ إِزَارَ لَكَ، فَالْتَمِسْ شَيْئًا» فَقَالَ: مَا أَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ: «التَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ» فَلَمْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَجِدْ، فَقَالَ: «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟» قَالَ: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، لِسُوَرٍ سَمَّاهَا، فَقَالَ: «قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ».[1]

ومما يدل على وجوب المهر ما ثبت عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ».[2]

فأثبت لها المهْرَ مع بطلانِ النكاحِ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا.

وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ لَا حَدَّ لأَكْثَرِهِ، وَاخْتَلَفُوا فِي قَلِيلِهِ، فقال الجمهور: المهْرُ عَلَى مَا تَرَاضَوْا عَلَيْهِ وهو الراجح؛ لما روي عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي فَزَارَةَ تَزَوَّجَتْ عَلَى نَعْلَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَضِيتِ مِنْ نَفْسِكِ وَمَالِكِ بِنَعْلَيْنِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَجَازَهُ.[3]

وتقدم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ».

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.

ثم أخبر الله تعالى أَنَّ الْمَرْأَةَ إذا وهبتْ صَدَاقَهَا أو شيئًا منه لِزَوْجِهَا، وكان ذلك عنْ طيبِ نفسٍ منها، وليس اضطرارًا يضطرها الزوج إليه بسبب سوء عشرته، وشراسة أخلاقه، فلا حرج على الزوج في أخذه، سواءً كَانَتْ بِكْرًا أَوْ ثَيِّبًا.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابٌ: السُّلْطَانُ وَلِيٌّ، حديث رقم: ٥١٣٥، ومسلم- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الصَّدَاقِ، وَجَوَازِ كَوْنِهِ تَعْلِيمَ قُرْآنٍ، وَخَاتَمَ حَدِيدٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، وَاسْتِحْبَابِ كَوْنِهِ خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ لِمَنْ لَا يُجْحِفُ بِهِ، حديث رقم: ١٤٢٥

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٤٢٠٥، والترمذي- أَبْوَابُ النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ١١٠٢، وابن ماجه- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، حديث رقم: ١٨٧٩، والحاكم- كِتَابُ النِّكَاحِ، حديث رقم: ٢٧٠٨، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٥٦٧٩، والترمذي- أَبْوَابُ النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُهُورِ النِّسَاءِ، حديث رقم: ١١١٣، بسند ضعيف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن الشعبي: أن رجلا أتى مع امرأته شريحًا في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع، فقال شريح: ردّ عليها. فقال الرجل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ﴾؟

قال: لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه.[1]

﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾، عبر عن الأخذِ بقوله: ﴿فَكُلُوهُ﴾؛ لِأَنَّ الْأَكْلَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الِانْتِفَاعِ.

وَالْهَنِيءُ: الَّذِي يَستلِذُّهُ الْآكِلُ، وَالْمَرِيءُ مَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في هذه الآية: التضمينُ في قوله: ﴿طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ﴾، فإن الفعل طاب يعدى بالباء يقال: طابت نفسه بكذا، وعدي هنا ب (عَنْ) لتضمنه معنى التجافي والتجاوز، فيكون تقدير الكلام: فإن طِبْنَ لَكُمْ متجاوزاتِ عَنْ شَيْءٍ.

والمبالغةُ في الإباحةِ وإزالةِ التبعةِ في قوله: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.

وَالتَّأْكِيدُ بِالْإِتْبَاعِ فِي قوله: ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.

والإيجازُ بالحذفِ في قوله: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾، وتقديره: (فَكُلُوهُ أكلًا هَنِيئًا مَرِيئًا).

وَإِطْلَاقُ اسْمِ الْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ في قوله: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾، فإنَّ الأخذَ سببُ الأكلِ.

---

١ - تفسير الزمخشري (١/ ٤٧٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٥

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِدَفْعِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِلَيْهِمْ وَدَفْعِ صَدُقَاتِ النِّسَاءِ إِلَيْهِنَّ، بيَّنَ هنا إن ذلك إِذَا كَانُوا بَالِغِينَ عُقَلَاءَ، أَمَّا إِذَا كَانُوا سُفَهَاءَ مُسْرِفِينَ، فَلَا يحلُّ لهم أن يَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ حَتَّى يَزُولَ عَنْهُمُ وصفُ السَّفَهِ.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي المرادِ بالسُّفَهَاءِ، فقِيلَ: هُمُ الْيَتَامَى، وقِيلَ: هُمُ الْأَوْلَادُ الصِّغَارُ، وقيلَ : هُمُ النِّسَاءُ. وَهَذَا الْقَوْلُ لَا يَصِحُّ.

وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نزلت في كل من اقتضى الصفة التي شرط الله من السفه كان من كان.[1]

وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ؛ لأنه أعمُّ وأشملُ.

قَالَ قَتَادَةُ: أَمَرَ اللَّهُ بِهَذَا الْمَالِ أَنْ يُخْزَنَ فَيُحْسَنَ خِزَانَتُهُ، وَلَا يُمَلِّكَهُ الْمَرْأَةَ السَّفِيهَةَ وَالْغُلَامَ السَّفِيهَ.

والخِطَابُ في الآيةِ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَأَضَافَ اللهُ تَعَالَى الْمَالَ إِلَيْهِمْ فقال: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾، وهي أموالُ اليتامى؛ لِأَنَّهُمْ يملكونَ التَّصَرُّفَ فِيهَا، وفي الكلام إشارة إلى وجوب حرصِ الولي على مال اليتيم، كما يحرصُ على ماله.

وقِيلَ الخِطَابُ لِلْآبَاءِ، نَهَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَدْفَعُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَوْلَادِهُمْ السُفَهَاء؛ لأنهم لَا يَسْتَقِلُّونَ بِحِفْظِهَا وحسنِ إدارتها، فيكون ذلك سببًا في إتلافها.

---

١ – انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾.

جَعَلَ اللَّهُ الأموال سببًا لإصلاح معايش الناس، واستقامة أمورهم، فأمروا بحفظها وحسن رعايتها، وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن، ولأن أترك مالا يحاسبني الله عليه، خير من أن أحتاج إلى الناس. وكانوا يقولون: اتجروا واكتسبوا، فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه.

﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾

وإنما قال تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾، ولم يقل: وَارْزُقُوهُمْ منْهَا وَاكْسُوهُمْ؛ ليتاجروا لهم فيها ويتربحوا منها، فتكون نفقتهم وكسوتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

وَأمرهم تعالى بأنْ يقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا؛ لِيَسْلَمَ العطاءُ وَالْكُسْوَةَ مِنَ الْأَذَى، فَإِنَّ شَأْنَ مَنْ يُخْرِجُ الْمَالَ مِنْ يَدِهِ أَنْ يَسْتَثْقِلَ منْ يسئلُه الْمَالَ، ولو كانَ يطالبُ بمالِهِ.

واشتملت الآية على أنواعِ الْإِحْسَانِ إِلَى الأهلِ واليتامي، مِنَ النَّفَقَةِ وَالْكُسْوَةِ وَطيبِ الْكَلَامِ وحُسنِ الْأَخْلَاقِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الجناسُ الْمُغَايِرُ فِي: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا﴾.

والمبالغة في قوله: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾. حيث سمي الأموال التي يكون بها القيام قِيَامًا.

والإيجاز بحذف المفعول الأول في قوله: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾. وتقدير الكلام: (الَّتِي جَعَلَها اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٦

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وغَيرُهُ: أَي اخْتَبِرُوهُمْ. يأمرُ اللهُ تَعَالَى الْأَوْلِيَاءَ باختبارِ الْيَتَامَى قبل دفع أموالهم إليهم، قال العلماءُ ويكون ذلك بِدْفَعِ جزءٍ يسيرٍ مِنْ مَالِهِ إليهِ وَيُبِيحُ لَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ، فَإِنْ فإنْ أحسنَ التَّصَرُّفَ فِيهِ ونَمَّاهُ، وَجَبَ عَلَى الْوَصِيِّ تَسْلِيمُ جَمِيعِ مَالِهِ إِلَيْهِ، وَإِنْ أَسَاءَ التَّصَرُّفَ فِيهِ وَأَتْلَفَهُ فهي قرينةٌ على أنه لم يبلغْ الرشدَ بعدُ، فيَجَبُ عَلَيْهِ إِمْسَاكُ مَالِهِ عِنْدَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، يعني إذا بلغ سنَّ النكاح، وَلِلْبُلُوغِ عَلَامَاتٌ خَمْسَةٌ: ثَلَاثَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، وهي تمامُ خمسَ عشْرَةَ سنةً، والاحْتِلَامُ، وإِنْبَاتُ الشَّعْرِ عَلَى العَانَةِ، وتزيدُ الأنثى على الذَّكَرِ بالحيضِ، والحملِ.

سَمَّاهُمْ يَتَامَى بَعْدَ الْبُلُوغِ باعتبار ما كانوا عليه، ولا يُدْفَعُ إليه من ماله شيءٌ قبل الْبُلُوغِ.

﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾.

أَصْلُ الْإِينَاسِ فِي اللُّغَةِ الْإِبْصَارُ، وما رُئي مرّة بعد أخرى فأُنس به؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾.[1]

يعني: إِنْ أَحْسَسْتُمْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا، يَعْنِي: صَلاحا فِي دِينِهِمْ وَحِفْظًا لِأَمْوَالِهِمْ. كما قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وغيرهُ، ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، وَلَا تَحْبِسُوهَا عَنْهُمْ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾.

أَصْلُ الْإِسْرَافِ: تَجَاوُزُ الْحَدِّ الْمُبَاحِ إِلَى مَا لا يُبَاحُ، نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ومجاوزةِ الْحَدِّ فِي الإنفاقِ منها، مُبَادَرَةً من الوليِّ قَبْلَ بُلُوغِ الْيَتَامَى الرشدَ الذي يستحقون به أموالهم.

---

١ - سُورَةُ الْقَصَصِ: الآية/ ٢٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾.

يعني: مَنْ كَانَ ذا سعةٍ ويسارٍ ولا يحتاج إلى مَالِ الْيَتِيمِ فَلْيستعففْ عَنْهُ، وَلَا يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئًا. قَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ عَلَيْهِ كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ.

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

يعني: إذا كَانَ وَالِي الْيَتِيمِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ فَقِيرًا مُحْتَاجًا أَنْ يَأْكُلَ مِنْ مالِ الْيَتِيمِ، فَلْيَأْكُلْ بلا إسرافٍ ولا تبذيرٍ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: أُنْزِلَتْ فِي وَالِي اليَتِيمِ الَّذِي يُقِيمُ عَلَيْهِ وَيُصْلِحُ فِي مَالِهِ، إِنْ كَانَ فَقِيرًا أَكَلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ.[1]

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَيْسَ لِي مَالٌ، وَلِي يَتِيمٌ؟ فَقَالَ: " كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ، غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَذِّرٍ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ مَالًا، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ تَقِيَ مَالَكَ – أَوْ قَالَ – تَفْدِيَ مَالَكَ بِمَالِهِ ".[2]

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾.

أي: فإِذَا سَلَّمْتُم إِلَى الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ، فَأَشْهِدُوا عَلَى الْأَيْتَامِ أنهم قد استوفوا أَمْوَالَهُمْ مِنْكُمْ؛ لِئَلَّا يجحدوا ذلك في المستقبلِ.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

أَيْ: وَكَفَى بِاللَّهِ مُحَاسِبًا وَرَقِيبًا عَلَى الْأَوْلِيَاءِ حَالِ القيامِ على الْأَيْتَامِ، وَحَالِ تَسْلِيمِهِمْ لِلْأَمْوَالِ.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ مَنْ أَجْرَى أَمْرَ الأَمْصَارِ عَلَى مَا يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ: فِي البُيُوعِ وَالإِجَارَةِ وَالمِكْيَالِ وَالوَزْنِ، وَسُنَنِهِمْ عَلَى نِيَّاتِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمُ المَشْهُورَةِ، حديث رقم: ٢٢١٢، ومسلم– كِتَابُ الْإِيمَانَ، حديث رقم: ٣٠١٩

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٦٧٤٧، وأبو داود– كِتَاب الْوَصَايَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَا لِوَلِيِّ الْيَتِيمِ أَنْ يَنَالَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ، حديث رقم: ٢٨٧٢، والنسائي– كِتَابُ الْوَصَايَا، مَا لِلْوَصِيِّ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ إِذَا قَامَ عَلَيْهِ، حديث رقم: ٣٦٦٨، وابن ماجه– كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، حديث رقم: ٢٧١٨، بسند حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: تَسْمِيَةَ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي قوله: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾، سَمَّاهُمْ يَتَامَى بَعْدَ الْبُلُوغِ، بدليل قوله: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾.

والجناسُ المماثلُ في قوله: ﴿فَادْفَعُوا﴾، و ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾.

والطباقُ في: ﴿غَنِيًّا﴾، و ﴿فَقِيرًا﴾. وفي: ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾، و ﴿فَلْيَأْكُلْ﴾.

وتنكيرُ لفظ: (رشد) من قوله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾، لبيان أن المرادَ به نوعٌ من الرشد وهو الرشدِ في التصرف والتجارة، أو طرفٌ من الرشدِ ومخيلةٌ من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد.[1]

١ – انظر تفسير الزمخشري (١/ ٤٧٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٧- ٩

كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، وَيَقُولُونَ لَا نعطي الميراثَ إلا من قاتل على ظُهورِ الخَيلِ، وَطَاعَنَ بِالرُّمْحِ، وَضَارَبَ بِالسَّيْفِ، وَحَازَ الْغَنِيمَةَ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْإِرْثَ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالرِّجَالِ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ بَيْنَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هذه الآية.

والمرادُ بِالرِّجَالِ هُنَا الذُّكُورُ، وَالمرادُ بِالنِّسَاءِ هُنَا الْإِنَاثُ، وَذُكِرَ لَفْظُ: الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِأَنَّ الْحُكْمَ عَامٌّ.

والنَّصِيبُ هو: الحظُّ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: نَصِيبًا مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وقيلَ: نُصبَ على الاختصاص، وقيلَ: لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ.

وَالْوَالِدَانِ: يَعْنِي الوَالِدَ، وَالْوَالِدَةَ، قيل لهما: الْوَالِدَانِ تغليبًا.

والمرادُ بِالْأَقْرَبِينَ الذين يستحقون الميراثَ مِنْ ذَوِي الْقَرَابَاتِ.

والمفروضُ: المقطوعُ بإيجابه، وَأَصْلُ الْفَرْضِ الْحَزُّ وَالْقَطْعُ.

قَدْ أَجْمَلَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيةِ قَدْرَ النَّصِيبِ الْمَفْرُوضِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تفصيله بعد ذلك فِي آيَاتِ الْمَوَارِيثِ بقولهِ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ..... ﴾، الْآيَةَ [النِّسَاءِ: ٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الْآيَةَ [النِّسَاءِ: ١٧٦]، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾.

أي: لَا فَرْقَ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فِي استحقاقِ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ فِيهِ، فلا مجال للرأي والهوى فيهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُ﴾، رَاجِعٌ إِلَى مَا تَرَكَه الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ من الميراثِ.

ومعنى: ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾. أَي: حَقٌّ مَقْطُوعٌ بِهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْقُصَهُمْ مِنْهُ شَيْئًا.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

يأمرُ اللهُ تَعَالَى إِذَا حَضَرَ أُولُو قُرَابَةِ الْمَيِّتِ الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ لَا يَرثون، وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ قِسْمَةَ الْمِيرَاثِ أَنْ يُعْطَى لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ المالِ يكونُ صَدَقَةً عَلَيْهِمْ، يكونُ تطييبًا لنفوسهم، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ أَنْفُسَهُمْ تَتُوقُ إِلَى المالِ الذي يُقَسَّمُ، إِذَا رَأَوْا هَذَا يَأْخُذُ وَهَذَا يَأْخُذُ، وَهُمْ ليس لهم منه شَيْءٌ.

والمرادُ بالقسمةِ هنا الْمَالُ المقسومُ وَالْمِيرَاثُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾، ولم يقل: (فَارْزُقُوهُمْ مِنْهَا)؛ لأنه ردَّ الضَّمِيرَ عَلَى مَعْنَى الْقِسْمَةِ، وهوَ الْمَالُ وَالْمِيرَاثُ.

واخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هَلْ هِيَ مُحْكَمَةٌ، أَوْ مَنْسُوخَةٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أن هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، وهو قولُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وسعيد بْنِ الْمُسَيَّبِ، والحسنِ، وقتادة، ومحمد ابن شهاب الزهري.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُو القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ﴾، قَالَ: «هِيَ مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ».[1]

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَسَخَهَا: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾.[2]

وَعَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «نَسَخَهَا الْمِيرَاثُ وَالْوَصِيَّةُ».[3]

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُو القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ﴾ الآيَةَ، حديث رقم: ٤٥٧٦

٢ - الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٣٠٢)

٣ - الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٣٠٢)، وتفسير الطبري (٦/ ٤٣٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَرُوِيَ نَحْوهُ عَنِ الْحَسَنِ، والزهري.[1]

الثَّانِي: أن هَذِهِ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ، وهو قول ابْنِ عَبَّاسٍ، وعَائِشَةَ، وأبي موسى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وَعُرْوَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، ومُجَاهِدٍ، وعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَعَطَاءٌ، وَالْحَسَنُ، وَالزُّهْرِيُّ، وَالشَّعْبِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ، واختار هذا القول أبو جعفر النحاس.[2]

والراغب الأصفهاني، وقال: والصحيح أنه ليس بمنسوخ.[3]

وَعَنْ عَبِيدَةَ أَنَّهُ قَسَمَ مِيرَاثَ أَيْتَامٍ، فَأَمَرَ بِشَاةٍ، فَاشْتُرِيَتْ مِنَ الْمَالِ، وَبِطَعَامٍ فَصُنِعَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا هَذِهِ الْآيَةُ لَأَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ مِنْ مَالِي، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾. وروى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بنُ سَلَّامٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ قَسَمَ مِيرَاثَ أَبِيهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: عَمِلَ بِالْكِتَابِ، هِيَ لَمْ تُنْسَخْ.[4]

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: وَاللَّهِ ما هي بمنسوخة، وإنها لثابتة وَلَكِنَّ النَّاسَ بَخِلُوا وَشَحُّوا وَكَانَ النَّاسُ إِذَا قُسِّمَ الْمِيرَاثُ حَضَرَ الْجَارُ وَالْفَقِيرُ وَالْيَتِيمُ وَالْمِسْكِينُ فَيُعْطُونَهُمْ من ذلك.[5]

والراجح أنها ليست بمنسوخةٍ، ولكنها مستحبةٌ، ويكون هذا في النقود، أما في الأراضي والعقارات، فيقول لهم مَنْ يقسم الميراثَ قولًا معروفًا طيبًا؛ قال الحسن والنخعي: أدركنا الناس وهم يُقسّمون على الأقارب واليتامى والمساكين من الورِق والفِضة، فإذا صاروا إلى الأرضين والرقيق ونحوها، قالوا لهم قولًا معروفًا، أي قالوا لهم: بُورِك فيكم.

---

١ – الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ٢٩)، والناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن للزهري (ص: ١٨)

٢ – انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٣٠٣)

٣ – تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١١١٣)

٤ – الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (ص: ٢٦)

٥ – تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٣٨) ، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن الجوزي (٢/ ٣٤٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي المرادِ من هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ بعضهم: هَذَا وَعْظٌ لِلْأَوْصِيَاءِ، أَيِ افْعَلُوا بِالْيَتَامَى مَا تُحِبُّونَ أَنْ يُفْعَلَ بِأَوْلَادِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ، قال ابن كثير: وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ، يَتَأَيَّدُ بِمَا بَعْدَهُ مِنَ التَّهْدِيدِ فِي أَكْلِ مَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا فِي الرَّجُلِ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ فَيَسْمَعُهُ يُوصِي بِوَصِيَّةٍ تَضُرُّ بِوَرَثَتِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي يَسْمَعُهُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ وَيُوَفِّقَهُ وَيُسَدِّدَهُ لِلصَّوَابِ، وَلْيَنْظُرْ لِوَرَثَتِهِ كَمَا كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَصْنَعَ لِوَرَثَتِهِ إِذَا خَشِيَ عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ.[1]

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا حَضَرْتَ وَصِيَّةَ مَيِّتٍ، فَمُرْهُ بِمَا كُنْتَ آمِرًا نَفْسَكَ بِمَا تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَخَفْ فِي ذَلِكَ مَا كُنْتَ خَائِفًا عَلَى ضَعَفَتِكَ لَوْ تَرَكْتَهُمْ بَعْدَكَ، يَقُولُ: فَاتَّقِ اللَّهَ وَقُلْ قَوْلًا سَدِيدًا، إِنْ هُوَ زَاغَ.

والْقَوْلُ السَّدِيدُ: هُوَ الْمُوَافِقُ لِلْحَقِّ، والصَّوابِ.

وقيل: الخطاب عامٌ للأوصياءِ وغيرهم، أمروا أن يتقوا اللهَ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَأَمْوَالِ الضُّعَفَاءِ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَأَنْ يَحْرُسُوها لهم؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ أَضَاعُوها يُوشِكُ أَنْ يصيبَهُم ذلك في أَبْنَاءِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؛ فإنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ.

روى ابن جريرٍ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: كُنَّا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَيَّامَ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَفِينَا ابْنُ مُحَيْرِيزٍ، وَابْنُ الدَّيْلَمِيِّ، وَهَانِئُ بْنُ كُلْثُومٍ، قَالَ: فَجَعَلْنَا نَتَذَاكَرُ مَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، قَالَ: فَضِقْتُ ذَرْعًا بِمَا سَمِعْتُ، قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ الدَّيْلَمِيِّ: يَا أَبَا بِشْرٍ بِؤْدِّي أَنَّهُ لَا يُولَدُ لِي وَلَدٌ أَبَدًا، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي وَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُ لَيْسَتْ مِنْ نَسَمَةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ صُلْبِ رَجُلٍ، إِلَّا وَهِيَ خَارِجَةٌ إِنْ شَاءَ وَإِنْ أَبَى». قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَنْتَ أَدْرَكْتَهُ نَجَّاكَ اللَّهُ مِنْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَ وَلَدَكَ مِنْ بَعْدِكَ حِفْظِهِمُ اللَّهُ فِيكَ؟ قَالَ:

---

١ - تفسير الطبري (٦/ ٤٤٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قُلْتُ بَلَى، قَالَ: فَتَلَا عِنْدَ ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

والقول الأول وإن كان مناسبًا لسياق الآيات، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فمن خاف على ذريته من بعده فَلْيَتَّقِ اللَّهَ تعالى؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنز لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.[1]

فكان صلاحُ الوالدِ سَبَبًا في حفظِ ذُرِّيتِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

الأساليب البلاغية في الآيات: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، للتأكيد على استحقاقهم للميراث بخلاف ما كا عليه أهل الجاهلية.

والطباق في لفظ: ﴿لِلرِّجَالِ﴾، و﴿لِلنِّسَاءِ﴾. و﴿قَلَّ﴾، و﴿كَثُرَ﴾.

الإطناب في قوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾؛ للتأكيد على أن كل ما تركه المتوفى يدخل في التركة.

وَالجناسُ الْمُغَايِرَ فِي قوله: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا﴾.

---

١ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الآية/ ٨٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٠

لما كان الْيَتَامَى في غاية الضعف والعجز، وليس على ولي اليتم رقيب إلا الله تعالى، اشتد وعيدُ الله تعالى على مَنْ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، وهذا من كمالِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْيَتَامَى.

وقيد الله تعالى الوعيد في هذه الآية بالظلمِ لأن الولي قد يأكل من مَالِ الْيَتِيمِ بغَيْرِ ظُلْمٍ؛ كما قال تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.[1]

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾.

قيل المرادُ يقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، نَارُ جَهَنَّمَ؛ يأكلون جمرَهَا، والجزاء من جنس العمل.

قَالَ السُّدِّيُّ: إِذَا أَكَلَ الرَّجُلُ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهَبُ النَّارِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمَسَامِعِهِ وَأُذُنَيْهِ وَعَيْنَيْهِ، يَعْرِفُ كُلُّ مَنْ رَآهُ أَنَّهُ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ.

وقيل: المرادُ يَأْكُلُونَ منْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا مَا يُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ.

وفائدة ذكر البطون هنا والْأَكْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْبَطْنِ؛ التَّأْكِيدُ وَالْمُبَالَغَةُ، وهو كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾. [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٧] وَالْقَوْلُ لَا يَكُونُ إلا بِالأَفْوَاهِ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ﴾. [الْأَنْعَامِ: ٣٨]، وَلَا يَكُونُ الطَّيَرَانُ إِلَّا بِجَناحَيْنِ.

وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾. [الْحَجِّ: ٤٦] وَالْقُلُوبُ لَا تَكُونُ فِي الصُّدُورِ.

﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

والصليُ الشي بالنار ودل عليه قراءةُ ابْنِ عَامِرٍ شعبةَ: ﴿وَسَيُصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ". (أي: مشوية).[1]

وقَالَ الشاعر:

وَقَـــدْ تَصَـــلَّيْتُ حَـــرَّ حَـــرْبِهِمْ ***** كَمَـــا تَصَـــلَّى الْمَقْـــرُورُ مِـــنْ قَـــرَسِ

وَالسَّعِيرُ: الْجَمْرُ الْمُشْتَعِلُ وَالنَّارُ الْمُلْتَهِبَةُ.

وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ ظُلْمًا من الموبقَاتِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ المؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ».[2]

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: الِاخْتِصَاصُ فِي قَولِهِ: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾. خَصَّ البُطُونَ دُونَ غَيْرِهَا لِأَنَّهَا مَحَلٌّ لِلْمَأْكُولَاتِ.

وَالتَّعْرِيضُ فِي قَولِهِ: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، عَرَّضَ بِذِكْرِ البُطُونِ لخستِهِم وَسُقُوطِ هِمَمِهِمْ.

وَتَأْكِيدُ الْحَقِيقَةِ بِمَا يَرْفَعُ احْتِمَالَ الْمَجَازِ بِقَوْلِهِ: ﴿فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾.[3]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الأَطْعِمَةِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَأْكُلُونَ، حديث رقم: ٥٤١٤

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، حديث رقم: ٢٧٦٦، ومسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ٨٩

٣ – سُورَةُ البَقَرَةِ: الآية/ ٧٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾.[1]

والحذفُ في قَولِهِ: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، أي: يَأْكُلُونَ ما يُجرُّ إلى النَّارِ ويؤدِّي إِلَيهَا.

١ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١١

جمعَ اللهُ تَعَالَى عِلْمَ الْفَرَائِضِ في ثلاثِ آياتٍ من كتابِه، هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا وَآخرِ آيَةٍ في هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وهذا من إعجازِ القرآنِ الْكَرِيمِ، معَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولخطر عِلْمِ الْفَرَائِضِ وعظيمِ شأنِه ولأنه أول علم يفقد، ورد الأمر بتعلمه، ومن ذلك ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا، فَإِنَّهُ نِصْفُ الْعِلْمِ وَهُوَ يُنْسَى، وَهُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ يُنْزَعُ مِنْ أُمَّتِي».[1]

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ فَإِنِّي امْرُؤٌ مَقْبُوضٌ، وَإِنَّ الْعِلْمَ سَيُقْبَضُ حَتَّى يَخْتَلِفَ الِاثْنَانِ فِي الْفَرِيضَةِ فَلَا يَجِدَانِ أَحَدًا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا».[2]

وَعَنْ مُوَرِّقٍ الْعِجْلِيِّ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَاللَّحْنَ وَالسُّنَنَ كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ».[3]

---

١ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ الْفَرَائِضِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى تَعْلِيمِ الْفَرَائِضِ، حديث رقم: ٢٧١٩، والحاكم في مستدركه– كِتَابُ الْفَرَائِضِ، حديث رقم: ٧٩٤٨، والدارقطني– كِتَابُ الْفَرَائِضِ، حديث رقم: ٤٠٥٩، والطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٥٢٩٣، بسند ضعيف.

٢ – رواه الحاكم في مستدركه– كِتَابُ الْفَرَائِضِ، حديث رقم: ٧٩٥١، والدارمي– المقدمة، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِالْعُلَمَاءِ، حديث رقم: ٢٢٧، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٨٩٢٦،

٣ – رواه الدارمي– وَمِنْ كِتَابِ الْفَرَائِضِ، بَابُ: فِي تَعْلِيمِ الْفَرَائِضِ، حديث رقم: ٢٨٩٢، وسعيد ابن منصور موقوفًا– كِتَابُ الْفَرَائِضِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى تَعْلِيمِ الْفَرَائِضِ، حديث رقم: ١، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَبَبُ نزولِ الآيةِ:

سَبَبُ نزولِ هذِهِ الآيةِ ما رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: عَادَنِي رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلمَةَ مَاشِيَيْنِ، فوجَدَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَعْقِلُ شَيْئًا، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَش عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾.[1]

ومما ورد في سَبَبِ نُزُولِ هذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا وَلَا تُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ، قَالَ: «يَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ» فَنَزَلَتْ: آيَةُ الميرَاثِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَمِّهِمَا، فَقَالَ: «أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ».[2]

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَحْكَامَ الْمِيرَاثِ في قولِه تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾. [النِّسَاءِ: ٧]، ذكرًا مجملًا، ثم ذكرَ في هذه الآية بيان ما وردَ مجملًا قبلها.

---

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ- كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، حديث رقم: ٤٥٧٧، وَمُسْلِمٌ- كِتَابُ الْفَرَائِضِ، بَابُ مِيرَاثِ الْكَلَالَةِ، حديث رقم: ١٦١٦

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٤٧٩٨، والترمذي- أَبْوَابُ الْفَرَائِضِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مِيرَاثِ البَنَاتِ، حديث رقم: ٢٠٩٢، وابن ماجه- كِتَابُ الْفَرَائِضِ، بَابُ فَرَائِضِ الصُّلْبِ، حديث رقم: ٢٧٢٠، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأمر اللهُ تَعَالَى في الآيات السابقة بِإِعْطَاءِ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ سَفِيهًا، وَنَهَى عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِهِمْ، وَأَبْطَلَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الناسُ في الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عَدَمِ تَوْرِيثِ الصِّغَارِ وَالْإِنَاثِ، فَنَاسَبَ أَنْ يُبَيِّنَ بَعْدَه أَحْكَامَ الْمِيرَاثِ.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾.

الْوَصِيَّةُ هِيَ: مَا يَعْهَدُ بِهِ الإنسانُ إِلَى غَيْرِهِ بِمَا يَعْمَلُه فِي الْمُسْتَقْبَلِ مُقْتَرِنًا بِوَعْظٍ.

وَالْخِطَابُ فِي الْآيَةِ عَامٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُقَسِّمُونَ التَّرِكَةَ وَيُنَفِّذُونَ الْوَصِيَّةَ.

وَفِي الكلامِ حَذْفٌ تقديره: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِ منْ ماتَ منكم؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُخَاطَبَ الْحَيُّ بِقِسْمَةِ مالِهِ حال حياته.

والمراد بقوله تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ....﴾. أَيْ: يَعْهَدُ إِلَيْكُمْ ويَفْرِضُ عَلَيْكُمْ، وَالْوَصِيَّةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تفيدُ الإيجاب؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[1]

وذكر الله تعالى لَفْظَ الْإِيصَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَدَلُّ عَلَى الِاهْتِمَامِ، وأَبْلَغُ وَأخفُّ على النُّفُوسِ في هذا الموطنِ من الأَمرِ؛ لذلك يحتفي الإنسانُ بوصيةِ مَنْ أوصَاهُ أكثرَ من تنفيذِ أمرِ مَنْ أمَرَهُ، يقول: أوصاني فلان أن أحضر له كذا وكذا.

كان أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَوَارَثُونَ بالنَّسَبِ، وَبالْعَهْدِ، أَمَّا النَّسَبُ فكَانُوا لا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَلَا الصِّغَارَ، وَيَقُولُونَ لَا يَرِثُ إِلَّا مَنْ طَاعَنَ بِالرِّمَاحِ وَذَادَ عَنِ الْحَوْزَةِ وَحَازَ الْغَنِيمَةَ.

وَمن التوارثِ بالْعَهْدِ: الْحِلْفُ، وهو أن يقولَ الرَّجُلُ لِغَيْرِهِ: دَمِي دَمُكَ، وَهَدْمِي هَدْمُكَ، وَتَرِثُنِي وَأَرِثُكَ، فمَنْ مَاتَ قَبْلَ صَاحِبِهِ، ورثه الآخرُ وله ما يشترطُ مِنْ مَالِه.

وَمن التوارثِ بالْعَهْدِ: التَّبَنِّي، كانَ الرَّجُلُ يَتَبَنَّى ابْنَ غَيْرِهِ فَيُنْسَبُ إِلَيْهِ دُونَ أَبِيهِ مِنَ النَّسَبِ وَيَرِثُهُ، وهو نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُعَاهَدَةِ.

---

١ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبطلَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وبين أَنَّ أَسْبَابَ الميراثِ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ وهِي: النَّسَبُ، وَالنِّكَاحُ، وَالْوَلَاءُ.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

بَدَأَ اللهُ تَعَالَى بِذِكْرِ مِيرَاثِ الْأَوْلَادِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّ تَعَلُّقَ الْإِنْسَانِ بِوَلَدِهِ أَشَدُّ من تَعَلُّقِهِ بغيره، وفِي الآيةِ دَليلٌ على أَنَّهُ تَعَالَى أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنَ الْوَالِدِ بِوَلَدِهِ؛ فإنَّهُ تَعَالَى أَوْصَى الْوَالِدَيْنِ بِأَوْلَادِهِمْ؛ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».[1]

وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ...﴾، عام مخصوص بما رواه البخاري ومسلم عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَرِثُ الْمُسْلِمُ الكَافِرَ وَلاَ الكَافِرُ الْمُسْلِمَ».[2]

ومخصوصٌ بما رواه أبو داود والنسائي والدارقطني بسند حسن عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ لِلْقَاتِلِ مِنَ الْمِيرَاثِ شَيْءٌ».[3]

قال الإمام الرحبي:

وَيَمْنَعُ الشَّخْصَ مِنْ الْمِيرَاثِ ***** وَاحِدَةٌ مِنْ عِلَلٍ ثَلاثِ

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، حديث رقم: ٥٩٩٩، ومسلم- كتاب التَّوْبَةِ، بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث رقم: ٢٧٥٤

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الفَرَائِضِ، بَابٌ: لاَ يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلاَ الكَافِرُ المُسْلِمَ، كتاب التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٦٧٦٤، ومسلم- كِتَابُ الْفَرَائِضِ، حديث رقم: ١٦١٤

٣ - رواه أبو داود- كِتَاب الدِّيَاتِ، بَابُ دِيَاتِ الْأَعْضَاءِ، حديث رقم: ٤٥٦٤، والنسائي ي السنن الكبرى- كِتَابُ الْفَرَائِضِ، تَوْرِيثُ الْقَاتِلِ، حديث رقم: ٦٣٣٣، والدارقطني- كِتَابُ الْفَرَائِضِ، حديث رقم: ٤١٤٨، الطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٨٨٤، بسند حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رِقٌّ وَقَتْـــلٌ وَاخْـــتِلَافُ دِيـــنِ ***** فَـــافْهَمْ فَلَـــيْسَ الشَّـــكُّ كَـــالْيَقِينِ

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ....﴾.

الْأَوْلَادُ جَمْعُ وَلَدٍ، وَالْوَلَدُ اسْمٌ لِلِابْنِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَيُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ المالُ لِلْوَلَدِ، وَكَانَتِ الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ، فَنَسَخَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ، فَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ، وَجَعَلَ لِلْأَبَوَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ، وَجَعَلَ لِلْمَرْأَةِ الثُّمُنَ وَالرُّبُعَ، وَلِلزَّوْجِ الشَّطْرَ وَالرُّبُعَ».[1]

الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ نَصِيبَ الْمَرْأَةِ نِصْفَ نَصِيبِ الرَّجُلِ؛ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أوجب النفقةَ لها على أبيها بنتًا، وعلى زَوْجَهَا زوجةً، وعلى ابنها أمًّا.

وَتَفْضِيلُ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ حكمُ اللَّهِ تَعَالَى، الذي يعْلَمُ مَصَالِحَ خَلْقِهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.[2]

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: تَفْضِيلُهُ الذَّكَرَ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[3]

وَقَدْ صَرَّحَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ يُبَيِّنُ لِخَلْقِهِ هَذَا الْبَيَانَ الَّذِي مِنْ جُمْلَتِهِ تَفْضِيلُ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ لِئَلَّا يَضِلُّوا، فَمِنْ سَوَّى بَيْنَهِمَا فِيهِ فَهُوَ ضَالٌّ قَطْعًا.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى: أَنَّ الْمَرْأَةَ الْأُولَى خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ، فَأَصْلُهَا جُزْءٌ مِنْهُ. فَإِذَا عَرَفْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ: أَنَّ الْأُنُوثَةَ نَقْصٌ خِلْقِيٌّ، وَضَعْفٌ طَبِيعِيٌّ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّحِيحَ الَّذِي يُدْرِكُ الْحِكَمَ وَالْأَسْرَارَ، يَقْضِي بِأَنَّ النَّاقِصَ الضَّعِيفَ بِخِلْقَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ، يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ نَظَرِ الْكَامِلِ فِي خِلْقَتِهِ، الْقَوِيِّ بِطَبِيعَتِهِ؛ لِيَجْلِبَ لَهُ مَا لَا يَقْدِرُ

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الوَصَايَا، بَابٌ: لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ، حديث رقم: ٢٧٤٧

٢ – سُورَةُ الْمُلْكِ: الآية/ ١٤

٣ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٧٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَى جَلْبِهِ مِنَ النَّفْعِ، وَيَدْفَعَ عَنْهُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ مِنَ الضُّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.[1]

وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الضَّعِيفُ النَّاقِصُ مُقَوَّمًا عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْقَوِيِّ الْكَامِلِ، اقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُلْزَمًا بِالْإِنْفَاقِ عَلَى نِسَائِهِ، وَالْقِيَامِ بِجَمِيعِ لَوَازِمِهِنَّ فِي الْحَيَاةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. [النِّسَاءِ: ٣٤]، وَمَالُ الْمِيرَاثِ مَا مَسَحَا فِي تَحْصِيلِهِ عَرَقًا، وَلَا تَسَبَّبَا فِيهِ الْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا هُوَ تَمْلِيكٌ مِنَ اللَّهِ مَلَّكَهُمَا إِيَّاهُ تَمْلِيكًا جَبْرِيًّا، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ أَنْ يُؤْثِرَ الرَّجُلَ عَلَى الْمَرْأَةِ فِي الْمِيرَاثِ وَإِنْ أَدْلَيَا بِسَبَبٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ مُتَرَقِّبٌ لِلنَّقْصِ دَائِمًا بِالْإِنْفَاقِ عَلَى نِسَائِهِ، وَبَذْلِ الْمُهُورِ لَهُنَّ، وَالْبَذْلِ فِي نَوَائِبِ الدَّهْرِ، وَالْمَرْأَةُ مُتَرَقِّبَةٌ لِلزِّيَادَةِ بِدَفْعِ الرَّجُلِ لَهَا الْمَهْرَ، وَإِنْفَاقِهِ عَلَيْهَا وَقِيَامِهِ بِشُئُونِهَا، وَإِيثَارُ مُتَرَقِّبُ النَّقْصِ دَائِمًا عَلَى مُتَرَقِّبِ الزِّيَادَةِ دَائِمًا لِجَبْرِ بَعْضِ نَقْصِهِ الْمُتَرَقِّبِ، حِكْمَتُهُ ظَاهِرَةٌ وَاضِحَةٌ، لَا يُنْكِرُهَا إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.[2]

وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ...﴾، حَالَ اجْتِمَاعِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، وَأَمَّا حَالَ الِانْفِرَادِ: فَلِلذَّكَرِ جَمِيعُ الْمِيرَاثِ، وَلِلْأُنْثَى النِّصْفُ، وَلِلِاثْنَتَيْنِ فَصَاعِدًا الثُّلُثَانِ؛ لأنهن لَهُنَّ فَرْضٌ مُسَمًّى كما سيأتي بيانه، وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ: عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَ الْأَوْلَادِ مَنْ لَهُ فَرْضٌ مُسَمًّى أُعْطِيهِ، وَكَانَ مَا بَقِيَ مِنَ الْمَالِ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، لما ثبتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٣٤

٢ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٤، ٢٥)

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الفَرَائِضِ، بَابُ مِيرَاثِ الوَلَدِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، حديث رقم: ٦٧٣٢، مسلم– كِتَابُ الْفَرَائِضِ، بَابُ أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ، حديث رقم: ١٦١٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾.

في الكلام حذفٌ تقديره: فَإِنْ كُنَّ الْأَوْلَادُ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ.

بين الله تعالى في هذه الآية أَنَّ النِّسَاءَ إِنْ كُنَّ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ، وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ، وَلَمْ يُبَيِّنْ حُكْمَ الْبِنْتَيْنِ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ.

فقالَ ابْنِ عَبَّاسٍ: الثُّلُثَانِ فَرْضُ الثَّلَاثِ مِنَ الْبَنَاتِ فَصَاعِدًا، وَأَمَّا فَرْضُ الْبِنْتَيْنِ فَهُوَ النِّصْفُ.

وقيلَ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَالتَّقْدِيرُ: فَإِنَّ كُنَّ نِسَاءً اثْنَتَيْنِ فَمَا فَوْقَهُمَا فَلَهُنَّ الثُّلُثَانِ.

وقَالَ بَعْضُهم: قَوْلُهُ: ﴿فَوْقَ﴾، زَائِدَةٌ وَتَقْدِيرُهُ: فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً اثْنَتَيْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾.[1]

وَهَذَا الكلام باطلٌ؛ فَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ زَائِدٌ، وكلام الله تعالى منزه عن ذكر لفظ يخلو عن قصد معنى صحيح، ومما يدل على فساد هذا القول بالزيادة أنه تعالى قال: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾، ولو كانت ﴿فَوْقَ﴾، زَائِدَةٌ لَقَالَ: فَلَهُمَا ثُلُثَا مَا تَرَكَ.

وَاسْتُفِيدَ كَوْنُ الثُّلُثَيْنِ لِلْبِنْتَيْنِ مِنْ حُكْمِ الْأُخْتَيْنِ فِي الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى حَكَمَ فِيهَا لِلْأُخْتَيْنِ بِالثُّلُثَيْنِ؛ قَالَ تعالى فِي بيانِ مِيرَاثِ الْأَخَوَاتِ: ﴿فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثانِ مِمَّا تَرَكَ﴾. [النِّسَاءِ: ١٧٦]، وَإِذَا وَرِثَ الْأُخْتَانِ الثُّلُثَيْنِ فَلَأَنْ يَرِثَ الْبِنْتَانِ الثُّلُثَيْنِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى.

فذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُكْمَ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْبَنَاتِ وَحُكْمَ الثَّلَاثِ فَمَا فَوْقَهُنَّ، وَلَمْ يَذْكُرْ حُكْمَ الْبِنْتَيْنِ، وذَكَرَ فِي الآيةِ الآخيرة مِيرَاثَ الْأُخْتِ الْوَاحِدَةِ وَالْأُخْتَيْنِ وَلَمْ يَذْكُرْ مِيرَاثَ الْأَخَوَاتِ الْكَثِيرَةِ، فَصَارَت كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مُجْمَلَةً مِنْ وَجْهٍ وَمُبَيَّنَةً مِنْ وَجْهٍ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا وَلَا تُنْكَحَانِ إِلَّا

---

١ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ١٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَلَهُمَا مَالٌ، قَالَ: «يَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ» فَنَزَلَتْ: آيَةُ الميرَاثِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَمِّهِمَا، فَقَالَ: «أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ».[1]

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾.

إذا انفردت البنتُ الْوَاحِدَةُ فَلَهَا نِصْفُ الميراثِ؛ عنْ هُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيل، قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ بِنْتٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ المهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلِابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ» فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ.[2]

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾، أَيْ: لأَبَوَيِ الْمَيِّتِ، وَهُوَ مَعْلُومٌ مِنَ السِّيَاقِ، والنسبة دائمًا في الميراث تكون للْمَيِّتِ، ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾، يتساويان في ذلك ولَا يَتَفَاضَلَانِ كَمَا يَتَفَاضَلُ الذُّكُورُ وَالْإِنَاثُ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَالْإِخْوَةِ، وَالْأَزْوَاجِ، لِعِظَمِ مَقَامِ الْأُمِّ، ولإنها تُسَاوِي الْأَبَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى وَلَدِهِمَا.

وجعل الله تعالى نصيبَ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْميرَاثِ أَقَلَّ مِنْ نصيبِ الْأَوْلَادِ؛ لِأَنَّهُمَا يَكُونَانِ فِي الْغَالِبِ أَقَلَّ حَاجَةً مِنَ الْأَوْلَادِ إِمَّا لِكِبَرِهِمَا، وَإِمَّا لِاسْتِقْلَالِهِمَا، وَإِمَّا لِوُجُودِ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ النَّفَقَةُ عليهما مِنْ أَوْلَادِهِمَا، وَأَمَّا الْأَوْلَادُ فيَكُونُوا فِي الْغَالِبِ صِغَارًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَسْبِ.

لِلْأَبَوَيْنِ فِي الْمِيرَاثِ أَحْوَالٌ ثَلَاثَةٌ.

الْحَالَةُ الْأُولَى: أَنْ يَجْتَمِعَا مَعَ الْأَوْلَادِ، وهَذِهِ الْحَالَةُ لها ثَلَاثَةُ صورٍ:

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٤٧٩٨، والترمذي- أَبْوَابُ الْفَرَائِضِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مِيرَاثِ البَنَاتِ، حديث رقم: ٢٠٩٢، وابن ماجه- كِتَابُ الْفَرَائِضِ، بَابُ فَرَائِضِ الصُّلْبِ، حديث رقم: ٢٧٢٠، بسند حسن، وتقدم.

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الفَرَائِضِ، بَابُ مِيرَاثِ ابْنَةِ الِابْنِ مَعَ بِنْتٍ، حديث رقم: ٦٧٦٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْأُولَى: أَنْ يكُونَ مَعَ الْأَبَوَيْنِ وَلَدٌ ذَكَرٌ وَاحِدٌ أَوْ أَكْثَرُ، فَيُفْرَضُ لِلْأَبَوَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ.

وَالثَّانِيةُ: أَنْ يكُونَ مَعَ الْأَبَوَيْنِ بِنتَانِ أوْ أكثرُ، فَيُفْرَضُ لِلْأَبَوَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ أيضًا.

وَالثَّالِثَةُ: أَنْ يكُونَ مَعَ الْأَبَوَيْنِ بِنْتٌ وَاحِدَةٌ فَيُفْرَضُ لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُمِّ السُّدُسُ وَلِلْأَبِ السُّدُسُ بنصِ هَذِهِ الْآيَةِ، ويعطى الأبُ السُّدُسَ الْبَاقِي تَعْصِيبًا.

الْحَالَةُ الثَّانِيةُ: أَنْ يَنْفَرِدَ الْأَبَوَانِ بِالْمِيرَاثِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾. فَيُفْرَضُ لِلْأُمِّ الثُّلُثُ، وَيَأْخُذُ الْأَبُ الْبَاقِي تَعْصِيبًا، فَيَكُونُ لهُ ضَعْفَي مَا لِلْأُمِّ، وَهُوَ الثُّلُثَانِ.

أَمَّا إِذَا وَرِثَهُ أَبَوَاهُ مَعَ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ فيأخذُ الزَّوْجُ النِّصْفَ وَالزَّوْجَةُ الرُّبُعَ. ثُمَّ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: مَا تَأْخُذُ الْأُمُّ بَعْدَ فَرْضِ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا تَأْخُذُ ثُلُثَ الْبَاقِي فِي الْمَسْأَلَتَيْنِ؛ وَهُوَ قَوْلُ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ وهو الراجحُ، وتلقبُ بالْعُمَرِيَّتَيْنِ؛ نسبة إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُمَا رُفِعَتَا إِلَيه فَجَعَلَ لِلْأُمِّ ثُلُثَ مَا يَبْقَى بَعْدَ فَرْضِ الزَّوْجَيْنِ، وهو أول من قضى للأم بثلث الباقي فيهما، وَبِالْغَرَّاوَيْنِ، لِشُهْرَتِهِمَا وَوُضُوحِهِمَا، وَبِالْغَرِيبَتَيْنِ، لِغَرَابَتِهِمَا، وَعَدَمِ النَّظِيرِ لَهُمَا بَيْنَ مَسَائِلِ الْفَرَائِضِ، وَبالْغَرِيمَتَيْنِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَأْخُذُ ثُلُثَ جَمِيعِ الْمَالِ لِعُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأمِّهِ الثُّلُثُ﴾. وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، نَحْوُهُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا تَأْخُذُ ثُلُثَ جَمِيعِ الْمَالِ فِي مَسْأَلَةِ الزَّوْجَةِ، وَتَأْخُذُ ثُلُثَ الْبَاقِي فِي مَسْأَلَةِ الزَّوْجِ؛ لِئَلَّا تَأْخُذَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَبِ لَوْ أَخَذَتْ ثُلُثَ الْمَالِ.

الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يكُونَ مَعَ الْأَبَوَيْنِ إِخْوَةٌ، سَوَاءٌ كانوا من الأبوين، أو من الْأَبِ، أَوْ مِنَ الْأُمِّ، فيَحْجُبُونَ الْأُمَّ عَنِ الثُّلُثِ إِلَى السُّدُسِ حجبَ نقصانٍ، ويحجبهم الْأَبُ حجبَ حرمانٍ فلَا يَرِثُونَ مَعَ وجودِ الْأَبِ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَارِثٌ سِوَاهَا وَسِوَى الْأَبِ أَخَذَتِ الْأُمُّ السُّدُسَ وَأَخَذَ الْأَبُ الْبَاقِي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

أمر الله تعالى بقسمة الميراث على النحو الذي بينه الله تعالى بَعْدِ قَضَاءِ دَيْنِ الْمَيِّتِ الَّذِي مَاتَ وَهُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَرِكَتِهِ، وَإِنْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ تَرِكَتِهِ، وَمِنْ بَعْدِ تَنْفِيذِ وَصِيَّتِهِ إذا كانت في حدود الثُّلُثِ، فَإِنْ زَادَتْ عَلَى الثُّلُثِ فَالورَثَةُ بالْخِيَارِ فِي إِجَازَةِ مَا زَادَ عَلَى الثُّلُثِ أَوْ رَدِّهِ إِلَى وَرَثَتِهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ فِي حُدودِ الثُّلُثِ فَهُوَ مَاضٍ عَلَيْهِمْ، وعلى هذا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ، وأَجْمَعوا على أن الدَّيْنَ مقدمٌ على الْوَصِيَّةِ؛ لقضاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك؛ فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾. [النساء: ١٢] «وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالدَّيْنِ قَبْلَ الوَصِيَّةِ، وَإِنَّ أَعْيَانَ بَنِي الأُمِّ يَتَوَارَثُونَ دُونَ بَنِي العَلَّاتِ، الرَّجُلُ يَرِثُ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ دُونَ أَخِيهِ لِأَبِيهِ».[1]

قال الترمذي: وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُ يُبْدَأُ بِالدَّيْنِ قَبْلَ الوَصِيَّةِ.

وَلقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.[2]

قال البخاري: فَأَدَاءُ الأَمَانَةِ أَحَقُّ مِنْ تَطَوُّعِ الوَصِيَّةِ.

﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.

هذا جملةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ ذِكْرِ الْوَارِثِينَ وَأَنْصِبَائِهِمْ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾، لبيانِ أَنَّ الْقِسْمَةَ على تِلْكَ التَّقْدِيرَاتِ هي الأنفعُ وَالأَصْلَحُ للعبادِ، ولا يجوز تركها لما تَسْتَحْسِنُهُ العُقُولُ إِلَى مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ الطَّبْعُ مِنْ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ عَلَى الْوَرَثَةِ، فلا يدري العبادُ أَيُّهُمْ أَدْنَى وَأَكثرُ نَفْعًا لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ الْآبَاءُ أو الْأَبْنَاءُ.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٢٢٢، والترمذي– أَبْوَابُ الْفَرَائِضِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مِيرَاثِ الإِخْوَةِ مِنَ الأَبِ وَالأُمِّ، حديث رقم: ٢٠٩٤، والبيهقي في السنن الصغرى– كِتَابُ الْفَرَائِضِ، بَابُ تَبْدِيَةِ الدَّيْنِ عَلَى الْوَصِيَّةِ، حديث رقم: ٢٣٢٧، بسند حسن

٢ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٥٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾.

أي: قسمة مقدرة، وحكم لازم مِنَ اللَّهِ تعالى، لا تحلُ مخالفته، بل يجبُ الِانْقِيَادِ لِهَذِهِ الْقِسْمَةِ الَّتِي قَدَّرَهَا الشَّرْعُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

اللَّهُ عَلِيمٌ مَا يَسْتَحِقُّهُ كل أحدٍ مِنَ الْقِسْمَةِ، وَهُوَ حَكِيمٌ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بالْأَصْلَحِ والْأَنفعِ لعبادِهِ، فيَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَالِّهَا.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليبِ البلاغيةِ في الآية: الْعُدُولُ عَنْ صِيغَةِ الأَمْرِ إِلَى صِيغَةِ الْإِيصَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَدَلُّ عَلَى الِاهْتِمَامِ، وأَبْلَغُ وَأخفُّ على النُّفُوسِ.

والطِّبَاقُ فِي لَفْظِ: (لِلذَّكَرِ)، و (الْأُنْثَيَيْنِ) من قوله: ﴿مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾، وبين لفظ: (آبَاؤُكُمْ)، وَ (أَبْنَاؤُكُمْ)، من قوله: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.

وَجِنَاسُ الاشْتِقَاقِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِي﴾.

وصيغةُ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، لبيانِ أنه لا يعزبُ عن علمِهِ شيءٌ، ولا يُشَرِّعُ تشريعًا إلا لحكمةٍ بالغةٍ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٢

وكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُوَرِّثُونَ الزَّوْجَيْنِ، فَلَا يَرِثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ؛ لِأَنَّهُ صَارَ بِمَوْتِهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَجْنَبِيِّ عَنْ قَرَابَتِهَا، وَإِنْ كَانَ لَهَا أَوْلَادٌ كَانَ أَوْلَادُهَا أَحَقَّ بِمِيرَاثِهَا إِنْ كَانُوا كِبَارًا، فَإِنْ كَانُوا صِغَارًا قَبَضَ أَقْرِبَاؤُهُمْ مَالَهُمْ وَتَصَرَّفُوا فِيهِ، وَلَا تَرِثُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا بَلْ كَانَتْ تُعَدُّ مَوْرُوثَةً عَنْهُ يَتَصَرَّفُ فِيهَا وَرَثَتُهُ، فأبطل الله تعالى ما كان عليه التوارث في الجاهلية، وجعل من أسباب الميراث النكاح.

والْخِطَابُ هُنَا لِلرِّجَالِ، أي: ولكم يا معشرَ الرِّجَالِ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِنَّ مِنْ مَالٍ وَمِيرَاثٍ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ حين الوفاةِ لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى، وَحُكْمُ أَوْلَادِ الْبَنِينَ وَإِنْ سَفُلُوا حُكْمُ أَوْلَادِ الصُّلْبِ.

وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ لِلزَّوْجِ النِّصْفَ مَعَ عَدَمِ الْوَلَدِ أَوْ وَلَدِ الْوَلَدِ، وَلَهُ مَعَ وُجُودِهِ الرُّبُعُ.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

أي مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دُيُونِهِنَّ الَّتِي يَمُتْنَ وَهِيَ عَلَيْهِنَّ، وَمِنْ بَعْدِ إِنْفَاذِ وَصَايَاهُنَّ الْجَائِزَةِ، وتَقَدَّمَ الحديثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالدَّيْنِ قَبْلَ الوَصِيَّةِ، فالدَّيْنَ مُقَدَّمٌ عَلَى الْوَصِيَّةِ، والْوَصِيَّةُ مُقَدَّمَةٌ عَلَى الْمِيرَاثِ، وهو أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾.

وَلِأَزْوَاجِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ رُبْعُ مَا تَرَكْتُمْ بَعْدَ وَفَاتِكُمْ مِنْ الميرَاثِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ، لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

فإِنْ كان لأَحَدِكُمْ وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، وَاحِدًا كَانَ الْوَلَدُ أَوْ أكثرَ، ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾.

وَلَمْ يُفَرِّقْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ حُكْمِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَحُكْمِ الْجَمِيعِ، كَمَا فَرَّقَ بَيْنَ حُكْمِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْبَنَاتِ وَالْوَاحِدَةِ مِنَ الْأَخَوَاتِ وَبَيْنَ حُكْمِ الْجَمِيعِ منهن.

فحُكْمَ الْوَاحِدَةِ وَالثِّنْتَيْنِ وَالثَّلَاثِ وَالْأَرْبَعِ فِي الرُّبُعِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ، وَفِي الثُّمُنِ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سواءٌ، وَأَنَّهُنَّ يشتركن فِي الرُّبُعِ، وَفِي الثُّمُنِ.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

مِنْ بَعْدِ قَضَاءِ دُيُونِكم، وَمِنْ بَعْدِ إِنْفَاذِ وَصَايَاكم الْجَائِزَة.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾.

الْمُرَادُ بالْكَلَالَةِ هُنَا مَنْ يَرِثُ الْمُتَوفَى مِنْ حَوَاشِيهِ لَا أُصُولِهِ وَلَا فُرُوعِهِ.

الْكَلَالَةُ: مَصْدَرٌ، مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ أَيْ أَحَاطَ بِهِ، مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْإِكْلِيلِ، وَهُوَ الَّذِي يُحِيطُ بِالرَّأْسِ مِنْ جَوَانِبِهِ.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْكَلَالَةِ، فَقَالَ: أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي، فَإِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَمِنَ اللَّهِ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ مِنْهُ: الْكَلَالَةُ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ.

وقَالَ عُمَرُ: أَتَى عَلَيَّ حِينٌ وَلَسْتُ أَدْرِي مَا الْكَلَالَةُ؟ أَلَا وَإِنَّ الْكَلَالَةَ: مَا خَلَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ.

وهو أمر مجمعٌ عليه، وَحَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ، فعَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَبْدٍ قَالَ: «مَا رَأَيْتُهُمْ إِلَّا قَدِ اتَّفَقُوا أَنَّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَدَعْ وَلَدًا وَلَا وَالِدًا أَنَّهُ كَلَالَةٌ».[1]

١ - تفسير الطبري (٦/ ٤٧٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾.

أي: وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ، فعَنْ سَعْدٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾. قَالَ سَعْدٌ: «لِأُمِّهِ».

وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ رَبِيعَةَ: قَرَأْتُ عَلَى سَعْدٍ: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾. قَالَ سَعْدٌ: «لِأُمِّهِ».

﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

قَالَ قَتَادَةُ: قَوْلُهُ: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾، «فَهَؤُلَاءِ الْإِخْوَةُ مِنَ الْأُمِّ إِنْ كَانَ وَاحِدًا فَلَهُ السُّدُسُ، وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ، ذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ».

قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾، قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾، وَلَمْ يُقَلْ لَهُمَا أَخٌ أَوْ أُخْتٌ، وَقَدْ ذُكِرَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ، لأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِذَا قَدَّمَتْ ذِكْرَ اسْمَيْنِ قَبْلَ الْخَبَرِ فَعَطَفَتْ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ بِأَوْ ثُمَّ أَتَتْ بِالْخَبَرِ أَضَافَتِ الْخَبَرَ إِلَيْهِمَا أَحْيَانًا، وَأَحْيَانًا إِلَى أَحَدِهِمَا، كما يقال: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ غُلَامٌ أَوْ جَارِيَةٌ فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِ، يَعْنِي: فَلْيُحْسِنْ إِلَى الْغُلَامِ، وإِلَى الْجَارِيَةِ، أي: فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِمَا.

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ المرادَ بالْإِخْوَةِ هنا الْإِخْوَةُ لِلْأُمِّ، وقدمنا أنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَقْرَأُ: (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمِّهِ).

قال ابن كثير: وَإِخْوَةُ الْأُمِّ يُخَالِفُونَ بَقِيَّةَ الْوَرَثَةِ مِنْ وُجُوهٍ، أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ يَرِثُونَ مَعَ مَنْ أَدْلَوْا بِهِ وَهِيَ الْأُمُّ.

الثَّانِي: أَنَّ ذَكَرَهُمْ وَأُنْثَاهُمْ سَوَاءٌ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ لَا يَرِثُونَ إِلَّا إِذَا كَانَ مَيِّتُهُمْ يُورَثُ كَلَالَةً، فَلَا يَرِثُونَ مَعَ أَبٍ، وَلَا جَدٍّ، وَلَا وَلَدٍ، وَلَا وَلَدِ ابْنٍ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُمْ لَا يُزَادُونَ عَلَى الثُّلُثِ، وَإِنْ كَثُرَ ذُكُورُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾.

أَيْ: هَذَا الميراثُ لِأَخِي الْمَيِّتِ وَأُخْتِهِ يكونُ بَعْدِ قَضَاءِ دَيْنِ الْمَيِّتِ الذي وجب عليه حين نزل به الْمَوْتِ مِنْ تَرِكَتِهِ، وَبَعْدَ إِنْفَاذِ وَصَايَاهُ.

قالَ مُجَاهِدٌ: ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾. فِي مِيرَاثِ أَهْلِهِ.

يعني: لا يحلُّ له أنْ يوصِي فيضرُّ بوصيته بعض الورثة، كأَنْ يَحْرِمَ بَعْضَ الْوَرَثَةِ، أَوْ يَنْقُصَهُ، أَوْ يَزِيدَهُ عَلَى مَا قدرَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْفَرِيضَةِ؛ رُوى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْإِضْرَارُ فِي الْوَصِيَّةِ مِنَ الْكَبَائِرِ".[1]

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ» قَالَ: وَقَرَأَ عَلَيَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ هَا هُنَا: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾.[2]

﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

وَصِيَّة مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ للفِعْلِ ﴿يُوصِيكُمُ﴾. [النِّسَاءِ: ١١]، وَالتَّقْدِيرُ: يُوصِيكُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ وَصِيَّةً، كقوله: فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾.[3]

---

١ - رواه النسائي في السنن الكبرى- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ النِّسَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٣]، حديث رقم: ١١٠٢٦، والدارقطني-كِتَابُ الْوَصَايَا، حديث رقم: ٤٢٩٣، والبيهقي في السن الكبرى- حديث رقم: ١٢٥٨٦، بسند ضعيف

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٧٧٤٢، أبو داود- كِتَاب الْوَصَايَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الْإِضْرَارِ فِي الْوَصِيَّةِ، حديث رقم: ٢٨٦٧، والترمذي- أَبْوَابُ الْوَصَايَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الضِّرَارِ فِي الوَصِيَّةِ، حديث رقم: ٢١١٧، وابن ماجه- كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ الْحَيْفِ فِي الْوَصِيَّةِ، حديث رقم: ٢٧٠٤، والبيهقي في السنن الكبرى- حديث رقم: ١٢٥٨٥، بسند فيه ضعف.

٣ - سورة النِّسَاءِ: الآية/ ١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

لَمَّا أبطل الله تعالى مَوَارِيثَ الْجَاهِلِيَّةِ، التي تدل على الْجَهْلِ بأسبابِ الْمِيرَاثِ، وَالْقَسْوَةِ على الضعفاء من الورثة؛ قسَّم الله تعالى الميراثَ تعليمًا للأمةِ، ورحمةً بالضعفاء، وهو تعالى حَلِيمٌ بالعبادِ حيث لم يُعَاجِلْهم بِالْعُقُوبَةِ على تشريعهم الفاسدِ قبل البيانِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليبِ البلاغيةِ في الآية: الطباق في لفظ: (أَخٌ) و (أُخْتٌ﴾، من قوله: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾.

والحذف في قوله: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾. فقد أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ المرادَ بالْإِخْوَةِ هنا الْإِخْوَةُ لِلْأُمِّ.

والإطنابُ في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾. وفائدته التأكيد على تنفيذ الوصية، وقضاء الدين قبل قسمة الميراث.

والمبالغةُ في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٣، ١٤

الحُدُودُ جمعُ حدٍّ وهو: الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، ويُسَمَّى الْكَلَامُ الْجَامِعُ الْمَانِعُ: حَدًّا، وَإِحْدَادُ الْمَرْأَةِ؛ لِأَنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الزِّينَةِ، إِذَا عَرَفْتَ الِاشْتِقَاقَ فَنَقُولُ: وحُدُودِ اللَّهِ هي الْأَحْكَامُ الَّتِي بَيَّنَهَا اللَّهِ تعالى لِلْعِبَادِ، وَمَنَعَهم مِن تَجَاوزِها، وشُبِّهَتْ بِالْحُدُودِ الَّتِي تفصلُ بَيْنَ أَمْلَاكِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ، تَفْصِلُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَتَفْصِلُ بَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ بَعْدَهُ، والمراد بها هنا الْفَرَائِضُ وَالْمَقَادِيرُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِلْوَرَثَةِ بِحَسَبِ قُربهم مِنَ الْمَيِّتِ.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

يعني في قسمة الْمَوَارِيثِ فَيُقِرُّ بِهَا وَيَعْمَلُ بِهَا كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَمْ يَرِدْ بَعْضُ الْوَرَثَةِ وَلَمْ يَنْقُصْ بَعْضًا، ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ لأن من فعل ذلك فقد حقق العبودية لله تعالى التي هي كمال الطاعة له سبحانه مع كمال الحب والذل.

﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

فلا فوز أعظم من الفوز برضوان الله تعالى، وسكنى دار كرامته الجنة؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٥]، وَالْفَوْزُ: هُوَ حُصُولُ الرِّبْحِ وَنَفْيُ الْخَسَارَةِ.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾.

ومن يخالف الله تعالى فيما أَمَرَ بِهِ مِنْ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ عَلَى مَا بينه في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويعترض على حكم الله تعالى فيما شرعه، ويتجاوز ذلك إلى زبالات أذهان البشر من القوانين الوضعية، والمناوئة للشرع المخالفة للدين، كما يحدث من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعض الجهالِ الذين يطالبون بمساواة المرأة للرجل في الميراث، ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؛ لأنه غيَّر أحكامَ اللَّهِ تعالى، وَضَادَّ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ؛ وتسخط على شرعه؛ ولا يفعل هذا مسلم يؤمن بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا؛ وإنما يفعل هذا من أضمرَ الكفرَ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلمٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.[1]

﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

أي: وَلَهُ عَذَابٌ مُذِلٌّ مُخْزٍ؛ معاقبةً له بنقيض قصدِهِ؛ لتعاليه على أحكام الله، وتكبره عن الانقياد لشرعه.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليبِ البلاغيةِ في الآية: الطباق في لفظ: (يُطِعِ)، و (يَعْصِ). وفي: (جَنَّاتٍ)، و (نَارًا).

والمقابلة في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾، و ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا﴾.

١ – سُورَةُ محمدٍ: الآية/ ٨، ٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٥، ١٦

مناسبة الآية لما قبلها:

قال القرطبي: لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْإِحْسَانَ إِلَى النِّسَاءِ وَإِيصَالَ صَدُقَاتِهِنَّ إِلَيْهِنَّ، وَانْجَرَّ الْأَمْرُ إِلَى ذِكْرِ مِيرَاثِهِنَّ مَعَ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ، ذَكَرَ أَيْضًا التَّغْلِيظَ عَلَيْهِنَّ فِيمَا يَأْتِينَ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ؛ لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ من الْإِحْسَانِ إليهن أن لا تُقَامَ عَلَيْهِنَّ الْحُدُودُ، فَيَصِيرَ ذَلِكَ سَبَبًا لِوُقُوعِهِنَّ فِي الحرامِ وتَرْكِ التَّعَفُّفِ.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾.

﴿اللَّاتِي﴾: اسمٌ موصولٌ لجماعةِ الإناثِ، مفردُهُ (التي)، ﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾. الْفَاحِشَةُ الْفِعْلَةُ الْقَبِيحَةُ، والمراد بها هنا الزِّنَا؛ أي: يَغْشَيْنَ الْفَاحِشَةَ ويَفْعَلْنَهَا، ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾. يعني: مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

كَانَ هذا الْحُكْمُ فِي بدايةِ تَشْرِيعِ عقُوبَةِ الزِّنَا، أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا زَنَتْ فَثَبُتَ زِنَاهَا بِالْبَيِّنَةِ الْعَادِلَةِ، حُبستْ فِي بَيْتٍ فَلَا تُمكن مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَى أَنْ تَمُوتَ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهَا سَبِيلًا.

ثم نسخ هذا الْحُكْمُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ النُّورِ، وَجُعِلَ السَّبِيلُ لِلْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ، وللمُحْصَنَةِ الرَّجْمُ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ النُّورِ فَنَسَخَهَا بِالْجَلْدِ، أَوِ الرَّجْمِ.

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَنْسُوخَتَانِ بِآيَةِ الْجَلْدِ فِي سُورَةِ النُّورِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾.[1]

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ».[2]

﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾.

يعني: فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ بأنهن أَتَيْنَ الْفَاحِشَةَ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ تَعَالَى بأن يكون الشُّهُودُ أَرْبَعَةً تَغْلِيظًا عَلَى الْمُدَّعِي، وَسَتْرًا لِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

أي: احبسوهنَّ فِي الْبُيُوتِ، فلا تُمكَّن من الخروج منه إلى أن تموت، وَالْحَبْسُ فِي الْبَيْتِ آلَمُ وَأَوْجَعُ مِنَ الضَّرْبِ وَالْإِهَانَةِ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مُنِعْنَ مِنَ النِّكَاحِ حَتَّى يَمُتْنَ عُقُوبَةً لَهُنَّ حِينَ طَلَبْنَ النِّكَاحَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ.

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا﴾، تثنية الذي، و﴿يَأْتِيَانِهَا﴾، الضمير عائدٌ على الفاحشة المذكورة في الآية السابقة، واختلف العلماء في المرادِ بالفاحشةِ هُنَا، فقيل: هي الزِّنَا، وَقيلَ هي: اللِّوَاطُ، وقيل: وَقيلَ هي: الزِّنَا وَاللِّوَاطُ مَعًا.

قَالَ عِكْرِمَةُ، وَعَطَاءٌ، وَالْحَسَنُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ: نَزَلَتْ فِي الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ إِذَا زَنَيَا.

والراجح أن المراد في هذه الآية اللواط لأنه ذكر في الآية السابقة الفاحشة التي تكون بين الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، فلَمَا قالَ هنا ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا﴾، دلَّ ذلك على اختلاف الأمر وإلا كان تكرارًا ينزه عنه كلام الله تعالى.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ فِي الرَّجُلَيْنِ إِذَا فَعَلَا لَا يُكَنِّي. يُرِيدُ اللِّوَاطَ.

---

١ – سُورَةُ النُّورِ: الآية/ ٢

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ حَدِّ الزِّنَى، حديث رقم: ١٦٩٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَآذُوهُمَا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُم: أَيْ بِالشَّتْمِ وَالتَّعْيِيرِ، وَالضَّرْبِ بِالنِّعَالِ، وَالْأَذَى يَقَعُ بِكُلِّ مَكْرُوهٍ يَنَالُ الْإِنْسَانَ مِنْ قَوْلٍ سَيِّئٍ بِاللِّسَانِ أَوْ فِعْلٍ كالضَّرْبِ، وَكَانَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ حَتَّى نَسَخَهُ اللَّهُ بالرَّجْمِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ بِهِ».[1]

قال الفخر الرازي: خَصَّ الْحَبْسَ فِي الْبَيْتِ بِالْمَرْأَةِ وَخَصَّ الْإِيذَاءَ بِالرَّجُلِ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِنَّمَا تَقَعُ فِي الزِّنَا عِنْدَ الْخُرُوجِ وَالْبُرُوزِ، فَإِذَا حُبِسَتْ فِي الْبَيْتِ انْقَطَعَتْ مَادَّةُ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَبْسُهُ فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى الْخُرُوجِ فِي إِصْلَاحِ مَعَاشِهِ وَتَرْتِيبِ مُهِمَّاتِهِ وَاكْتِسَابِ قُوتِ عِيَالِهِ، فَلَا جَرَمَ جُعِلَتْ عُقُوبَةُ الْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ الْحَبْسَ فِي الْبَيْتِ، وَجُعِلَتْ عُقُوبَةُ الرَّجُلِ الزَّانِي أَنْ يُؤْذَى، فَإِذَا تَابَ تُرِكَ إِيذَاؤُهُ.[2]

﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾.

يعني: فَإِنْ تَابَا مَنِ الْفَاحِشَةِ وَنَدِمَا عَلَى فِعْلِهَا، وَأَصْلَحَا بعَمَلِ الطاعَاتِ، فَأَعْرِضُوا عَنْ شتمهما، وتعييرهما بالذنب، وكُفُّوا عَنْ إِيذَائِهِمَا بالْفِعْلِ، ولا يشرع التعيير بالذنب بعد التوبة منه؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ».[3]

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

يعني: يقبل الله تعالى توبة من تاب إليه، ويتفضل عليه برحمته ومغفرة ذنبه، والإحسان إليه.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٧٣٢، وأبو داود- كِتَاب الْحُدُودِ، بَابٌ فِيمَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، حديث رقم: ٤٤٦٢، والترمذي- أَبْوَابُ الْحُدُودِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَدِّ اللُّوطِيِّ، حديث رقم: ١٤٥٦، وابن ماجه- كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، حديث رقم: ٢٥٦١، بسند صحيح

٢ - تفسير الرازي (٩/ ٥٣١)

٣ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٥٠، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في الآية: إِطْلَاقُ اسْمِ الْكُلِّ عَلَى الْبَعْضِ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾، فإنَّ: (الْفَاحِشَةَ)، اسم جنس يعم كل فاحشةٍ، والمراد بها هنا: الزنى، وَإِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَى الْبَعْضِ اسْمُ الْكُلِّ تَعْظِيمًا لِقُبْحِهِ وَفُحْشِهِ.[1]

والاستعارة في قوله: ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾. شبه الموتَ بمن يتولى قبض الأرواح، تهويلًا للموتِ، والمراد يتوفاهنَّ الله أو ملائكته.

والاستعارة في قوله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، شبَّهَ تشريع الحكم الخاص بهن بالطريقِ المسلوكِ الذي لهن فيه مخرجٌ.

وحذفُ الإيجازِ في قوله: ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾. يعني: فَإِنْ شَهِدُوا عليهن.

والجناسُ المغايرُ في قوله: ﴿فَإِنْ تَابَا﴾، و ﴿كَانَ تَوَّابًا﴾.

---

١ – انظر البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٠٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٧، ١٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حال من تاب في الآية السابقة وَوَصَفَ نَفْسَهُ تعالى بِإِنَّهُ تَوَّابٌ رَحِيمٌ، بيَّنَ تعالى هنا شُرُوطَ قَبُولِ التَّوْبَةِ؛ فقال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ.....﴾، ودلَّ على ذلك تصدير الآية بلفظ: (إِنَّمَا) الذي يفيد الحصر.

وَالتَّوْبَةُ هي: النَّدَمُ عَلَى فعلِ الذنبِ، والإقلاعُ عنه وَالْعَزْمُ عَلَى عدم العودة إليه، وهي واجبةٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ...﴾.[1]

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ....﴾، هذا وعدٌ وعدَ الله تعالى به عباده التائبين؛ تفضُّلًا منه عليهم، لا يجب عليه تعالى شيءٌ؛ كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ».[2]

وقيل: في الكلام حذف تقديره: إِنَّمَا قبولُ التَّوْبَةِ ومغفرة الذنوب عَلَى فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، فإن الله تعالى لا يجب عليه شيءٌ.

وقيل: المرادُ إِنَّمَا الْهِدَايَةُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِرْشَادُ إِلَيْهَا وَالْإِعَانَةُ عَلَيْهَا عَلَى الله تَعَالَى فضلًا منه ورحمة.

---

١ – سورة النور: الآية/ ٣١

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حديث رقم: ٧٣٧٣، ومسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، حديث رقم: ٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾.

السُّوءُ: يَعُمُّ كلَّ معصيةٍ وسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يسُوءُ فَاعِلَه، وتَسُوءُ عَاقِبَتُهُ.

وَكُلُّ مَنْ عَصَى اللَّه فهو جَاهِلٌ، حتى يتوبَ لله تعالى، وَيُسَمَّيَ فِعْلُهُ جَهَالَةً؛ لأَنَّهُ لَوِ عَمِلَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ لَمَا أَقْدَمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ الْجَهَالَةُ: كُلُّ امْرِئٍ عَمِلَ شَيْئًا مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ فَهُوَ جَاهِلٌ أَبَدًا حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهَا وَقَرَأَ: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩] ، وَقَرَأَ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] ، قَالَ: مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾.

يعني: ثُمَّ يَتُوبُونَ قَبْلَ معاينةِ مَلَكَ الْمَوْتِ؛ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ».[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».[2]

وقَالَ الضَّحَّاكُ: مَا كَانَ دُونَ الْمَوْتِ فَهُوَ قَرِيبٌ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا لَمْ يُغَرْغر.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الدُّنْيَا كُلُّهَا قَرِيبٌ.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٦١٦٠، والترمذي– أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابٌ، حديث رقم: ٣٥٣٧، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٥٣، وابن حبان– كِتَابُ الرَّقَائِقِ، بَابُ التَّوْبَةِ، ذِكْرُ تَفَضُّلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى التَّائِبِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ، كُلَّمَا أَنَابَ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ حَالَةَ الْمَنِيَّةِ بِهِ، حديث رقم: ٦٢٨، بسند حسن

٢ – رواه مسلم– كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، حديث رقم: ٢٧٠٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

أي: فَأُولَئِكَ الذين يتقبل الله تعالى توبتهم حين أتوا بالتوبة بشروطها، فَيكون الْمُرَادُ بقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾. أي: التَّوْفِيقُ للتَّوْبَةِ، وَبقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قَبُولُ التَّوْبَةِ منهم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

أي: وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بضعف العبادِ بالوقوع في المعاصي، وحَكِيمًا بتشريع التوبة لهم بعد المعصية والزلل.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾.

لما ذكر الله تعالى التوبة المقبولة، بين الله تعالى هنا التوبة المردودة، والأصناف الذين لا تنفعهم التوبة، فقال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾، مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَعاينَ أَهْوَالَهُ، كما قَالَ تَعَالَى عنْ فِرْعَوْنَ: ﴿حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.[1]

فَندم ولات حين مندم، وآمَنَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ الْإِيمَانُ.

وَكما قَالَ تَعَالَى عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ، لَمَّا جَاءَهُمْ بِأْسُ اللَّهِ وعذابهُ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.[2]

١ – سُورَةُ يُونُسَ: الآية/ ٩٠، ٩١

٢ – سُورَةُ غَافِرَ: الآية/ ٨٤، ٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ».[1]

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ أَيُّوبُ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ تِيبَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ تِيبَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَاعَةٍ تِيبَ عَلَيْهِ» فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، الْآيَةَ قَالَ: إِنَّمَا أُحَدِّثُكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[2]

قال النووي: وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى قَبُولِ التَّوْبَةِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ.

﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

أي: وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلْكُفَّارِ الَّذِينَ يَتُوبُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ من الآثام والمعاصي كالزنا وشرب الخمر، وهم مقيمون على الكفرِ، فَلَيْسَ لِهؤلاءِ تَوْبَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ مَاتُوا مُلْتَبِسِينَ بِالْكُفْرِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ المسَيّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيْ عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ "، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].[3]

---

١ - رواه الشهاب في مسنده- إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ، حديث رقم: ١٠٨٥، وتقدم الحديث عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢ - رواه الحاكم في المستدرك- كِتَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، حديث رقم: ٧٦٦٤، أبو داود الطيالسي- حديث رقم: ٢٣٩٨، زالبيهي في الشعب- معالجة كل ذنب بالتوبة، حديث رقم: ٦٦٦٥

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ إِذَا قَالَ المشْرِكُ عِنْدَ المَوْتِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حديث رقم: ١٣٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتكون أَوَّلُ الْآيَةِ فِي الْمُؤْمِنِينَ، وآخرها في الْكُفَّارِ؛ فإن الله تَعَالَى عَطَفَ الْكُفَّارَ عَلَى الَّذِينَ يَتُوبُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ، والعطف يقتضي الْمُغَايِرَة.

﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

أَيْ: أَعْدَدْنَا وَهَيَّأْنَا لَهُمْ عَذَابًا مُؤْلِمًا مُوجِعًا، والْإِشَارَةُ إِلَى الصِّنْفَيْنِ، وَإِنْ كَانَ عَذَابُ الْمُؤْمِنِينَ مُنْقَطِعًا، وَعَذَابُ الْكُفَّارِ خَالِدًا.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

مِنَ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ فِي الآياتِ: حَذْفُ الإيجاز في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ...﴾. وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّمَا قَبُولُ التَّوْبَةِ مُتَرَتِّبٌ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ.

تكرارُ إسناد التوبة لله تعالى في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾، ثم قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. لتقوية الحكم، ولتأكيد وعدِ الله تعالى لهم بقَبول توبتهم.

جناس الاشتقاق في قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾، و﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾، و ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، للإشعارِ بعلَّةِ الحُكمِ فإنَّ الألوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمالِ.[1]

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، جملة معترضة، مقررة لمضمون ما قبلها، وبيان أنه تعالى عليم بمن يستحق التوبة، حكيم في تشريعه سبحانه وتعالى.

والإشارة بلفظ: ﴿أُولَئِكَ﴾، في قوله: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حتى يحضرهم الموت، وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ، للإيذان ببُعدِ منزلتِهم في السوء وترامي حالهم في القبح والفظاعة.

وتنكيرُ العذابِ ووصفُهُ بالأليم في قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ للتفخيم الذاتي والوصفي.

---

١ - تفسير أبي السعود (٢/ ١٥٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٩

سببُ نزولِ الآيةِ:

سببُ نزولِ الآيةِ: ما رواهُ البخاري عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ».[1]

كَانَ من عادة أهلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ منهم وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ جَاءَ أحدُ أَقَارِبِهِ فَأَلْقَى عليها ثَوْبَهُ، فيرثها كما يرث المتاع وصَارَ أَحَقَّ بِهَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وأَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا وَمِنْ نَفْسِهَا، فَإِنْ شَاءَ تَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ، إِلَّا الصَّدَاقَ الْأَوَّلَ الَّذِي أَصْدَقَهَا الْمَيِّتُ، وَإِنْ شَاءَ زَوَّجَهَا مِنْ إِنْسَانٍ آخَرَ وَأَخَذَ صَدَاقَهَا وَلَمْ يُعْطِهَا مِنْهُ شَيْئًا، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُزَوِّجهَا.

فنَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْ ظلمِ النِّسَاءِ وَالإِضْرَارِ بِهِنَّ، وأن يعاملن معاملة المتاعِ، وأن يُورَثْنَ كَمَا يُورَثُ الْمَالُ.

والْخِطَابُ هنا عامٌ لِلْمُسْلِمِينَ، أَيْ: لَا يَحِلُّ لَكُمْ مُعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا كَمَا كَانَ يفْعَلُ أهلُ الْجَاهِلِيَّةِ.

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾.

نهى اللهُ تَعَالَى عَنِ الْوِرَاثَةِ طواعيةً أوْ كَرْهًا، وإنما ذكر الله تعالى حَالَ الْإِكْرَاهِ،؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لا يحدث غَالِبًا إِلَّا وهُنَّ مُكْرَهَاتٌ مَجْبُورَاتٌ، ولَا يجوزُ الاسْتِدْلَالُ بِالْآيَةِ على جوازِ ذلك فِي حَالِ الطَّوْعِ؛ لِأَنَّ الكلامَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ.

---

١ - رواهُ البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا، وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩] الآيَةَ، حديث رقم: ٤٥٧٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: كُرْهًا بِضَمِّ الْكَافِ، هَاهُنَا وَفِي التَّوْبَةِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: هُمَا لُغَتَانِ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ والْفَرَّاءُ: الْفَتْحُ بِمَعْنَى الْإِكْرَاهِ، وَالضَّمُّ مِنْ فِعْلِكَ تَفْعَلُهُ كَارِهًا لَهُ مِنْ غَيْرِ مُكْرِهٍ.

﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾.

الْعَضْلُ هو: الْمَنْعُ، والحبسُ والتضييقُ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، وَلَا تَقْهَرُوهُنَّ، وَعَنْ سَعِيدٍ: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، قَالَ: لَا تَحْبِسُوهُنَّ.

قَالَ ابن جرير: نَهَى اللَّهُ جَلَّ ثناؤُهُ زَوْجَ الْمَرْأَةِ عَنِ التَّضْيِيقِ عَلَيْهَا وَالْإِضْرَارِ بِهَا، وَهُوَ لِصُحْبَتِهَا كَارِهٌ، وَلِفِرَاقِهَا مُحِبٌّ، لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِبَعْضِ مَا آتَاهَا مِنَ الصَّدَاقِ.[1]

وهو كذلك نهي لذَوي قَرَابَةِ الزوجِ المتوفى عن حبسِ امرأته، ومنعها من الزواج ممن أرادت حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَرُد صَدَاقَهَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾، «وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَرِثُ امْرَأَةَ ذِي قَرَابَتِهِ فَيَعْضُلُهَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَرُدَّ إِلَيْهِ صَدَاقَهَا، فَأَحْكَمَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَنَهَى عَنْ ذَلِكَ».[2]

﴿إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وغيرهما: الْفَاحِشَةُ الْمُبَيِّنَةُ: الزِّنَا.

قَالوا: إِذَا زَنَتِ امْرَأَةُ الرَّجُلِ حَلَّ لَهُ عَضْلُهَا وَالضِّرَارُ بِهَا لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَا آتَاهَا مِنْ صَدَاقِهَا.

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: «إِذَا رَأَى الرَّجُلُ مِنَ امْرَأَتِهِ فَاحِشَةً، فَلَا بَأْسَ أَنْ يُضَارَّهَا، وَيَشُقَّ عَلَيْهَا حَتَّى تَخْتَلِعَ مِنْهُ».

---

١ - تفسير الطبري (٦/ ٥٣١)

٢ - رواه أبو داود- كِتَاب النِّكَاحِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩]، حديث رقم: ٢٠٩٠، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيلَ: الْفَاحِشَةُ الْمُبَيِّنَةُ: النُّشوز والعِصْيان.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ والضَّحَّاكُ بْنِ مُزَاحِمٍ وغيرهما: الْفَاحِشَةُ هُنَا النُّشُوزُ، فَإِذَا نَشَزَتْ حَلَّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ خُلْعَهَا مِنْهَا.

والراجح أن الفاحشة هنا تعمُّ الزِّنَا و النُّشُوزَ، فإذا فعلتْ امْرَأَةُ الرَّجُلِ شيئًا من ذلك حَلَّ لَهُ عَضْلُهَا وَالضِّرَارُ بِهَا لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَا آتَاهَا مِنْ صَدَاقِهَا.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

الْعِشْرَةُ: الْمُخَالَطَةُ وَالْمُصَاحَبَةُ، والْعَشِيرُ: الصَّاحِبُ المخالطُ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الْحَج: ١٣]، أي: وَلَبِئْسَ الصَّاحِبُ الْمُخَالَطُ.

أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِحُسْنِ صُحْبَةِ النِّسَاءِ، وهوَ أَمْرٌ لِلْأَزْوَاجِ خاصَّةً، وللرجالِ عُمومًا، ومن حسن عشرتهن، بسطُ الوجهِ، وبذلُ النَّدى، والرفق بهن، وتحمل الأذى منهن، ومن سوء عشرتهن التَّضْيِيقُ عليهن فِي النَّفَقَةِ، وَإِيذَاؤهُنَّ بِالْقَوْلِ، أَوِ الْفِعْلِ، وَكَثْرَةُ العُبُوسِ وَتَقْطِيبِ الْوَجْهِ عِنْدَ رؤيتهن.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

في الكلام حذفٌ مقدره وتقدير الكلام: فإِنْ كَرِهْتُمْ صُحْبَتَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ فِي صُحْبَتِهِنَّ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فقد تكونُ المرأة دميمةً، ولكنها عفيفةٌ ذاتُ دينٍ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ».[1]

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم: ١٤٦٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٢٠، ٢١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما نهى الله تعالى عن عَضْلِ الْمَرْأَةِ وَالإِضْرَارِ بِهَا لِتَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَا آتَاهَا مِنْ صَدَاقِهَا، وَبَيَّنَ جوازَ أَخْذِ الزَّوْجِ الصَّدَاقَ إِذَا أَتَتْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، بَيَّنَ سبحانه وتعالى هنا أَنَّهُ لا يحلُّ له أن يأخذَ شيئًا منها إِذَا أَرَادَ طَلَاقَها مِنْ غَيْرِ نُشُوزٍ وَسُوءِ عِشْرَةٍ، ولو آتاها من المال ما آتاها.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾.

الْمُرَادُ بِالِاسْتِبْدَالِ طَلَاقُ امْرَأَةٍ والزَّواجُ أُخْرَى.

﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾.

فإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفِرَاقِ سَبَبٌ إِلَّا مجردُ إِرَادَةِ اسْتِبْدَالِ زَوْجٍ بِأُخْرَى فلا يحل له ألأن يُضَيِّقَ على الَّتِي يُرِيدُ فِرَاقَهَا حَتَّى تترك له صداقها، ولو كان الذي أصدقها به قِنْطارًا مِنَ الذَّهَبِ، وَالْقِنْطَارُ الْمَالُ الْعَظِيمُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ.

وقوله: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾، نكرة في سياق النفي تعم القليل والكثير.

وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْإِصْدَاقِ بِالْمَالِ الْجَزِيلِ، وإن كان الأولى عدم المغالاة في المهور؛ لما ثبت عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَسْهِيلُ أَمْرِهَا، وَقِلَّةُ صَدَاقِهَا» قَالَ عُرْوَةُ: وَأَنَا أَقُولُ مِنْ عِنْدِي: وَمِنْ شُؤْمِهَا تَعْسِيرُ أَمْرِهَا، وَكَثْرَةُ صَدَاقِهَا.[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٤٤٧٨، وابن حبان- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الصَّدَاقِ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ تَسْهِيلَ الْأَمْرِ، وَقِلَّةَ الصَّدَاقِ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ، حديث رقم: ٤٠٩٥، والحاكم- كِتَابُ النِّكَاحِ، حديث رقم: ٢٧٣٩، والطبراني فيالأوسط- حديث رقم: ٣٦١٢، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ أَبِي الْعَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَخْطُبُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَلَا لَا تُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ، كَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ فَوْقَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً. أَلَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُغَالِي بِصَدَاقِ امْرَأَتِهِ، حَتَّى يَبْقَى لَهَا فِي نَفْسِهِ عَدَاوَةٌ، حَتَّى يَقُولَ: «كَلِفْتُ لُكِ عَلَقَ الْقِرْبَةِ».[1]

ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ذَلِكَ؛ فَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: رَكِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَا إِكْثَارُكُمْ فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَإِنَّمَا الصَّدَقَاتُ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَرْبَعُ مِائَةِ دِرْهَمٍ فَمَا دُونَ ذَلِكَ، فَلَوْ كَانَ الإِكْثَارُ فِي ذَلِكَ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مَكْرَمَةً لَمْ تَسْبِقُوهُمْ فَلا أَعْرِفَنَّ مَا زَادَ رَجُلٌ صَدَاقَ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ فَاعْتَرَضَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ. فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَهَيْتَ النَّاسَ أَنْ يَزِيدُوا النِّسَاءَ فِي صَدَقَاتِهِنَّ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، فَقَالَ: اللَّهُمَّ غُفْرَانَكَ. كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ. قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَرَكِبَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَزِيدُوا النِّسَاءَ فِي صَدَقَاتِهِمْ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُعْطِيَ مِنْ مَالِهِ مَا أَحَبَّ. قَالَ أَبُو يَعْلَى: وَأَظُنُّهُ قَالَ: فَمَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ فَلْيَفْعَلْ.[2]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٨٥، والنسائي في المجتبى- كِتَاب النِّكَاحِ، الْقِسْطُ فِي الْأَصْدِقَةِ، حديث رقم: ٣٣٤٩، والسنن الكبرى- كِتَابُ النِّكَاحِ، التَّزْوِيجُ عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، حديث رقم: ٥٤٨٥، وابن ماجه- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ صَدَاقِ النِّسَاءِ، حديث رقم: ١٨٨٧، والدارمي- وَمِنْ كِتَابِ النِّكَاحِ، بَابُ كَمْ كَانَتْ مُهُورُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَنَاتِهِ، حديث رقم: ٢٢٤٦، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٥٧٠، وأبو داود الطيالسي- حديث رقم: ٦٤، والبيهقي- كِتَابُ الصَّدَاقِ، بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْقَصْدِ فِي الصَّدَاقِ، حديث رقم: ١٤٣٤٧، بسند صحيح.

٢ - المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابٌ: فِي الصَّدَاقِ، حديث رقم: ٧٥٧، في مسنده بسند جيد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

سؤالٌ الغرضُ منه الْإِنْكَارُ، ووصفَ الله تعالى ذلك الأخذَ بالْبُهْتَانِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا تَطْلِيقَ الزَّوْجَةِ رَمَوْهَا بِفَاحِشَةٍ حَتَّى تَخَافَ وَتَشْتَرِيَ نَفْسَهَا مِنْهُ بِذَلِكَ الْمَهْرِ، فتتنازلُ عن حَقُّهَا، خوفًا على سمعتها، فكانَ أَخْذُ الْمَالِ مِنَ الْمَرْأَةِ عِنْدَ الطَّلَاقِ مَظِنَّةٌ أَنَّهَا أَتَتْ بِفَاحِشَةٍ، ولا شك أَنَّ أَخْذَ المالِ حينئذٍ يكونُ بُهْتَانًا عظيمًا.

وَسماه الله إِثْمًا مُبِينًا؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَالَ حَقٌّ لها فَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهَا ليأخذَ مَالهَا كان ظالِمًا لها، مرتكبًا إِثْمًا مُبِينًا.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

سؤالٌ الغرض منه الْإِنْكَارُ وَالتَّغْلِيظُ على مَنْ أرادَ أخذَ صداقِ المرأةِ بغيرِ حقٍ؛ ومعناه كما قال ابن جرير: عَلَى أَيِّ وَجْهٍ تَأْخُذُونَ مِنْ نِسَائِكُمْ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ صَدُقَاتِهِنَّ إِذَا أَرَدْتُمْ طَلَاقَهُنَّ وَاسْتِبْدَالَ غَيْرِهِنَّ بِهِنَّ أَزْوَاجًا.

﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، الْإِفْضَاءُ عبارةٌ عن الوصول إلى الشيء ومنه قولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا».[1]

ومن معانيه المباشرةُ والتَّلامسُ؛ ومنه قولُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَفْضَى أَحَدُكُمْ بِيَدِهِ إِلَى فَرْجِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ».[2]

وقيلَ الْإِفْضَاءُ أصلُهُ مِنْ الْفَضَاءِ، وَهُوَ كُلُّ مَوْضِعٍ خَالٍ، فَقَالَ: وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ كَانَتْ الْخَلْوَةُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ؟[3]

---

١ – رواه مسلم– كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا، حديث رقم: ٢٨٠٨، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ – رواه النسائي– كِتَابُ الْغُسْلِ وَالتَّيَمُّمِ، بَابُ الْوُضُوءِ مِنْ مَسِّ الذَّكَرِ، حديث رقم: ٤٤٥، بسند صحيح

٣ – أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٧٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو كناية عن الجماع؛ فإنَّ كل واحد من الزوجين يُفْضِي إلى الآخر ويطلعُ منه على ما لا يطلع سواه.

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، الْمِيثَاقُ الْغَلِيظُ عُقْدَةُ النِّكَاحِ، عَلَى نِيَّةِ دَوَامِ العشرة؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: الْمِيثَاقُ الْغَلِيظُ كَلِمَةُ النِّكَاحِ الْمَعْقُودَةُ عَلَى الصَّدَاقِ، وَتِلْكَ الْكَلِمَةُ كَلِمَةٌ تُسْتَحَلُّ بِهَا فُرُوجُ النِّسَاءِ.

وإنما قال: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ﴾، ولم يقل: وَأَخَذْتم مِنْهُنَّ، لأن الرجال استحلوا فروجَ النساءِ بعَقْدِ النِّكَاحِ؛ كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ».[1]

وَوَصَفَهُ الله تعالى بِالْغِلْظَةِ؛ لِقُوَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَقَد قيلَ: صُحْبَةُ عِشْرِينَ يَوْمًا قَرَابَةٌ، فَكَيْفَ بِمَا يَجْرِي بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الِاتِّحَادِ والامتزاج.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليب البلاغية في الآية: والسؤالُ في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ....﴾. والغرض منه الْإِنْكَارُ وَالتَّغْلِيظُ.

والكنايةُ في قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، فَالْإِفْضَاءُ كنايةٌ عن الجماعِ؛ لأنَّ كلَ واحدٍ من الزوجين يصلُ إلى الآخر، ويطلعُ منه على ما لا يطلع سواه.

والِاسْتِعَارَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، اسْتَعَارَ الْأَخْذَ لِلْوُثُوقِ بِالْمِيثَاقِ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ، وَالْمِيثَاقُ مَعْنًى لَا يَتَهَيَّأُ فِيهِ الْأَخْذُ حَقِيقَةً.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ١٢١٨، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٢٢

مناسبة الآية لما قبلها:

مناسبة الآية لما قبلها ظاهرة، فقد نهى الله تعالى عنْ إِرْثِ النِّسَاءِ كَرْهًا، وكانوا يرون في الجاهلية أَنَّ ابْنَ الْمَيِّتِ أَوْلَى بِالزواجِ من زَوْجَةِ أَبِيهِ من غيره، إِذَا لَمْ تَكُنْ أُمَّهُ، فخصَّ الله تعالى هَذِهِ الصُّورَةِ بالنَّهْي لشناعتها.

سبب نزول الآية:

سَبَبُ نزول الآية ما رواه الطبراني في الكبير، وابن أبي حاتم، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: تُوُفِّيَ أَبُو قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ فَخَطَبَ ابْنُهُ قَيْسٌ امْرَأَتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَعُدُّكَ وَلَدًا، وَأَنْتَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ، وَلَكِنْ آتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْتَأْمِرُهُ. فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا قَيْسٍ تُوُفِّيَ. فَقَالَ: «خَيْرًا». إِنَّ ابْنَهُ قَيْسًا خَطَبَنِي وَهُوَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِهِ، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَعُدُّهُ وَلَدًا، فَمَا تَرَى؟ قَالَ لَهَا: «ارْجِعِي إِلَى بَيْتِكِ» قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.[1]

نهى اللهُ تَعَالَى عنْ نكاحِ زَوْجَاتِ الْآبَاءِ اكرَامًا لهم، وإبقاءًا لمحبة الأبناءِ لآبائهم، ويستوي في ذلك كُلُّ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا الأَبُ دَخَلَ أَوْ لَمْ يَدْخُلْ، وهو أمرٌ أَجْمَعَ عليه الْعُلَمَاءُ.

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كُلَّ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا أَبُوكَ وَابْنُكَ دَخَلَ أَوْ لَمْ يَدْخُلْ فَهِيَ عَلَيْكَ حَرَامٌ».[2]

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

أَيْ: إِلَّا مَا تَقَدَّمَ وَمَضَى.

---

١ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ٩٧٨، وابن أبي حاتم في التفسير (٣/ ٩٠٩)

٢ – تفسير الطبري (٦/ ٥٥٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اختلف العلماء في المرادِ بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، والراجح أَنَّ المرادَ إِلَّا مَا قَدْ مَضَى قَبْلَ نُزُولِ التَّحْرِيمِ فَإِنَّهُ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، ومع ذلك يجب على من تزوج امرأة أبيه أن يفارقها.

قالَ ابنُ جريرٍ: هَذِهِ الْآيَة نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا يَخْلُفُونَ عَلَى حَلَائِلِ آبَائِهِمْ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَحَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْمُقَامَ عَلَيْهِنَّ، وَعَفَا لَهُمْ عَمَّا كَانَ سَلَفَ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ وَشِرْكِهِمْ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ لَمْ يُؤَاخِذْهُمْ بِهِ إِنْ هُمُ اتَّقَوُا اللَّهَ فِي إِسْلَامِهِمْ وَأَطَاعُوهُ فِيهِ.[1]

عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِيتُ خَالِي وَمَعَهُ الرَّايَةُ، فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، أَوْ أَقْتُلَهُ».[2]

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

وصف الله تعالى نكاحَ الابن امْرَأَةَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ بأنه فَاحِشَةٌ، أي: بَالِغُ الْقُبْحِ تنفيرًا للناس عنه.

وَالْمَقْتُ هو البغضُ الشديدُ، قَالَ الزّجاج: الْمَقْتُ أشدُّ البغضِ.

ويكون غالبًا بسببِ ارتكاب أمرٍ قَبِيح؛ قَالَ الليثُ: الْمَقْتُ: بُغضٌ من أمرٍ قَبِيح رَكِبه، فَهُوَ مَقيت.

وإنما وصفه الله تعالى بكونه مَقْتًا؛ لأنَّ الذي يخلف على المرأة يمقت من سبقه غالبًا، لاسيما إذا قارنت المرأة بينه وبين من سبقه، فإذا كان أبًا كان ذلك سببًا في بغض الابن لأبيه.

قال أبو السعود: قيل مراتبُ القُبحِ ثلاثٌ: القبحُ الشرعيُّ، والقبحُ العقليُّ، والقبحُ العاديُّ. وقد وصف الله تعالى هذا النكاحَ بكل ذلك، فقولُه تعالى: ﴿فَاحِشَةً﴾ مرتبةُ قُبحِه العقليّ،

---

١ - تفسير الطبري (٦/ ٥٤٩)

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٥٥٧، والترمذي- أَبْوَابُ الْأَحْكَامِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِيمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ، حديث رقم: ١٣٦٢، والنسائي- كِتَاب النِّكَاحِ، نِكَاحُ مَا نَكَحَ الْآبَاءُ، حديث رقم: ٣٣٣١، وابن ماجه- كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، حديث رقم: ٢٦٠٧، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقولُه تعالى: ﴿وَمَقْتًا﴾ مرتبةُ قبحِه الشرعيّ، وقولُه تعالى: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ مرتبةُ قبحِه العاديّ، وما اجتمع فيه هذه المراتبُ فقد بلغَ أقصى مراتبِ القُبحِ.[1]

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ في الآية: الجناسُ المغايرُ في قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ﴾.

والاستثناءُ المنقطعُ في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

وَالْمَعْنَى: لَكِنْ مَا سَلَفَ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَعَ، وَأَزَالَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ حُكْمَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهُ وَالْإِسْلَامُ يَجُبُّهُ.

والتَّرَقِي في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، فإنَّ المقتَ أعظمُ من الفاحشةِ، وقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أشدُّ مُبَالَغَةً فِي الذَّمِّ من المقتِ؛ لأنها سَبِيلٌ مُوَصِّلَةٌ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ.

وحَذْفُ الْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. وَالتَّقْدِيرُ: وَبِئْسَ سَبِيلًا سَبِيلُ هَذَا النِّكَاحِ.

---

١ - تفسير أبي السعود (٢/ ١٦٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٢٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا نهى اللهُ تَعَالَى عن نِكَاحِ امْرَأَةِ الْأَبِ عَلَى ابْنِهِ وَلَيْسَتْ أُمَّهُ، بين الله تعالى هنا ما هو أَوْلَى بِالتَّحْرِيمِ من نِكَاحِ امْرَأَةِ الْأَبِ، فَذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَحِلُّ مِنَ النِّسَاءِ وَمَا يَحْرُمُ.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾.

في الكلام حذفُ اختصارٍ دلَّ عليه سياقُ الكلامِ تقديره: حُرِّمَ عَلَيْكُمْ نِكَاحُ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ....، والْحُرْمَةُ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى الْأَعْيَانِ، فَالْمُرَادُ تَحْرِيمُ الْفِعْلِ الْمَطْلُوبِ مِنْهَا فِي الْعُرْفِ؛ مثالُ ذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٣]؛ أَيْ: أَكْلُهَا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾. قَالَ: «حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ النَّسَبِ سَبْعًا، وَمِنَ الصِّهْرِ سَبْعًا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾، الْآيَةَ.[1]

حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّسَبِ: الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالَاتِ، وَبَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُصَاهَرَةِ وَالرَّضَاعِ: الْأُمَّهَاتِ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَالْأَخَوَاتِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَأُمَّهَاتِ النِّسَاءِ وَالرَّبَائِبَ وَحَلَائِلَ الْأَبْنَاءِ وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ وَزَوجةَ الْأَبِ، وذلك بِالإِجْمَاعِ.

وَلَمْ يحِلْ نِكَاحُ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ فِي شَيْءٍ مِنَ الشرائعِ السَّمَاوِيَةِ، والمذكوراتُ كُنَّ مُحَرَّمَاتٍ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، إِلَّا امْرَأَةَ الْأَبِ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ، كما قال ابْنُ عَبَّاسٍ، وإنما ذكرَ الله تعالى تَحْرِيمَهُنَّ تَأْكِيدًا لِذَلِكَ التَّحْرِيمِ وَتَغْلِيظًا لَهُ.

---

١ - رواه الطبري (٦/ ٥٥٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأُمَّهَاتٌ جَمْعُ أُمٍّ، وَأَصْلُهَا: أُمَّهَةٌ فَأُسْقِطَتْ الْهَاءُ، ويدخلُ في تحريمِ الْأُمَّهَاتِ الجَدَّاتِ وإنْ عَلَونَ.

والبنتُ كُلُّ أُنْثَى يَرْجِعُ نَسَبُهَا إِلَيْكَ بِالْوِلَادَةِ، ويدخلُ في تحريمِ الْبَنَاتِ بناتُ الأولادِ وإن سَفُلن.

والْأُخْتُ الْمُحَرَّمَةُ هي كُلُّ مَنْ جَمْعَكَ وَإِيَّاهَا صُلْبٌ أَوْ بَطْنٌ، ويدخلُ في تحريمِ الأخواتِ الأختُ الشقيقة، والأختُ لأبٍ والأختُ لأمٍ.

قوله تعالى: ﴿وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾.

وَالْعَمَّاتُ هُنَّ أَخَوَاتُ الْآبَاءِ، وَتَحْرِيمُهُنَّ من تَوقِيرِ الْآبَاءِ، وَالْخَالَاتُ هُنَّ أَخَوَاتُ الْأُمَّهَاتِ وَتَحْرِيمُهُنَّ من تَوقِيرِ الْأُمَّهَاتِ.

وَتَحْرُمُ بَناتُ الْأَخِ وَبَناتُ الْأُخْتِ وَإِنْ سَفُلْنَ، كَبِنْتِ بِنْتِ الْأَخِ، وَبِنْتِ بِنْتِ الْأُخْتِ.

وذُكِرَ لفظُ (الْأَخُ وَالْأُخْتُ) مفردًا وَلَمْ يَأْتِ جَمْعًا، لِأَنَّهُ أُضِيفَ إِلَيْهِ الْجَمْعُ، فَكَانَ لَفْظُ الْإِفْرَادِ أَخَفَّ.

لما ذكر الله تعالى الْمُحَرَّمَاتِ بالنَّسَبِ، اتبع ذلك بذكرِ الْمُحَرَّمَاتِ بِسَبَبٍ طَارِئٍ وَهُنَّ سَبْعٌ، فقال تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾.

سَمَّى اللهُ تَعَالَى الْمُرْضِعَاتِ أُمَّهَاتٍ لِأَجْلِ الْحُرْمَةِ، كَمَا سَمَّى أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؛ في قوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٦]، يعني: لِأَجْلِ الْحُرْمَةِ.

وهَذِهِ الْآيَةُ نصٌّ عَلَى حُرْمَةِ الْأُمَّهَاتِ وَالْأَخَوَاتِ مِنْ جِهَةِ الرَّضَاعَةِ، ولكنَّ الْحُرْمَةَ بسببِ الرَّضَاعَةِ غَيْرُ مَقْصُورَةٍ عَلَيْهِنَّ؛ لما رواه البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بِنْتِ حَمْزَةَ: «لاَ تَحِلُّ لِي، يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ، هِيَ بِنْتُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ».[1]

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنَ الوِلاَدَةِ».[2]

واخْتَلَفَ العلماءُ فِي القدرِ الذي يُحَرِّمُ منَ الرَّضَاعَةِ، فقيلَ: يُحَرِّمُ مُجَرَّدُ الرَّضَاعِ لِعُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَوْ مَصَّةً وَاحِدَةً، وَهَو قَوْلُ مَالِكٍ.

وَقِيلَ: لَا يُحَرِّمُ أَقَلُّ مِنْ ثَلَاثِ رَضَعَاتٍ لِمَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُحَرِّمُ الْمَصَّةُ وَالْمَصَّتَانِ».[3]

وهو قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدِ، وَإِسْحَاقِ بنِ رَاهْوَيْهِ.

وَقِيلَ: لَا يُحَرِّمُ أَقَلُّ مِنْ خَمْسِ رَضَعَاتٍ، لِمَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى لِلَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ.[4]

وهو قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وأَبِي حَنِيفَةَ.

وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الرَّضَاعَةُ فِي سِنِّ دُونَ الْحَوْلَيْنِ؛ لما ثبت عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا مَا أَنْبَتَ اللَّحْمَ، وَأَنْشَزَ الْعَظْمَ».[5]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ الشَّهَادَةِ عَلَى الأَنْسَابِ، وَالرَّضَاعِ المسْتَفِيضِ، وَالمَوْتِ القَدِيمِ، حديث رقم: ٢٦٤٥، ومسلم– كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ تَحْرِيمِ ابْنَةِ الْأَخِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، حديث رقم: ١٤٤٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ الشَّهَادَةِ عَلَى الأَنْسَابِ، وَالرَّضَاعِ المسْتَفِيضِ، وَالمَوْتِ القَدِيمِ، حديث رقم: ٢٦٤٦، ومسلم– كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ، حديث رقم: ١٤٤٤

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابٌ فِي الْمَصَّةِ وَالْمَصَّتَيْنِ، حديث رقم: ١٤٥٠

٤ – رواه مسلم– كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ التَّحْرِيمِ بِخَمْسِ رَضَعَاتٍ، حديث رقم: ١٤٥٢

٥ – رواه أحمد– حديث رقم: ٤١١٤، والدارقطني– كِتَابُ الرَّضَاعِ، حديث رقم: ٤٣٥٨، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾.

وَمِنَ المحرماتِ أُمُّ الزَّوجَةِ فَإِنَّهَا تَحْرُمُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ عَلَى ابْنَتِهَا، سَوَاءٌ دَخَلَ بِهَا أَوْ لَمْ يَدْخُلْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾، هِيَ مُبْهَمَةٌ لَا تَحِلُّ بِالْعَقْدِ عَلَى الِابْنَةِ.

وروى مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، ثُمَّ فَارَقَهَا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهَا. هَلْ تَحِلُّ لَهُ أُمُّهَا؟

فَقَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: لاَ، الْأُمُّ مُبْهَمَةٌ. لَيْسَ فِيهَا شَرْطٌ. وَإِنَّمَا الشَّرْطُ فِي الرَّبَائِبِ.[1]

وقال بعضُ العلماءِ: شَرْطُ الدُّخُولِ في قوله تعالى: ﴿اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾. رَاجِعٌ إِلَى الْأُمَّهَاتِ وَالرَّبَائِبِ جَمِيعًا، وَبه قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَجَابِرٌ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، والصحيح أنَّ الشَّرْطَ فِي الرَّبَائِبِ دونَ الْأُمَّهَاتِ.

﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

الرَّبَائِبُ: جَمْعُ رَبِيبَةٍ، وَهِيَ بِنْتُ امْرَأَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِهِ، وَمَعْنَاهَا مَرْبُوبَةٌ، وقيل لها: رَبِيبَةٌ لِأَنَّ الرجل هو يربيها.

وَالْحُجُورُ جَمْعُ حِجْرٍ، وَفِيهِ لُغَتَانِ: حَجْرُ وَحِجْرُ، والمرادُ بها هنا البيوت؛ لأنها بمثابة البنت في التربية غالبًا؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَوْلُهُ: ﴿اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾، فِي بُيُوتِكُمْ.

ومن المحرماتِ الرَّبِيبَةُ وهي لَا تَحْرُمُ إلا بعد الدُّخُولِ بأُمِّهَا، ولَا تَحْرُمُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ عَلَى أُمِّهَا، فَإِنْ طَلَّقَ الْأُمَّ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا جَازَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتَهَا.

---

١ – الموطأ– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَا لَا يَجُوزُ مِنْ نِكَاحِ الرَّجُلِ أُمَّ امْرَأَتِهِ، حديث رقم: ١٩٥٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾، قال جُمْهُورُ العلماءِ هَذَا القيدُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ، وَلَا مَفْهُومَ لَهُ، وَالرَّبِيبَةَ حَرَامٌ سَوَاءٌ كَانَتْ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ أَوْ لَمْ تَكُنْ فِي حِجْرِهِ، وهذا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾.[1]

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾.[2]

قال ابن كثير: وهُوَ مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَالْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ وَجُمْهُورِ الْخَلَفِ وَالسَّلَفِ. وَقَدْ قِيلَ بِأَنَّهُ لَا تَحْرُمُ الرَّبِيبَةُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا تَحْرُمُ.

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ فَتُوُفِّيَتْ، وَقَدْ وَلَدَتْ لِي، فوجِدْت عَلَيْهَا، فَلَقِيَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: مَالَكَ؟ فَقُلْتُ: تُوُفِّيَتِ الْمَرْأَةُ. فَقَالَ عَلِيٌّ: لَهَا ابْنَةٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَهِيَ بِالطَّائِفِ. قَالَ: كَانَتْ فِي حِجْرِكَ؟ قُلْتُ: لَا هِيَ بِالطَّائِفِ قَالَ: فَانْكِحْهَا. قُلْتُ: فَأَيْنَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾، قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي حجْرك، إِنَّمَا ذَلِكَ إِذَا كَانَتْ فِي حِجْرِكَ.[3]

قال ابن كثير: وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الظَّاهِرِيُّ وَأَصْحَابُهُ. وَحَكَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الرَّافِعِيُّ عَنْ مَالِكٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ حَزْمٍ.

والصحيح القول الأول.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[4]

الحَلَائِلُ جَمْعُ حَلِيلَةٍ وَهِيَ الزَّوْجَةُ، وسُمِّيَتْ الزَّوْجَةُ حَلِيلَةً لِأَنَّهَا تَحُلُّ مَعَ الزَّوْجِ حَيْثُ حَلَّ، وَقِيلَ سُمِّيَتْ حَلِيلَةً لِأَنَّهَا حَلَالٌ للزَّوْجِ، وَحَلِيلَةٌ بِمَعْنَى مُحَلَّلَةٍ.

---

١ – سُورَةُ النُّورِ: الآية/ ٣٣

٢ – سُورَةُ آل عمران: الآية/ ١٣٠

٣ – رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩١٢)

٤ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٢٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَمِنَ الْمُحَرَّمَاتِ: زَوْجَاتُ الأَبْنَاءِ الَّذِينَ مِنْ الأَصْلَابِ، وذكرُ الأَصْلَابِ احترازًا عَنِ الْأَدْعِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَبَنَونهم فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فليسوا أبناءًا على الحقيقة؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٤]، ولكنهم أَدْعِيَاءُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.[1]

وَتَحْرُمُ كذلك امْرَأَةُ الابْنِ مِنَ الرَّضَاعَةِ؛ لأَنَّ الِابْنَ مِنَ الرَّضَاعَةِ، يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ ابْنِ الصُّلْبِ شَرْعًا؛ لما ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ».[2]

وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءَ عَلَى تَحْرِيمِ زَوْجَاتِ الأَبْنَاءِ عَلَى الْآبَاءِ بمجردِ عَقْدِ الْأَبْنَاءِ عَلَيْهِنَّ.

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

وَمِنَ الْمُحَرَّمَاتِ: الْجَمْعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ مَعًا فِي زواجٍ، أَوْ مِلْكِ الْيَمِينِ

عَنْ أَبِي خِرَاشٍ الرُّعَيْنِيِّ، عَنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدِي أُخْتَانِ تَزَوَّجْتُهُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «إِذَا رَجَعْتَ فَطَلِّقْ إِحْدَاهُمَا».[3]

وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ فَيْرُوزَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «أَسْلَمْتُ وَعِنْدِي امْرَأَتَانِ أُخْتَانِ، فَأَمَرَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُطَلِّقَ إِحْدَاهُمَا».[4]

ويدخلُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ بِمِلْكِ الْيَمِينِ فِي النهي عَنِ الْوَطْءِ لِعُمُومِ الْآيَةِ، وهو قول جمهور العلماء، وَكَرِهَهُ عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعَمَّارٌ، وَابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: أَحَلَّتْهُمَا آيَةٌ وَحَرَّمَتْهُمَا آيَةٌ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلْهُ، يُرِيدُ بِالْمُحَرِّمَةِ

---

١ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الآية/ ٣٧

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ الشَّهَادَةِ عَلَى الأَنْسَابِ، وَالرَّضَاعِ المسْتَفِيضِ، وَالمَوْتِ القَدِيمِ، حديث رقم: ٢٦٤٥، ومسلم- كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ تَحْرِيمِ ابْنَةِ الْأَخِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، حديث رقم: ١٤٤٧

٣ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الرَّجُلِ يُسْلِمُ وَعِنْدَهُ أُخْتَانِ، حديث رقم: ١٩٥٠، بسند حسن

٤ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٠٤١، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣]، وَبِالْمُحَلِّلَةِ قَوْله تَعَالَى: ﴿إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.[١]

وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما الجمعُ بالملكِ دونَ الجمعِ بَيْنَهُمَا فِي الْفِرَاشِ فَلَا يُحَرَّمْ، وَلَهُ وَطْءُ إِحْدَاهُمَا، فِي قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ.[٢]

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾. أي: لَكِنْ مَا مَضَى مِنَ الجَمعِ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ بِنِكَاحٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ فإنَّ الله تعالى يتجاوز عنه؛ لأنه قبل التحريم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

أي: غَفُورٌ لِمَنْ فعلَ ذلك فِي جَاهِلِيَّتِهِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ، رَحِيمٌ بِمَنْ أطَاعَهُ مِنْ خَلْقِهِ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةُ:

من الأساليبِ البلاغيةِ فِي الآيةِ: الحَذْفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ..﴾، وتقديره: حُرِّمَ عَلَيْكُمْ نِكَاحُ أُمَّهَاتِكُمْ....

والطِّبَاقُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾، فإنَّ الْمُحْصِنَ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ فَرْجَهُ، وَالْمُسَافِحَ هُوَ الَّذِي يَبْذُلُهُ.

والكِنَايَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، كِنَايَةٌ عن الجماعِ.

وَالِاحْتِرَاسُ فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، احْتَرَزَ مِنَ اللَّاتِي لَمْ يُدْخَلْ بِهِنَّ.

وَالِاحْتِرَاسُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾، إِذِ الْمُحْصَنَاتُ قَدْ يُرَادُ بِهَا الْأَنْفُسُ الْمُحْصَنَاتُ، فَيَدْخُلُ تَحْتَهَا الرِّجَالُ، فَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ: مِنَ النِّسَاءِ.

وليس منه: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾؛ لأنه قيد خرج مخرج الغالب كما قدمنا.

---

١ - سُورَةُ المؤمنون: الآية/ ٦

٢ - المغني لابن قدامة (٧/ ١٢٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالِاعْتِرَاضُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، وفائدته ترك التشاغل بالبواطن فلا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب، وإنما يكفينا ما الظاهرُ، وما بدا لنا من حال المسلم.

والجناسُ المغايرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَرْضَعْنَكُمْ﴾، و ﴿مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾.

والاستثناءُ المنقطعُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾. أي: لَكِنْ مَا مَضَى فإنَّ الله تعالى يتجاوز عنه.

والتذييلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. لتعليلِ لما أفاده الاستثناءُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحتويات

م	الموضوعات	الصفحة
١	المقدمة.	٣
٢	﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.	٤
٣	﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ.....﴾.	٦
٤	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.	١١
٥	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾.	١٧
٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ.﴾.	٢١
٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.	٢٤
٨	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً....﴾.	٢٧
٩	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ....﴾.	٣٢
١١	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.	٣٦
١٢	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.....﴾.	٤٠
١٣	﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾.	٤٤
١٤	﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾	٤٨
١٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.....﴾.	٥١
١٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا.....﴾.	٥٤
١٧	﴿هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا..﴾.	٥٧
١٨	﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.	٦١
١٩	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.	٦٥
٢٠	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ.....﴾.	٧٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.	٧٤
٢٤	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.	٧٨
٢٥	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ.....﴾.	٨٣
٢٦	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.	٨٧
٢٧	﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.	٨٩
٢٨	﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.	٩١
٢٩	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ.....﴾.	٩٣
٣٠	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا.....﴾.	٩٥
٣١	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....﴾	٩٧
٣٢	﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا..﴾.	٩٩
٣٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾	١٠١
٣٤	﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا.....﴾.	١٠٣
٣٥	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ...﴾.	١٠٥
٣٦	﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ.....﴾.	١٠٩
٣٧	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ.....﴾.	١١١
٣٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا.﴾.	١١٦
٣٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ﴾.	١١٧
٤٠	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ....﴾.	١٢٠
٤١	﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ...﴾.	١٢٤
٤٢	﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....﴾.	١٢٦
٤٣	﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.	١٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٤	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ..﴾.	١٣٣
٤٥	﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.	١٣٥
٤٦	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.	١٣٧
٤٧	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.	١٤١
٤٨	﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ.....﴾.	١٤٥
٤٩	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا.....﴾	١٤٧
٥٠	﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ.....﴾.	١٤٩
٥١	﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.	١٥١
٥٢	﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا.....﴾.	١٥٢
٥٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.	١٥٤
٥٤	﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ....﴾.	١٥٦
٥٥	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ..﴾.	١٥٨
٥٦	﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا.....﴾.	١٦٢
٥٧	﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.	١٦٦
٥٨	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....﴾.	١٦٩
٥٩	﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ.....﴾.	١٧٢
٦٠	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ.....﴾.	١٧٤
٦١	﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا.....﴾.	١٧٧
٦٢	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.	١٨٠
٦٣	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.	١٨٤
٦٤	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى.....﴾.	١٨٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦٥	﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾.	١٩١
٦٦	﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾	١٩٤
٦٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.	١٩٦
٦٨	تفسيرُ سُورَةِ النِّسَاءِ.	١٩٩
٦٩	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.....﴾.	١٩٩
٧٠	﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ.﴾.	٢٠٣
٧١	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ.....﴾.	٢٠٥
٧٢	﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.	٢٠٨
٧٣	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ....﴾.	٢١١
٧٤	﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾	٢١٣
٧٥	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ.....﴾.	٢١٦
٧٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾	٢٢١
٧٧	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ.....﴾.	٢٢٤
٧٨	﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ﴾.	٢٣٥
٧٩	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾.	٢٤٠
٨٠	﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ.....﴾.	٢٤٢
٨١	﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ.....﴾.	٢٤٦
٨٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ.....﴾.	٢٥١
٨٣	﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا.﴾.	٢٥٨
٨٤	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ...﴾.	٢٦١
٨٥	المحتويات	٢٦٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في